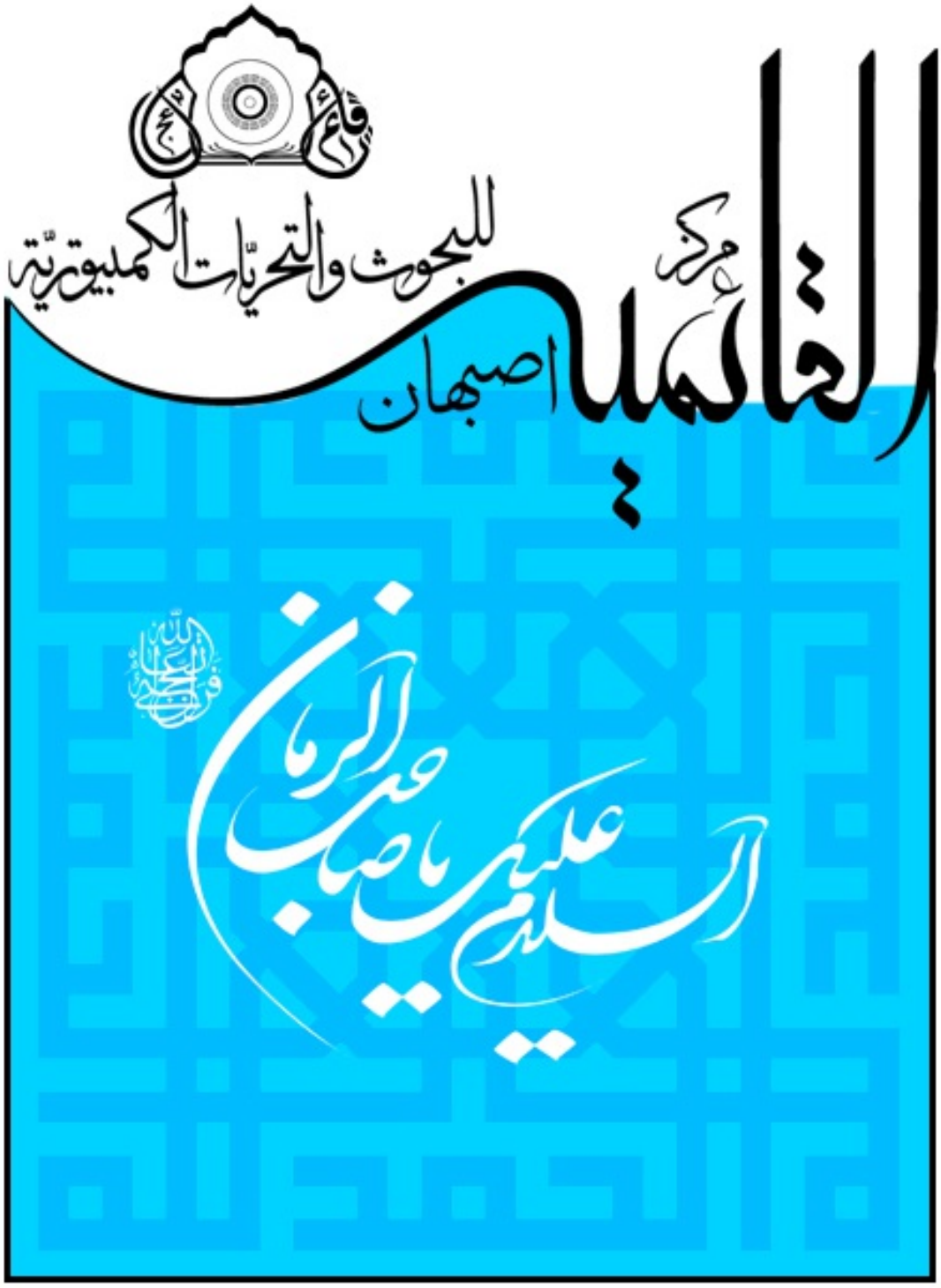

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الفوائد المشوق إلى
علوم القرآن
وعلم البيان

الإمام العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية
المتوفى سنة ٧٥١ هـ

حققه وأشرف عليه وخرج أحاديثه زهير الشاويش

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الفوائد المشوق الى علوم القرآن و علم البيان

كاتب:

ابى عبدالله محمد بن ابى بكر ابن ايوب الزرعى المعروف بابن القيم

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلميه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الفوائد المشوق الی علوم القرآن و علم البیان ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
[خطبة الکتاب] ----- ۱۲
القسم الأول و هو ینقسم الی اربعة و ثمانین قسما ----- ۱۶
القسم الأول: فی الکلام علی الفصاحة و البلاغة. ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
أما الأول فی حدهما: ----- ۱۶
الثانی فی اشتقاقهما: ----- ۱۶
الثالث فی الفرق بینهما: ----- ۱۶
القسم الثانی اطلاق اسم السبب علی المسبب و هو أربعة أقسام: ----- ۲۱
القسم الثالث اطلاق اسم المسبب علی السبب و هو ثمانیة أقسام: ----- ۲۲
القسم الرابع اطلاق اسم الفعل علی غیر فاعله لمّا کان سببا له و هو أربعة أقسام: ----- ۲۳
القسم الخامس الأخبار عن الجماعة بما یتعلق ببعضهم، ----- ۲۴
القسم السادس اطلاق اسم البعض علی الکل و هو سبعة عشر قسما: ----- ۲۴
القسم السابع اطلاق اسم الکل علی البعض و هو أحد عشر قسما ----- ۲۵
القسم الثامن فی التجوز بوصف الکل بصفة البعض و هو أربعة أقسام: ----- ۲۶
القسم التاسع اطلاق اسم الفعل علی مقاربه و مساوقه و هو قسمان: ----- ۲۶
القسم العاشر اطلاق اسم الشیء علی ما کان علیه و هو قسمان: ----- ۲۶
القسم الحادی عشر اطلاق اسم الشیء بما یؤول الیه و هو قسمان: ----- ۲۶
القسم الثانی عشر اطلاق اسم المتوهم علی المحقق و هو خمسة أقسام: ----- ۲۷
القسم الثالث عشر اطلاق اسم الشیء الذی یظنه المعتقد و الأمر علی خلافه و هو ستة أقسام: ----- ۲۷
القسم الرابع عشر التضمین: و هو أن یضمن اسما معنی اسم لافادة معنی الاسمین فتعدیه تعدیته فی بعض المواطن و هو أربعة أقسام: ----- ۲۷

القسم الخامس عشر فی مجاز اللزوم و هو ثمانیة تحت کل قسم أقسام قد بیناها فیه: ۲۸
القسم السادس عشر التجوز بالمجاز عن المجاز: ۲۹
القسم السابع عشر التجوز فی الاسماء و هو علی سبعة أقسام: ۳۰
القسم الثامن عشر التجوز فی الافعال و هو علی عشرة أقسام و تحت کل قسم منها أقسام: ۳۰
القسم التاسع عشر التجوز بالحروف بعضها عن بعض و هو عشرة أقسام: ۳۳
القسم العشرون من أقسام المجاز الاستعارة، ۳۷
اشارة ۳۷
فصل [و هذه جملة مما احتوی علیه الکتاب العزیز من أقسام الاستعارة] ۳۹
القسم الحادی و العشرون التشبیه و الکلام علیه من وجوه ۴۳
اشارة ۴۳
فصل [فی التمثیل] ۵۰
القسم الثانی و العشرون من المجاز الإیجاز و الاختصار ۵۱
اشارة ۵۱
فصل [من أنواع المحذوف] ۵۹
القسم الثالث و العشرون فی التقدیم و التأخیر. و الکلام علیه من وجوه ثلاثة: ۵۹
القسم الرابع و العشرون فی الجمع بین الحقیقة و المجاز فی لفظة واحدة ۶۲
[الکلام علی ما یختص بالمعانی و ینقسم الی عدة اقسام] ۶۳
القسم الأول التناسب. و یسمی التشابه أیضا ۶۳
القسم الثانی التکمیل ۶۴
القسم الثالث التتمیم ۶۴
القسم الرابع التقسیم ۶۴
القسم الخامس المؤاخاة ۶۶
القسم السادس الاعتراض و الحشو ۶۶
القسم السابع الالتفات ۶۸

القسم الثامن الحمل على المعنى ---- ۷۲
القسم التاسع الزيادة فى البناء ---- ۷۲
القسم العاشر الإطالة و الإسهاب. و يسمى الإطناب. و الكلام عليهما من وجوه ---- ۷۳
القسم الحادى عشر التكرار و الكلام فيه من وجوه: ---- ۷۵
القسم الثانى عشر القسم ---- ۷۸
القسم الثالث عشر الاقتباس. و يسمى التضمين ---- ۷۹
القسم الرابع عشر التذييل و الكلام عليه من وجوه ---- ۸۱
القسم الخامس عشر المغالطة. و الكلام عليه من وجوه ---- ۸۲
القسم السادس عشر الاشارة. و تسمى الوحى أيضا. و الكلام عليها من وجوه ---- ۸۳
القسم السابع عشر فى الكناية. و الكلام عليها من وجوه ---- ۸۴
القسم الثامن عشر التعريض ---- ۸۸
القسم التاسع عشر الاستطراد ---- ۸۹
القسم العشرون فى التورية ---- ۹۰
القسم الحادى و العشرون الاحتجاج النظرى ---- ۹۰
القسم الثانى و العشرون حسن المطالع و المبادى. و يقال فيه حسن الافتتاح ---- ۹۰
القسم الثالث و العشرون حسن المقطع ---- ۹۰
القسم الرابع و العشرون فى براعة الاستهلال ---- ۹۱
القسم الخامس و العشرون الانتقال من فن إلى فن. و يسمى التخلص. و الكلام عليه من وجوه ---- ۹۲
القسم السادس و العشرون فى الاقتضاب. و الكلام عليه من وجوه ---- ۹۲
القسم السابع و العشرون فى التطبيق و يسمى المطابقة و الطباق و التكافؤ و التضاد. و الكلام عليه من وجوه: ---- ۹۴
القسم الثامن و العشرون المقابلة. و الكلام عليها من وجوه ---- ۹۶
القسم التاسع و العشرون الاحتراس ---- ۹۸
القسم الموفى ثلاثين الاختصاص ---- ۹۹
القسم الحادى و الثلاثون الاختراع ---- ۱۰۱

القسم الثانی و الثلاثون الهدم ----- ۱۰۱
القسم الثالث و الثلاثون الاستفهام ----- ۱۰۲
القسم الرابع و الثلاثون المزلزل ----- ۱۰۳
القسم الخامس و الثلاثون التعجب ----- ۱۰۳
القسم السادس و الثلاثون السلب و الایجاب ----- ۱۰۴
القسم السابع و الثلاثون الهزل الذی یراد به الجد ----- ۱۰۴
القسم الثامن و الثلاثون التلمیح ----- ۱۰۴
القسم التاسع و الثلاثون النسخ و السلخ و المسخ ----- ۱۰۵
القسم الاربعون التعدید. و یسمی أیضا سیاق الاعداد ----- ۱۰۵
القسم الحادی و الأربعون الموجّه ----- ۱۰۵
القسم الثانی و الأربعون المحتمل الضدین ----- ۱۰۶
القسم الثالث و الأربعون التجرید ----- ۱۰۷
القسم الرابع و الأربعون الرجوع و الاستدراک ----- ۱۰۷
القسم الخامس و الأربعون السؤال و الجواب ----- ۱۰۷
القسم السادس و الأربعون التوهم. و یسمی الإیهام أیضا ----- ۱۰۸
القسم السابع و الأربعون التشعیب ----- ۱۰۸
القسم الثامن و الأربعون الاستثناء ----- ۱۰۹
القسم التاسع و الاربعون الغرابة .. و الظرافة .. و السهولة ----- ۱۰۹
القسم الموفی خمسین ما یوهم فسادا. و لیس بفساد ----- ۱۱۱
القسم الحادی و الخمسون فی النادر و البارد ----- ۱۱۲
القسم الثانی و الخمسون المساواة و التقصیر ----- ۱۱۳
القسم الثالث و الخمسون التصریح بعد الإبهام. و یسمی التفسیر ----- ۱۱۳
القسم الرابع و الخمسون التعقیب المصدری ----- ۱۱۴
القسم الخامس و الخمسون النفی و الإثبات ----- ۱۱۵

القسم السادس و الخمسون فی الضمائر و ما یتعلق بها ---- ۱۱۶
القسم السابع و الخمسون الفصل و الوصل ---- ۱۱۷
اشارة ---- ۱۱۷
فصل یشتمل علی ذکر جمل عطف بعضها علی بعض بالواو. و الفاء. و ثم. و اختلاف معانیها ---- ۱۱۸
القسم الثامن و الخمسون فی الوصف ---- ۱۱۸
القسم التاسع و الخمسون تنسیق الصفات بغیر حرف نسق ---- ۱۱۹
القسم الستون حسن النسق ---- ۱۱۹
القسم الحادی و الستون المدح و الذم ---- ۱۲۰
القسم الثانی و الستون الحمد و الشکر ---- ۱۲۱
القسم الثالث و الستون تأکید المدح بما یشبه الذم ---- ۱۲۲
القسم الرابع و الستون المبالغة و تسمی الافراط و الغلوّ و الایغال و معنی هذه الاسماء متقاربة و بعضها أرفع من بعض ---- ۱۲۲
القسم الخامس و الستون الرثاء و التعزیة ---- ۱۲۳
القسم السادس و الستون فی الشکایة ---- ۱۲۳
القسم السابع و الستون الحکایة ---- ۱۲۴
القسم الثامن و الستون الاقتضاء ---- ۱۲۴
القسم التاسع و الستون التذکیر ---- ۱۲۵
القسم الموفی السبعین الوعد و الوعید ---- ۱۲۵
القسم الحادی و السبعون العتاب و الانذار ---- ۱۲۶
القسم الثانی و السبعون الاعتاب ---- ۱۲۶
القسم الثالث و السبعون الاعتذار ---- ۱۲۶
القسم الرابع و السبعون تأکید الضمیر المتصل بالمنفصل ---- ۱۲۶
القسم الخامس و السبعون الخطاب بالجملة الفعلیة و الخطاب بالجملة الاسمیة المؤکدة بأنّ المشددة و تفضیل إحداهما علی الأخری ---- ۱۲۸
القسم السادس و السبعون فی لام التأکید ---- ۱۲۹
القسم السابع و السبعون فی الاقتصاد و الإفراط و التفریط ---- ۱۲۹

القسم الثامن و السبعون الغزل ----- ۱۳۰
القسم التاسع و السبعون فی التشبیب ----- ۱۳۰
القسم الموفی ثمانین الاستدراج ----- ۱۳۱
القسم الحادی و الثمانون خذلان المخاطب ----- ۱۳۲
القسم الثانی و الثمانون التعلیق و الإدماج ----- ۱۳۳
القسم الثالث و الثمانون الاستخدام ----- ۱۳۳
القسم الرابع و الثمانون التفقیر ----- ۱۳۴
الفن الثانی ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
[القسم] الأول التهذیب: ----- ۱۳۴
القسم الثانی الانسجام: ----- ۱۳۵
القسم الثالث الاشتقاق و یسمیه بعضهم الاقتضاب أیضا و هو من باب التجنیس، و إن عدّ أصلا برأسه ----- ۱۳۵
القسم الرابع الجزالة و الرذالة ----- ۱۳۶
القسم الخامس السهل الممتنع ----- ۱۳۷
القسم السادس الرشاقة و الجهامة ----- ۱۳۷
القسم السابع الفک و السبک ----- ۱۳۷
القسم الثامن الحل و العقد ----- ۱۳۸
القسم التاسع الازدواج ----- ۱۳۸
القسم العاشر تضمین المزدوج ----- ۱۳۸
القسم الحادی عشر التسجیع. و الکلام علیه من وجوه ----- ۱۳۸
القسم الثانی عشر الترصیع ----- ۱۴۰
القسم الثالث عشر التسمیط ----- ۱۴۰
القسم الرابع عشر التجزی ----- ۱۴۱
القسم الخامس عشر فی التوشیح ----- ۱۴۱

القسم السادس عشر براعة المطلب و حسن التوسل ---- ۱۴۲
القسم السابع عشر المخالفة ---- ۱۴۲
القسم الثامن عشر لزوم ما لا یلزم ---- ۱۴۳
القسم التاسع عشر التفویف ---- ۱۴۳
القسم الموفی عشرین التطریز ---- ۱۴۴
القسم الحادی و العشرون ما یقرأ من الجهتین ---- ۱۴۵
القسم الثانی و العشرون رد العجز علی الصدر. و یسمی التصدیر ---- ۱۴۵
اشارة ---- ۱۴۵
فصل ---- ۱۴۶
القسم الثالث و العشرون التسهیل ---- ۱۴۷
القسم الرابع و العشرون الاتفاق و الاطراد ---- ۱۴۷
اشارة ---- ۱۴۷
فصل ---- ۱۴۸
فصل فی ذکر اعجاز القرآن العظیم ---- ۱۴۹
فصل ---- ۱۵۲
فصل ---- ۱۵۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۵۹

الفوائد المشوق الى علوم القرآن و علم البيان

اشارة

عنوان

الفوائد المشوق الى علوم القرآن و علم البيان

پديدآورنده

تاليف ابى عبدالله محمد بن ابى بكر ابن ايوب الزرعى المعروف بابن القيم=الجوزيه ، حققت اصوله و ضبطه جماعه من العلماء

سرشناسه : ابن‌قيم جوزيه، محمدبن ابى‌بكر، ق ۷۵۱ - ۶۹۱

موضوع

قرآن - مسايل ادبى=قرآن - مسايل لغوى

شماره رديف ۳۳۹۱

كد عنوان ۳۳۵۳

سرشناسه فارسى: ابن قيم الجوزيه ، محمد بن ابى بكر، ۶۹۱-۷۵۱ق .

عنوان قراردادى: الفوائد المشوق الى علوم القرآن و علم البيان

محل انتشاربيروت

ناشر: دارالكتب العلميه

تاريخ نشر:۱۴۰۸ق

رده بندى كنگره ۲/ ۸۲ BP /الف۲ ۹ف

رده بندى ديويى ۹ف ۲الف/۲/۸۲ BP

۴۰۷ص

[خطبة الكتاب]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم (رب يسر) قال الشيخ الامام العالم العلامة. الحبر البحر الفهامة. سيد الحفاظ. و فارس المعانى و الألفاظ. مفسر القرآن. ذو الفنون البديعة الحسان. أبو عبد اللّه محمد بن قيم الجوزية رحم اللّه روحه، و نوّر ضريحه الحمد للّه نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ باللّه من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا. من يهده اللّه فلا مضل له. و من يضلل فلا هادى له، و نشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له. و نشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و كفى باللّه شهيدا. أرسله بين يدى الساعة بشيرا و نذيرا. و داعيا الى اللّه بإذنه و سراجا منيرا. فهدى بنوره من الضلالة و بصر به من العمى. و أرشد به من الغىّ. و فتح به أعينا عميا. و آذانا صما. و قلوبا غلفا.

(و بعد) فإن اللّه تفضل على هذه الأمة أن جعلهم عدولا خيارا، و جعلهم شهداء فى أرضه شهداء على الناس يوم ترى الناس سكارى، و بعث اليهم أقربهم اليه محبة و إيثارا، و أعظمهم لديه شرفا و مقدارا، و أنزل عليه كتابه المجيد، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴

خلفه تنزيل من حكيم حميد، و حسبهم بذلك علوا و فخارا، و جعله نورا و صراطا مستقيما، و حث على تعلمه و علمه ليعم بإحسانه و

يؤتى من لدنه أجرا عظيما، و أقامه حجة على من ضل و محجة لمن اهتدى، و أودعه حكمة و موعظة و هدى، و نصبه دليلا على الحق لا يضعف و لا يهى، و سبيلا يصدر عنه كل رشد و إليه ينتهى، و طريقا تجلى بأسلاك نفائس الأعمال أهل سلوكها، و برهانا واضحا يزجرهم عن خلل انحلال عقائدهم و شكوكها، و أودعه من الاعجاز ما لا يحصر بحصر حاصر و لا بعد عاد، من الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و الحكم و الأمثال و المواعظ و قصص القرون السالفة كأصحاب الرسّ و قوم عاد، فكم فى لفظه من إيجاز يسفّه حلم من يقول بلفظه، و كم فى معناه مغن للجادّ فى حفظه، أبدعت فى انواع البديع كلماته، و أغربت فى أجناس التجنيس سوره و آيته، و رمت أرباب الفصاحة بالجمود و العى فصاحته و جزالته، و أخرست ألسنتهم الذربة فأعيتهم معارضته و إزالته فأقروا له بعد تسفيه أحلامهم و تقريعهم و تعجيزهم بالحلاوة و الطلاوة، و علموا أنه ليس من كلام البشر و لكن غلبت عليهم الشقاوة، هذا مع أنهم لم يتدبروا أكثر معانيه، بل قالوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ طلبوا الغلب و ظنوا أنهم غالبون و أوسعوا الطلب فولوا و هم خائبون يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ أنزله بلسان العرب ليكون حجة عليهم و نسخ به جميع الكتب فكان انزاله أشد نازلة لديهم، و جعل أعظم معجزاته دوام آياته، متلوا بالألسنة باقيا مع بقاء الأزمنة، محفوظة فى الصدور منتقلة فى الصحائف و المصاحف من لدن الرسول محروسة من التبديل و التغيير و الزيادة و النقصان و الذهول، قرآنا لا يسأم منه تاليه، مع تكراره و تواليه، و لا يملّه واعيه، بل تتوفر على توقيره دواعيه، فى كل حين تظهر فيه من قضايا التنزيل، و خفايا التأويل، من نتائج أفكار الخلف، غير ما جادت به فطن السلف، كل حرف منه تتفجر به ينابيع من الحكمة، و كل كلمة تمطر منها سحائب الرضوان

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵

و الرحمة، و كل آية تحتوى على بحار من الإعجاز زواخر، و كل سورة تكاد تنطق بعلوم الأوائل و الأواخر، لم نجد له فى الكتب السالفة نظيرا، و لم تمدّ إليه كف معارض، منازلا كان أو مغيرا قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً.

فما رام أحد معارضته إلا عرضت له عوارض الغى و اللكن، و لا قصد مباراته إلا رمى بهجر القول و إن كان من أرباب اللسن، و عوض من كلامه الفصيح باللفظ الركيك و المعنى القبيح، قام إعجازه بتعجيزهم، و تحققوا أنه ليس من تسجيعهم و لا ترجيزهم، و صرفهم الإباء عن ترك دين آبائهم إلى الدنية، و صرفتهم الحمية حمية الجاهلية، عجزوا عن الإتيان بسورة أو آية و انتهوا من عنادهم فى التكذيب به إلى غاية فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم، و جعلهم لمن بعدهم آية، فهو الصراط المستقيم، و الذكر العظيم، و الكتاب الحكيم، و النور المبين، و الحبل المتين، و العروة الوثقى، و الآية العظمى، و كلمات اللّه و الذكرى و الدرجة العليا، و هو شفاء الغليل، و دواء العليل، و البرهان و الدليل، و البشير و النذير و البصائر و المثانى و القصص و التذكرة، و الأنباء و الآيات المبصرة، و الحكم و البلاغ و التبصرة، و البيان و التبيان، و الرحمة و البشرى و الأمان، و الروح و الحديث و التنزيل و الميزان، و حق اليقين و النبأ العظيم و المحفوظ و الكتاب الكريم، و القول الفصل و الهادى و الناطق و الحق و الغيب و المكنون و القول الثقيل و الحسرة و العجب و الصحف المطهرة و الكتب القيمة و الخيرة و الكتاب العزيز، و الكتاب لا ريب فيه، و المحكم و المتشابه و العصمة و الإمام، و الأنس عند الوحشة و الفزع، و الأمن عند الخوف و الجزع، و الضياء يوم القتر و الظلمة، و الكشف يوم الكرب و الغمة، من حكم به عدل، و من عدل عنه هوت قدمه فزل، و من استعصم به عصم و من استمطر منه الرحمة رحم.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶

(و لما) كان جامعا لهذه المعانى المتفرقة، محتويا على بدائع المبانى المشيدة و الفنون المتأنقة، و ضروب من المقاصد الخفية و الجلية، و أنواع من خفايا أسرار العوالم العلوية و السفلية، أنزله على خير رسول، قلبه منبع الحكم، و سمعه مقر صريف القلم، و عقله قد استوى على سوقه و استتم، و لسانه عن الذلل و الخطأ فى منعة و عصم، و بصره و بصيرته عنهما ما اختفى هدى و لا اكتتم، فبلّغه من التبليغ مرامه، و بيّن حلاله و حرامه، و عيّن فيه مراد اللّه من خلقه و أحكامه، و عرّف فصه و نصه، و أظهر عامّه و ما خصه، و أبدى ناسخه و

منسوخه و محكمه، و فهّم متشابهه و مبهمه، و جلا غوامضه و خفاياه، و أوضح قصصه و قضاياه، و أظهر عن أمثاله التى ليست لها أمثال، و أعلم بخفى إشاراته التى هى أدقّ من السحر الحلال، و أرق من العذب الزلال، و أنبأ بكنايته التى هى أجمل من التصريح، و صرح بحقيقته التى تسبق إليها الأذهان من غير تعريض و لا تلويح، و أوجز مجازه الذى يغير تدبر لا تجيزه العقول، و لو شاء لجعله هو و الحقيقة سيان، إلى غير ذلك من العلوم الظاهرة و الفنون الباهرة.

(خلا) ما تضمنه من العلوم الباطنة، و المعانى التى هى إلى الآن فى كمائمها كامنة، التى لم يطلع اللّه عليها من خلقه أحدا، و الخفايا التى لم يظهر عليها إلا من ارتضى من رسول، فإنه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا، فجزاه اللّه أحسن جزاء عنا، و بلغه أفضل سلام منا و صلى اللّه عليه و على آله ما طلع نجم و بدا، و ما اخضلّ نجم برذاذ و ندا، و رضى اللّه عن أصحابه ليوث غابه، و غيوث سحابه.

(فكتاب اللّه تعالى) أشرف ما صرفت إليه الهمم، و أعظم ما جال فيه فكر، و مد به قلم، لأنه منبع كل علم و حكمة، و مربع كل هدى و رحمة، و هو أجلّ ما تنسك به المتنسكون، و أقوى ما تمسك به

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷

المتمسكون، من استمسك به فقد علقت يده بحبل متين، و من سلك سبيله فقد سار على طريق قويم، و هدى إلى صراط مستقيم.

(و قد) أودع اللّه سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة و أجناس البلاغة و أنواع الجزالة و فنون البيان، و غوامض اللسان، و حسن الترتيب و التركيب، و عجيب السرد و غريب الأسلوب، و عذوبة المساغ، و حسن البلاغ، و بهجة الرونق، و طلاوة المنطق، ما أذهل عقول العقلاء، و أخرى ألسنة الفضلاء و ألغى بلاغة البلغاء من العذب و طاشت به حلومهم، و تلاشت دونه علومهم، و كلت ألسنتهم الذربة، و أقصرت خطبهم المسهبة، و قصائدهم المغربة، و أراجيزهم المعربة، و أسجاعهم المطربة، فعلموا أن معارضته مما ليس فى مقدورهم و لا وسعهم، و لا داخلا فى تقصيدهم و لا سجعهم، و أن ذلك مسلوب و مصروف عن مفردهم و جمعهم، و تركوا الطعن فيه عند تقصيد رماحهم، و أذعنوا للاستماع له و العجز عند بعد تأبيهم و جماحهم، مع قدحه فى أربابهم، و فدحه لألبابهم، و تسفيهه لأحلامهم، و تبطيله لأنصابهم و أزلامهم.

فأمسك ذوو الاحلام منهم عن اللغو فيه و الاعتداء، و أقبلوا على تدبره فهدى اللّه به من هدى، و لم يقم على الطعن فيه، و ترك التدبر لمعانيه إلا من غلبت عليه الشقاوة، و ختم اللّه على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة، فانتدبوا لمعارضته و مباراته، و مماثلته و مجاراته، فأوقعه غيّه فى عيّه و لكنه، و سقط فى سقطات لسانه بعد بلاغته و لسنه، و صار بعد أن كان فارس الفصاحة و البيان، و مالك قصبات السبق فى الرهان، يضحك من لفظه من سمعه، و يحط من قدره من رفعه، و ذهبت من لفظه تلك الجزالة، و أعظم اللّه من ضروب الجزاء و الخذية الجزاء له، كل ذلك ليظهر لنا عظم قدر كلامه العظيم، و أى رونق و بهجة للمحدث

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸

إذا قرن بالقديم، فمن جحد منهم إنما فعل ذلك عنادا و حسدا لإبائه أن يقدم عليه أحدا.

(روى) أن أبا جهل بن هشام هو و الأخنس بن قيس؛ و الوليد بن المغيرة اجتمعوا ليلة يسمعون القرآن من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و هو يصلى به فى بيته إلى أن أصبحوا، فلما انصرفوا جمعتهم الطريق فتلاوموا على ذلك و قالوا: إنه إذا رآكم سفهاؤكم تفعلون ذلك فعلوه، و استمعوا إلى ما يقوله، و استمالهم و آمنوا به، فلما كان فى الليلة الثانية عادوا و أخذ كل منهم موضعه، فلما أصبحوا جمعتهم الطريق فاشتد نكيرهم، و تعاهدوا و تحالفوا أن لا يعودوا، فلما تعالى النهار، جاء الوليد بن المغيرة إلى الأخنس بن قيس فقال: ما تقول فيما سمعت من محمد؟ فقال: ما ذا أقول؟ قال: بنو عبد المطلب فينا الحجابة، قلنا: نعم، قالوا: فينا السّدانة، قلنا: نعم قالوا: فينا السّقاية قلنا:

نعم، يقولون فينا نبى ينزل عليه الوحى و اللّه لا آمنت به أبدا.

(و روى): أن الوليد بن المغيرة سمع من النبى صلّى اللّه عليه و سلم: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ الآية. فقال: و اللّه إن له حلاوة، و إن عليه لطلاوة، و إن أسفله لمغدق، و إن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر.

(و قال أيضا): لما اجتمعت قريش عند حضور الموسم و رأت أن وفود العرب ترد، فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا، فقالوا: نقول كاهن، قال: و اللّه ما هو بكاهن، و لا هو بزمزمته، و لا سجعه؛ قالوا: مجنون، قال: ما هو بمجنون، و لا بخنقه و لا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، فقال: ما هو شاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه، و هزجه و قريضه، و مبسوطه و مقبوضه، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر و لا نفثه و لا عقده، قالوا: فما نقول؟ قال: ما أنتم بقائلين من هذا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹

شيئا إلا و أنا أعرف أنه لا يصدق و أن أقرب القول إنه ساحر، و أنه سحر يفرق به بين المرء و ابنه و المرء و أخيه، و المرء و زوجته، و المرء و عشيرته فتفرقوا و جلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل اللّه تعالى فى الوليد ذَرْنِى وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً الآيات.

و انما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة و علم العربية، و علم البيان، و نظر فى أشعار العرب و خطبها و مقاولاتها فى مواطن افتخارها، و رسائلها و أراجيزها و أسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب و معدوله، و فنون البلاغة و ضروب الفصاحة، و أجناس التجنيس، و بدائع البديع، و محاسن الحكم و الأمثال، فإذا علم ذلك و نظر فى هذا الكتاب العزيز، و رأى ما أودعه اللّه سبحانه فيه من البلاغة و الفصاحة، و فنون البيان فقد أوتى فيه العجب العجاب و القول الفصل اللباب و البلاغة الناصعة التى تحير الألباب و تغلق دونها الابواب، فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم و مجاراته لهم فى ميدان الفصاحة، ليسبل رداء عجزهم عليهم، و يثبت أنه ليس من خطابهم لديهم فعجزت عن مجاراته فصحاؤهم، و كلّت عن النطق بمثله السنة بلغائهم، و برز فى رونق الجمال و الجلال فى أعدل ميزان من المناسبة و الاعتدال، و لذلك يقع فى النفوس عند تلاوته و سماعه من الرّوعة، ما يملأ القلوب هيبة، و النفوس خشية، و تستلذ الأسماع و تميل إليه بالحنين الطباع، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة، كافرة بما جاء به أو مؤمنة .. و سنورد فى كتابنا هذا أصولا مؤصلة و فوائد مفصلة من علم البيان، و ما ورد نظيره فى القرآن ما تقف عليه و يعجبك عند النظر اليه:

(قال المصنف رضى اللّه عنه):

و هذه الجملة التى تأصلت و تحصلت و الفوائد التى بعد إجمالها

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰

فصلت، نقلتها من كتب ذوى الإتقان، علماء علم البيان التى وقفت عليها، و ترقت همة اطلاعى إليها من كتب المتقدمين و المتأخرين، و هى: كتاب البديع لابن المعتز، و كتاب الحالى و العاطل للحاتمى.

و كتاب المحاضرة له. و كتاب الصناعتين للعسكرى. و كتاب اللمع للعجمى. و كتاب المثل السائر لابن الأثير. و كتاب الجامع الكبير لابن الأثير أيضا. و كتاب البديع لأسامة بن منقذ. و كتاب العمدة للزنجانى.

و كتاب نظم القرآن له أيضا. و كتاب نهاية التأميل فى كشف أسرار التنزيل لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصارى. و كتاب التفريع فى علم البديع لزكى الدين عبد العظيم بن أبى الأصبع. و كل كتاب من هذه الكتب أخذ من كتب شتى مع ما أضفت إليها من فوائد مستعذبة، و فرائد حسنة المساق مستغربة نقلتها عن الأمة الأعلام «الأكابر»، و نقلتها عنهم من ألسنتهم لا من بطون الدفاتر، و ما أضفت إلى ذلك مما تفضل اللّه به، و منح من مهمل أبنته و مجمل فصلته، و شارد قيدته و حصلته ليكمل بهذا الكتاب النفع، و يأتى على نهاية من حسن الوصف و بديع الجمع، و إحياء لعلم البيان المطلع على نكتب نظم القرآن الذى قد عفت آثاره، و قلت أنصاره، و تقاعدت الهمم عن تحصيله و ضعفت العزائم عن معرفة فروعه فضلا عن أصوله، فما علم من علوم الاسلامية رمى بالهجر و النسيان ما رمى به علم البيان.

و لو أداموا النظر فيه، و التلمح لمعانيه. لاطلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهش لها القلوب، و دقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب، و من لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معانى الكتاب العزيز بمعزل، و لم يقم ببعض حقوق المنزل و المنزل، و من وقف على هذه الأصول التى أصلتها و الفصول التى فصلتها، ظهر له مصداق هذه الدعوى، و أخذ من التوصل إلى معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى، و حسن عنده موقعه، و عظم فى نفسه محله و موضعه. و خالطت قلبه بشاشة رونقه، و جليت

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱

فى عينه نضارة نظائره و حسن مونقه.

(و كلام العرب) فى خطبها و أشعارها و نثرها و نظامها منقسم إلى ثلاثة أقسام: ورد منها فى الكتاب العزيز قسمان، و قسم لم يرد منه فيه شىء و سأبين ذلك إن شاء اللّه تعالى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲

القسم الأول و هو ينقسم الى اربعة و ثمانين قسما

القسم الأول: فى الكلام على الفصاحة و البلاغة.

اشارة

و الكلام عليهما من وجوه: الأول فى حدهما. الثانى فى اشتقاقهما. الثالث فى التفرقة بينهما.

أما الأول فى حدهما:

فقد قال علماء هذا الشأن: إنّ حدّ البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى نفسه، مع الاحتراز من الايجاز المخل، و التطويل الممل .. و قال قوم: البلاغة إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ .. و قيل: البلاغة الايجاز مع الافهام و التصرف من غير اضجار .. قال خالد بن صفوان: أبلغ الكلام ما قلّت ألفاظه، و كثرت معانيه، و خير الكلام ما شوّق أوله إلى سماع آخره .. و قال غيره: انما يستحق الكلام اسم البلاغة إذا سابق لفظه معناه إلى قلبك.

و أما الفصاحة فهى خلوص الكلام من التعقيد.

الثانى فى اشتقاقهما:

قال علماء هذا الشأن: إن اشتقاق البلاغة من البلوغ إلى الشىء و هو الوصول إليه. و يجوز عندى أن يكون الكلام البليغ الذى بلغ من جودة الألفاظ و عذوبة المعانى إلى غاية لا يبلغ إلى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳

مثلها إلا مثله.

و أما الفصاحة فقالوا: اشتقاقها من الفصيح، و هو اللبن الذى أخذت منه الرغوة، و ذهب لباؤه يقال فصح الرجل اذا صار كذلك و أفصحت الشاة اذا فصح لبنها.

الثالث فى الفرق بينهما:

قال قوم من أرباب علم البيان:

الفصاحة و البلاغة متعاقبان على معنى واحد .. و قال قوم: البلاغة فى المعانى و الفصاحة فى الألفاظ. يقال معنى بليغ، و لفظ فصيح (و ليست) الفصاحة و البلاغة مختصين بالالفاظ العربية و انما يطلقان على كل ما لفظه غريب و فهمه قريب.

و إذا تقرر هذا فقد احتوى الكتاب العزيز على جمل من ذلك أفرغت فى قالب الجمال، و أترعت لها كئوس الاحسان و الإجمال، و أتت على معظمها و أجلّها، و استوفت نصاب ملكها، لازمة علم البيان، و أدلّها، و أنا أذكرها نوعا نوعا، و قسما قسما، محلا ببراهينه و شواهده، سافرا عن نضارة وجوه نظائره و فوائده بعد استيفاء الكلام على الحقيقة و المجاز، إذ الكلام لا يخلو عنهما أو عن أحدهما.

فنبدأ بالكلام على الحقيقة، و الكلام فيها من ثلاثة أوجه: الأول:

اشتقاقها. الثانى: حدها. الثالث: أقسامها.

أما الأول فالحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة و فى اشتقاقها قولان.

أحدهما: انها مشتقة من حقّق الشىء يحققه اذا أثبته، و الآخر: أنها من حققت الشىء أحقه إذا كنت منه على يقين.

و أما الثانى: فلها حدان. الأول فى المفردات. و الثانى فى الجمل .. فأما حدها فى المفردات: فهى كل كلمة أريد بها ما وقعت به فى وضع واضع وقوعا لا يسند فيه إلى غيره، كالأسد للحيوان

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴

المخصوص المعروف .. الثانى حدها فى الجمل: فهو كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه فى العقل، و واقع موقعه مثاله خلق اللّه العالم و أنشأ العالم- فأنشأ- واقعة موقع- خلق.

و أما الثالث فأقسامها ثلاثة: حقيقة لغوية. و حقيقة شرعية.

و حقيقة عرفية .. و هى على قسمين عامة و خاصة. فالعامة كاستعمال لفظ الدابة فى الحمار، و خاصة نحو استعمال لفظ الجوهر فى المتحيز الذى لا ينقسم.

و أما المجاز فالكلام عليه أيضا من خمسة أوجه: الأول: فى المعنى الذى استعملت العرب المجاز من أجله. الثانى: فى حدّه.

الثالث: فى اشتقاقه. الرابع: فى علة النقل. الخامس: فى أقسامه.

أما الأول فإن المعنى الذى استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع فى الكلام، و كثرة معانى الالفاظ ليكثر الالتذاذ بها فإن كل معنى للنفس به لذة، و لها إلى فهمه ارتياح و صبوة، و كلما دقّ المعنى رقّ مشروبه عندها وراق فى الكلام انخراطه، و لذ للقلب ارتشافه، و عظم به اغتباطه، و لهذا كان المجاز عندهم منهلا- موردا عذب الارتشاف، و سبيلا- مسلوكا لهم على سلوكه انعكاف، و لذلك كثر فى كلامهم حتى صار أكثر استعمالا من الحقائق، و خالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائق و لفظ فائق، و اشتدّ باعهم فى إصابة أغراضه فأتوا فيه بالخوارق و زينوا به خطبهم و أشعارهم حتى صارت الحقائق دثارهم، و صار شعارهم.

و أما الثانى: فحدّه على قسمين: حدّ فى المفردات. و حدّ فى الجمل ..

أما حده فى المفردات فهو كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له فى وضع واضعها .. و قيل: حده استعمال اللفظ الحقيقى فيما وضع له دالا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵

عليه، ثانيا لتسويته علاقة بين مدلول الحقيقة و المجاز ..

و أما حده فى الجمل: فهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه بضرب من التأويل.

و أما الثالث: فاشتقاقه من جاز الشىء يجوزه إذا تعداه و عدل عنه.

فاللفظ إذا عدل به عما يوجبه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلى أو جاوز هو مكانه الذى وضع فيه أوّلا.

و أما الرابع: فالمعنى الذى وقع به النقل شيئان. أحدهما أن يكون المنقول عن معنى وضع اللفظ بازائه أولا من غير مناسبة و لا علاقة، كالأعلام المنقولة، و بهذا يتميز عن المشترك. الثانى: أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما أو علاقة، و لأجل ذلك لا توصف به الأعلام المنقولة، لأنها مجازات مثل تسمية الرجل بالحجر، فإنه ليس هذا النقل لتعلق بين حقيقة الحجر و بين ذلك الشخص، و أما إذا تحقق الشرطان فإنه يسمى مجازا، و ذلك مثل تسمية النعمة أو القوة باليد لما بينهما من التعلق فإن النعمة إنما تعطى باليد و القوة إنما تظهر بكمالها فى اليد .. و من ذلك أيضا تسمية المزادة بالراوية، و هى اسم للبعير الذى يحمل عليه فى الأصل، و مثل ما بين النبت و الغيث و السماء و المطر حيث قالوا: رعينا الغيث يريدون النبت الذى الغيث سبب نشوء عادة، و قالوا أصابتنا السماء، يريدون أصابنا المطر ..

و قال قوم: المجاز لا يصح إلا بنسبة مع علاقة بين مدلول الحقيقة و المجاز، و تلك النسبة متنوعة فإذا قوى التعلق بين محلى الحقيقة و المجاز فهو الظاهر الواضح، و إذا ضعف التعلق إلى حدّ لم تستعمل العرب مثله و لا نظير له فى المجاز، فهو مجاز التعقيد و لا يحمل عليه شىء فى الكتاب و السنة، و لا يوجد مثله فى كلام فصيح. و قد تقع علاقة بين الضعيفة و القوية، فمن العلماء من يتجوز بها لقربها بالنسبة

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶

إلى العلاقة الضعيفة، و منهم من لا يتجوز بها لانحطاطها عن العلاقة القوية، و هذا مذكور فى الكتب المختصة بأصول الفقه.

الخامس: أقسامه و هى كثيرة. الأول: مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق و أقسامه كثيرة .. و قد انتهت عدة ما احتوى عليه الكتاب العزيز الى أربعة و عشرين قسما:

الاول: التجوز بلفظ العلم عن المعلوم كقوله تعالى: وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ أراد بشىء من معلومه. و كقوله تعالى:

ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أى من المعلوم. و كذلك قوله تعالى:

فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ أى المعلوم.

الثانى: التجوز بلفظ المعلوم عن العلم و سيأتى بيانه و أمثلته.

الثالث: التجوز بلفظ المقدور عن القدرة مثل قولهم: رأينا قدرة اللّه أى مقدور اللّه: و منه قوله تعالى: صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ أى مصنوعه.

الرابع: التجوز بلفظ الإرادة عن المراد كقوله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ و المعنى و يفرقون بين اللّه و رسله بدليل أنه قوبل بقولهم و لم يفرقوا بين أحد منهم و لم يقل و يريدون أن يفرقوا بين أحد منهم.

الخامس: التجوز بلفظ المراد عن الارادة كقوله تعالى: وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ معناه و ان أردت الحكم فاحكم بينهم بالعدل و فيه مجاز من وجهين. أحدهما التعبير بالحكم عن إرادته.

و الآخر التعبير بالماضى عن المستقبل.

السادس: اطلاق اسم الفعل على الجزء الأول منه، و على الجزء الاخير منه و مثاله قوله تعالى: وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷

أراد بالرمى المنفى آخر أجزاء الرمى التى وصل التراب به الى أعينهم و بالرمى المثبت شروعه فى الرمى و أخذه فيه، فيكون المعنى: و ما أوصلت التراب إلى أعينهم إذ شرعت فى الرمى و أخذت فيه. و منه قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «صلى بى جبريل عليه السلام الظهر حين زالت الشمس» أى شرع فى الصلاة و أخذ فيها. «و صلى بى الظهر فى اليوم الثانى حين صار ظل الشىء مثله» و أراد بذلك آخر أجزاء الصلاة و هو السلام .. و هذا من مجاز التعبير بلفظ الكل عن البعض، و كذلك نظائره، و يصحح هذا ما بين الإرادة و المراد من النسبة و التعلق، و يجوز أن يكون المصحح كون المراد مسببا عن الارادة، فيكون تجوزا باسم المسبب عن السبب بخلاف التعبير

بالمعلوم عن العلم فإنه ليس مسببا عنه و لا مؤثرا فيه.

السابع: التجوز بلفظ الأمل عن المأمول، و ذلك فى قوله تعالى:

وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلًا أى و خير مأمولا.

الثامن: التجوز بلفظ الوعد و الوعيد عن الموعود من ثواب و عقاب و هو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ و مثله: إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا أى موعوده.

التاسع: إطلاق العهد و العقد على الملتزم منهما، و هو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و قوله تعالى: وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ و قوله تعالى: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي عبّر بهذه العهود كلها عن موجبها و مقتضاها و هو الذى التزم بها.

العاشر: اطلاق اسم البشرى على المبشر به و هو فى القرآن كثير.

من ذلك قوله تعالى: بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ و قال أبو على: التقدير بشراكم اليوم دخول جنات أو خلود جنات، لأن البشرى مصدر،

و الجنات جرم، فلا يخبر بالجرم عن المعنى.

و قال الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام: لا حاجة إلى هذا التعسف لأن البشرى ليست عين الدخول، و لا عين الخلود، كما أنها ليست عين الجنات، و لا بد من تأويله على كلا القولين بما ذكرناه، و إلا كان خلفا لأن البشرى قول، و لا يجوز أن يخبر عن القول بأنه جرم، و لا بأنه دخول و لا خلود.

الحادى عشر: اطلاق اسم القول على المقول فيه و هو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ و منه قوله: سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً معناه وجب عليهم العذاب المقول فيه. و منه قوله تعالى: فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا أى من مقولهم و هو الأدرة.

الثانى عشر: اطلاق اسم النبأ عن المنبأ عنه و هو فى القرآن كثير.

من ذلك قوله تعالى: فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ.

الثالث عشر: اطلاق الاسم على المسمى، و هو فى القرآن كثير.

من ذلك قوله تعالى: ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها معناه ما تعبدون من دونه إلا مسميات. و منه قوله تعالى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى أى سبح ربك الأعلى، و لذلك نقل عن الصحابة رضى اللّه عنهم أنهم كانوا اذا قرءوها قالوا: سبحان ربى الأعلى. و قال عليه الصلاة و السلام: «اجعلوها فى سجودكم» و منه قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «بسم اللّه الذى لا يضرّ مع اسمه شىء فى الأرض و لا فى السماء».

و من جعل الاسم هو المسمى فى قوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ كان التقدير فيه أقرأ باللّه أى بمعونته و بتوفيقه، و من جعله

التسمية كان التقدير أتبرك بذكر اسم اللّه، و بهذا يرد على من قدّر ابتدائى، أو بدأت باسم اللّه، إذ لا وجه للتبريك على بعض الفعل دون سائره، و لا لنسبة ابتداء الفعل إلى التوفيق دون سائره، لأن الحاجة داعية الى التبرّك و التوفيق فى جميع الفعل دون انتهائه و ابتدائه.

الرابع عشر: اطلاق اسم الكلمة على المتكلم به، و منه فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى: وَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ أى لا مبدل لعذاب اللّه، أو لا مبدل لمقتضى عذاب اللّه، و منه قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ تجوز بالكلمة عن المسيح لكونه تكوّن بها من غير أب بدليل قوله تعالى: وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ و لا تنصف الكلمة بذلك، و أما قوله اسمه المسيح فإنّ الضمير فيه عائد إلى مدلول الكلمة، و المراد بالاسم المسمى فالمعنى المسمى المبشر به المسيح ابن مريم.

الخامس عشر: اطلاق اسم اليمين على المحلوف و هو فى القرآن فى موضعين أحدهما قوله تعالى: وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ أى و لا تجعلوا قسم اللّه أو يمين اللّه مانعا لما تحلفون عليه من البر و التقوى بالصلاح بين الناس «۱».

السادس عشر: اطلاق اسم الحكم على المحكوم به و ذلك قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ أى بما يحكم به لكل واحد منهم من ثواب و عقاب فتجوز بالحكم عن متعلقه و هو المحكوم به، و كذلك التعبير بلفظ القضاء عن المقضى به فى قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «أعوذ بك من سوء القضاء» أى من سوء ما قضيت به، إذ لا

---

(۱) سقط من الاصل ذكر الموضع الثانى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰

تصح الاستعاذة من قضاء اللّه، لأنه صفة قديمة له لا يمكن تبديلها و لا تغييرها، و مثله: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ أى فاصبر لما حكم به عليك، و كذلك قول الداعى: اللهم رضنى بقضائك، أى بما قضيته لى أو علىّ من غير معصية، فإن المعاصى مقضية أيضا، و قد أمرنا اللّه تعالى بكراهتها فنمتثل أمر اللّه تعالى فى كراهتها و إن وقعت.

السابع عشر: التجوز بلفظ العزم على المعزوم عليه و هو كثير فى القرآن، و منه قوله تعالى: وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أى ان ذلك الصبر و الغفر مما يعزم عليه من الأمور، و منه قوله تعالى: وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ تجوز بالعزم عن المعزوم عليه لتعلقه به و معناه، و لا تعقدوا عقدة النكاح، أو يكون التقدير و لا تعزموا على تنجيز عقدة النكاح.

الثامن عشر: التجوز بلفظ الهوى عن المهوى، و هو فى القرآن العظيم فى موضعين أحدهما قوله تعالى: وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى معناه و نهى النفس عما تهواه من المعاصى، و لا يصح نهيها عن هواها، و هو ميلها لأنه تكليف ما لا يطاق إلا أن تقدر حذف مضاف معناه و نهى النفس عن اتباع الهوى، فيكون من مجاز الحذف، و منه قوله تعالى:

أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ يحتمل أن يريد به بهواه لانهم كانوا يعبدون الصنم، فإن استحسنوا غيره عبدوه و تركوا الأول، و يحتمل أن يكون المراد به مجاز التشبيه، فإن الانسان إذا طاوع هواه فيما يأتيه و يتركه فقد نزل الهوى منزلة المعبود المطاع.

التاسع عشر: اطلاق اسم الخشية على المخشىّ و هو فى القرآن العزيز فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ معناه هم من عقوبة ربهم خائفون.

العشرون: اطلاق اسم الحب على المحبوب و ذلك قوله تعالى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱

إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي معناه أحببت محبوب الخير عن ذكر ربى.

الحادى و العشرون: اطلاق اسم الظن على المظنون و هو فى القرآن العظيم فى موضعين. أحدهما قوله تعالى: وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ معناه أى شىء مظنونهم أ هو الهلاك أو النجاة. الثانى قوله تعالى: وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا معناه ذلك الخلق الباطل مظنون الذين كفروا. و أما قوله تعالى: اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره اجتنبوا كثيرا من اتباع الظن إن اتباع الظن ذنب، و يجوز أن يكون تجوز بالظن عن المظنون و هو أمره باجتناب فعل وقع منهم.

الثانى و العشرون: اطلاق اسم اليقين على المتيقن، و هو فى القرآن العظيم فى موضعين. أحدهما قوله تعالى: وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ معناه و اعبد ربك حتى يأتيك الموت لكل أحد. و منه قوله تعالى: وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ معناه: حتى أتانا الموت المتيقن لكل أحد.

الثالث و العشرون: اطلاق اسم الشهوة على المشتهى، و هو فى القرآن العظيم فى موضعين. أحدهما قوله تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

الشَّهَواتِ أى حب المشتهيات بدليل أنه قال: مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ الثانى قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا إن الذين يشتهون الفاحشة فى أعراض الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا و الآخرة، و لذلك أوجب عليهم فى الدنيا الحد، و فى الآخرة العذاب و لا يتعلق الحد بمجرد حب الاشاعة.

الرابع و العشرون إطلاق اسم الحاجة على المحتاج إليه، و هو فى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲

القرآن العظيم كثير. فمن ذلك قوله تعالى: وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما كانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضاها معناه ما كان دخولهم يدفع عنهم من قضاء اللّه و قدره شيئا، و لكن طلب حاجة فى نفس يعقوب قضاها، و يحتمل و لكن حاجة فى نفس يعقوب قضى متعلقها، لأن الحاجة الحقيقية التى هى الافتقاد لا تقضى، و إنما يقضى متعلقها الذى هو المحتاج اليه، و منه: وَ لا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا معناه: و لا يجدون فى قلوبهم تمنى شىء يحتاجون إليه مما أعطيه المهاجرون .. و هذه الأقسام كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلق به، أو من مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق و مصحح المجاز فيه ما بينهما من النسبة.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳

القسم الثانى اطلاق اسم السبب على المسبب و هو أربعة أقسام:

القسم الأول: قوله تعالى: فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ سمى عقوبة الاعتداء اعتداء لأنه المسبب عن الاعتداء، و منه قوله تعالى: وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها تجوز بلفظ الجناية عن القصاص، فإنه مسبب عنها، و التقدير جزاء جناية قبيحة عقوبة قبيحة مثلها فى القبح، و إن عبرت بالسيئة عما ساء أى أحزن لم يكن من هذا الباب، لأن الإساءة تحزن فى الحقيقة كالجناية. و منه قوله تعالى: وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها .. و يحتمل أن يكون مكر اللّه حقيقيا، لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية، و هذا متحقق من اللّه تعالى لاستدراجه اياهم بما أجرى عليهم من نعمه مع ما أعد لهم من نقمه.

الثانى: اطلاق اسم الكتابة على الحفظ فإن الكتابة سبب لحفظ المكتوب، و هو فى القرآن العظيم فى موضعين. أحدهما قوله تعالى: سَنَكْتُبُ ما قالُوا أى سنحفظه و لا ننساه حتى نجازيهم به. و الآخر قوله تعالى: سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ أى نحفظه عليهم فإن الملائكة قد كتبوا ذلك لما قالوا، و قتلوا الأنبياء فاستعمل اللفظ المستقبل فى حفظه دون كتابته، (و أما) قوله تعالى: أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ فإنه تجوز بالكتابة عن الثبوت و الدوام، فإن الكتابة مستمرّة

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴

باقية فى العادة، (و أما) قوله تعالى: إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ ففيه مذهبان. أحدهما: أنه من مجاز الحذف تقديره إن المنافقين يخادعون رسول اللّه، و اللّه خادعهم، فيكون خداعهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حقيقيا. و أما خدع اللّه إياهم، فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب، و يجوز أن يكون من مجاز التشبيه معناه أنه عاملهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم من إرادة إضرارهم و إهلاكهم، و يجوز ان يكون حقيقة بما ذكرناه فى المكر، و يتأتى أن يكون مخادعتهم للّه من مجاز التشبيه بمعنى أنهم يعاملونه معاملة المخادع و يكون خدعهم من مجاز المعاملة، و يجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب، فيكون من مجاز المجاز فإن مخادعتهم مجازية تجوز بها عن شبهها و كان اطلاق اللفظ من مجاز التشبيه.

الثالث: اطلاق اسم السمع على القبول و هو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ معناه ما كانوا يستطيعون قبول ذلك و العمل به، لأن قبول الشىء مرتب على استماعه و مسبب عنه، و يجوز أن يكون نفى السمع لانتفاء فائدته فيصير كقولهم أنهم لا أيمان لهم أى لا وفاء ايمان لهم ... و منه قول الشاعر:

و ان حلفت لا ينقض النأى عهدهافليس لمخضوب البنان يمين معناه: ليس لمخضوب البنان وفاء يمين.

الرابع: اطلاق اسم الايمان على ما نشأ عنه من الطاعة و هو فى القرآن كثير. فمن ذلك قوله تعالى: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ معناه: ما كان اللّه ليضيع أجر صلاتكم إلى الصخرة قبل النسخ. و منه قوله تعالى: أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ معناه أ فتعملون ببعض التوراة و هو فداء الأسارى فتجوز بالايمان عن العمل بما يوافق الكتاب، لأنه مسبب عن الايمان و تتركون العمل ببعض و هو قتل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵

اخوانكم و اخراجهم من ديارهم. و منه قوله صلّى اللّه عليه و سلّم:

«الايمان بضع و سبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا اللّه و أدناها إماطة الأذى عن الطريق» جعل القول و إماطة الأذى عن الطريق إيمانا لأنهما مسببان عن الايمان.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶

القسم الثالث اطلاق اسم المسبب على السبب و هو ثمانية أقسام:

القسم الأول: اطلاق اسم العقوبة على الإساءة و الجناية. و منه قوله تعالى: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ معناه و إن أردتم معاقبة مسيء فعاقبوه بمثل ما بدأكم به من الإساءة فقوله- و ان عاقبتم- من مجاز التعبير بلفظ الفعل عن ارادته و قوله- بمثل ما عوقبتم به- من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب و قوله- فعاقبوا- حقيقة اكتنفها المجازان. و كذلك قوله: ذلِكَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ فعاقب حقيقة و عوقب به من مجاز تسمية السبب باسم المسبب. و من هذا النوع قول العرب: كما تدين تدان معناه: كما تفعل تجزى لأن الدين هو الجزاء فتجوّز به عن الجناية لأنه مسبب عنها .. و كذلك قول الشاعر:

و لم يبق سوى العدوان دنّاهم كما دانوا معناه: جزيناهم بما فعلوا فدناهم حقيقة و دانوا مجاز.

القسم الثانى: اطلاق الأكل على الأخذ لمّا كان الأكل مسببا عن الأخذ. و منه قوله تعالى: وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ معناه لا تأخذوا أموالكم بالسبب الباطل كالقمار و نحوه.

القسم الثالث: اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التى هى مسبّب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷

عنها. و منه قوله تعالى: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ عبر بلفظ الغلبة عن المقاتلة، لأن الغلبة مسببة عن المقاتلة.

الرابع: اطلاق اسم الرجز على عبادة الأصنام. و منه قوله تعالى:

وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ تجوّز بالرجز و هو العذاب الشديد عن عبادة الأصنام، لأن العذاب مسبب عنها (و أما) قوله تعالى: وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ فهو من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن سبب سببه، لأن وساوس الشيطان سبب لمعصية الرحمن، و معصية الرحمن سبب لعذاب الديان، فبان أن الوسوسة سبب للمعصية، و المعصية سبب للعذاب، و يجوز أن تجعل الوسوسة نفسها رجزا لمشقتها على أهل الايمان، و كلما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز .. قال أبو عبيد الرجز و الرجس:

هما العذاب الشديد. و كذلك ما أشبهه.

الخامس: اطلاق اسم المغفرة على التوبة. و منه قوله تعالى:

وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ تجوّز باسم المغفرة عن التوبة.

السادس: اطلاق اسم الكبرياء على الملك لأنها مسببة عن الملك، و منه قوله تعالى: وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ.

السابع: اطلق اسم القوة على السلاح، لأن القوّة على القتال تكون عنها. و منه قوله تعالى: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ لأن القوة

على قتالهم مسببة عن الأسلحة فسماها باسم مسببها، أو يكون ذلك من مجاز الحذف تقديره و أعدوا لهم ما استطعتم من أسباب قوة أو من أدوات قوة.

الثامن: اطلاق اسم الاعطاء و الإيتاء على الالتزام فمن ذلك قوله تعالى: فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ معناه اذا سلمتم ما التزمتموه بالمعروف لمّا كان التسليم مسببا عن الالتزام عبر به عنه. و من ذلك قوله تعالى: وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَ أى اذا التزمتم لهن مهورهن .. و يحتمل أن يكون

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸

من مجاز الحذف تقديره اذا آتيتم أهلهن مهورهن و لا يدلّ قوله فانكحوهن بإذن أهلهن على صحة النكاح بغير ولىّ، لأنه لم يذكر المأذون له، و يجوز أن يكون المراد الوكيل، و يجوز و يحتمل أن تكون المرأة و حمله على الوكيل أولى، لأن الغالب فى الأنكحة أنه يتولى ذلك الرجال دون النساء، فيجب الحمل على الغالب لأن مباشرة المرأة النكاح فى غاية الندور، فلا يجوز حمل الكلام عليه اذ لا يوجد لمثل هذا نظير فى كلام العرب من أنهم أرادوا بيان شىء و الارشاد الى مصلحة فيبينوه بأن أحواله مع الاستغناء عنه، و يهملوا الأغلب مع مسيس الحاجة إليه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹

القسم الرابع اطلاق اسم الفعل على غير فاعله لمّا كان سببا له و هو أربعة أقسام:

الأول: نسبة الفعل إلى من كان سببا له. من ذلك قوله تعالى:

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ و هو من عند اللّه على الحقيقة، و لكنه نسب ما أصابهم من قتل اخوتهم الى سببه. و منه قوله تعالى: فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ و الماهد هو اللّه على الحقيقة، و لكنه نسب اليهم تمهيد المرقد لتسببهم اليه بالعمل الصالح.

الثانى: اطلاق نسبة الفعل على سبب سببه و هو فى القرآن كثير.

و منه قوله تعالى: رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ نسبوا صلىّ النار إلى سبب سببه لأن الكبراء أمروهم و هم امتثلوه و المقدّم على الحقيقة هو اللّه تعالى، و سبب كفرهم أمر رؤسائهم اياهم بالكفر.

و منه: فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ و منه قوله تعالى: كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ و منه: فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى المخرج و النازع على الحقيقة هو اللّه تعالى.

الثالث: نسبة الفعل الى الآمر به، و هو فى القرآن كثير. منه قوله تعالى: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما و منه: الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما و منه قوله تعالى: فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰

جَلْدَةً فان كان هذا أمرا للولاة فهو أمر بالأمر باقامة الحدود، و ان كان أمرا لمستوفى الحقوق أو مباشرها فهو حقيقة (فأما) قوله: رجم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ماعزا و الغامدية. و قوله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. فكل ذلك من باب نسبة الفعل الى الآمر به. و من ذلك قوله تعالى: وَ نادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ أى أمر من ينادى فى قومه.

الرابع: نسبة الفعل إلى الآذن فيه و هو فى القرآن كثير. و من ذلك قوله تعالى: وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً الآخذ على الحقيقة هو الولىّ، و المرأة الآذنة فيه، و هذا أخذ مجازى و نسبته اليهن مجازية أيضا كما ذكرناه .. و قد اختلف فى الميثاق فقيل: إنه العقد، و قيل: انه قول الولىّ زوّجتك على ما أمر اللّه به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. و منه قوله تعالى: فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَ و قوله تعالى: فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ نسب النكاح اليهن لإذنهن فيه و هذا على قول من قال ان المرأة العاقلة البالغة الثيب لا تنكح نفسها. و أما على قول من قال انها تنكح نفسها فهو حقيقة فيهن مجاز فيما سواهن.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱

القسم الخامس الأخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم،

و فى خطابهم بما يتعلق ببعضهم و هو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ معناه ثم اتخذ العجل بعض أسلافكم فإن جميع الخلف و السلف لم يتخذوا العجل إلها، و إنما وجد من بعضهم فصار هذا كقول امرئ القيس:

فإن تقتلونا نقتّلكم و إن‌تقصدوا لدم نقصد معناه: فإن قتلتم بعضنا نقتّلكم إذ لا يتصوّر أن يقتلوهم بعد استيعاب جميعهم بالقتل، و هذا الباب كله من مجاز الحذف، و له قاعدة يتفرع عليها، و هى إن كان البعض واحدا كان التقدير و إذ فعل أحدكم.

و مثاله قوله تعالى: وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً و ان كان البعض أكثر من واحد كان التقدير، و إذا فعل بعضكم. و مثاله قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً و كان القائلون لذلك سبعين، و من زعم أنه نسب الفعل إليهم لأنهم رضوا به لا يستقيم قوله لأنا نعلم أنهم لم يتفقوا على الرضى فى قتل النفس و لا باتخاذ العجل و لا بقولهم- لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً- و لا بقولهم: لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ و أيضا فان نسبة الفعل الى الراضى به مجاز و إلى فاعله

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲

حقيقة فإذا حمل- على- عليهما كان حملا على حقيقة غالبة و مجاز مغلوب، و ذلك لا يجوز.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳

القسم السادس اطلاق اسم البعض على الكل و هو سبعة عشر قسما:

الأول: التعبير بالقيام عن الصلاة. و من ذلك قوله تعالى: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا أى صلّ الليل إلا قليلا. و قوله تعالى: لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً أى لا تصلّ فيه أبدا.

الثانى: التعبير بالركوع عن الصلاة و هو فى قوله تعالى:

وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ أى صلى مع المصلين. و قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ أى و إذا قيل لهم صلوا لا يصلون.

الثالث: التعبير عنها بالسجود. و ذلك فى قوله تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ أى فصلّ له. و منه قوله تعالى: فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ أى فاذا صلوا فليكونوا من ورائكم. و منه قوله تعالى:

يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ أى و هم يصلون لأن التلاوة منهىّ عنها فى السجود الحقيقى فلا يصح المدح فيما نهى عنه.

الرابع: التعبير عنها بالقراءة فى قوله تعالى: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ و فى قوله: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.

الخامس: التعبير عنها بالتسبيح فى قوله: وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا و فى قوله: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ و فى قوله: وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا و أمثاله فى القرآن كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴

السادس: التعبير عنها بالذكر فى قوله: وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا و فى قوله: فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ معناه فإذا أمنتم فصلوا للّه.

السابع: التعبير عنها بالاستغفار فى قوله وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ و حمله بعضهم على الحقيقة.

الثامن: التعبير بالذقن عن الوجه فى قوله تعالى: يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً و فى قوله: يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ أى للوجوه.

التاسع: التعبير بالأنف عن الوجه فى قوله تعالى: سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ:

العاشر: التعبير بالرقبة عن الجملة فى قوله تعالى: فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ و فى قوله: وَ فِي الرِّقابِ و فى قوله: فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ فإن هذه

الأفعال لا تختصّ بالرقاب بل تعمّ الأجساد و كذلك ما أشبهه.

الحادى عشر: التعبير باليدين عن الجملة و هو فى القرآن كثير.

من ذلك قوله تعالى: ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ.

الثانى عشر: التعبير باليمين عن الجملة. و منه قوله تعالى:

لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ.

الثالث عشر: التعبير بالعضد عن الجملة فى قوله تعالى: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ.

الرابع عشر: التعبير بالأصابع عن الكف و الأرجل كقوله تعالى:

فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ.

الخامس عشر: التعبير بالوجه عن الجسد. و منه قوله عز و جل:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ و منه قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵

عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً عبر بالوجوه عن الأجساد لأن العمل و النصب صفتان للأجساد.

السادس عشر: التعبير بالمسجد الحرام عن الحرم كله فى قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا (و يجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره فلا يقربوا حرم المسجد الحرام.

السابع عشر: التعبير بمكة عن الحرم كله فى قوله عليه الصلاة و السلام: «إنّ اللّه حرّم مكّة يوم خلق السموات و الأرض لا ينفّر صيدها و لا يعضد شجرها». و معلوم أن البلد نفسه لا صيد فيه مباح و لا شجر أيضا (و أما) قوله تعالى: ثُمَّ مَحِلُّها فإنه تجوّز بالبيت العتيق عن الحرم كله إذ لا يجوز النحر فيما اتصل بالبيت من المسجد المحيط (و يجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره، ثم محلها إلى حرم البيت العتيق.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶

القسم السابع اطلاق اسم الكل على البعض و هو أحد عشر قسما

الأول: قوله تعالى: وَ إِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ و معلوم انه لم ير جملتهم و إنما دائر وجوههم و ما يبدأ منهم.

الثانى: قوله تعالى: فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً.

الثالث: قوله تعالى: وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ على قول من قال استيعاب مسح الرأس ليس بواجب.

الرابع: قوله تعالى: يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ و انما جعلوا بعض أناملهم.

الخامس: قوله تعالى: ادْخُلُوا مِصْرَ و معلوم أنهم لم يستوعبوها.

السادس: قولهم: «خرجت من المسجد» و مثله فى القرآن كثير.

السابع: وصف البعض بوصف الكل و هو فى قوله تعالى: يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ.

الثامن: قوله تعالى: لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ الخطأ صفة للكل فوصفت به الناصية (و أما) قوله- كاذبة- فالكاذب على

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷

الحقيقة هو اللسان و نسبة الكذب إلى الإنسان من مجاز وصفه بصفة بعضه و تجوز عن هذا المجاز بأن وصفت به الناصية فيكون مجازا عن مجاز.

التاسع: نسبة الظن إلى الوجوه فى قوله تعالى: تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ فإن الظن وصف للقلوب على الحقيقة، و يضاف إلى الأجساد

على التجوز فيكون مجازا عن مجاز.

العاشر: وصف الوجوه بالخشوع فإن محل الخشوع القلوب، ثم توصف به الجملة، ثم توصف الوجوه بصفة الجملة.

الحادى عشر: وصفها بالرضى فى قوله تعالى: لِسَعْيِها راضِيَةٌ وصف لها بصفة القلوب و هذا كله من مجاز القلوب.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸

القسم الثامن فى التجوز بوصف الكل بصفة البعض و هو أربعة أقسام:

الأول: من ذلك قوله تعالى: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ و الوجل الخوف و محله القلب و يدل عليه قوله تعالى: وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.

الثانى: قوله تعالى: لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً و الرعب انما يملأ القلوب فنسب إلى الأجساد و وصف القلوب بالامتلاء مجاز أيضا.

الثالث: قولك زيد عالم و جاهل و راغب و خائف و آمن و متفكر و شاك و متذكر و عاقل و لين و قاس و قانع فهذه كلها من أوصاف القلوب، و قد وصفت بها الجملة.

الرابع: قوله تعالى: كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَ نَذِيراً وصف القرآن بالبشارة و النذارة و كلاهما بعض من أبعاضه لاشتماله على الأمر و النهى، و الحدود و الحلال و الحرام و سائر الأحكام و نسبة البشارة و النذارة إليه مجازية أيضا.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹

القسم التاسع اطلاق اسم الفعل على مقاربه و مساوقه و هو قسمان:

الأول: قوله تعالى وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ معناه و إذا طلقتم النساء فقاربن انقضاء عددهن و شارفنه فأمسكوهن بمعروف.

الثانى: قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً معناه و الذين يقاربون الوفاة و ترك الأزواج و يشارفونها .. و كذلك ما أشبهه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۰

القسم العاشر اطلاق اسم الشىء على ما كان عليه و هو قسمان:

الأول: من ذلك قوله تعالى: وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ معناه الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ.

الثانى: قوله تعالى: فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَ معناه:

الذين كانوا أزوجهن لأنها نزلت فى معقل بن يسار و أخته لما حلف أنه لا يزوجها من زوجها عبد اللّه بن رواحة.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۱

القسم الحادى عشر اطلاق اسم الشىء بما يؤول اليه و هو قسمان:

الأول: من ذلك قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى أى فيمن يقتل من القتلى.

الثانى: قوله تعالى: إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً أى أعصر عنبا .. و من ذلك قوله تعالى: وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۲

القسم الثانى عشر اطلاق اسم المتوهم على المحقق و هو خمسة أقسام:

الأول: من ذلك قوله تعالى: يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ أى فى ظنكم و حسبانكم.

و الثانى: قوله تعالى: وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ أى فى ظن الناظر اليهم و حسبانه.

الثالث: قوله تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ و لم يصر كالعرجون القديم إلا فى الحسبان و الظن و رأى العين .. و كذلك تقديره منازل إنما هى منازل من رأى العين فإن القمر فى الفلك الأول و المنازل فى الفلك الثامن، و لا يتصور نزوله فى شىء منها و انما يقع ذلك فى نظر الناظرين و حسبان الظانين.

الرابع: قوله تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ أى يسبحون فى رأى العين فإن الناظر إلى الفلك يعتقده ساكنا و الكواكب جارية فيه و ليس كذلك.

الخامس: قوله تعالى: فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى أى كان قاب قوسين أو أدنى فى ظن رائيه و حسبانه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۳

القسم الثالث عشر اطلاق اسم الشىء الذى يظنه المعتقد و الأمر على خلافه و هو ستة أقسام:

الأول: من ذلك قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً ذكر ذلك بالنسبة إلى ظنهم و زعمهم إذ ليس له ضد و لا ند.

الثانى: قوله تعالى: أَيْنَ شُرَكائِيَ و ليس هذا إثباتا للشركاء بل هو يتنزل على قول الخصم معناه أين شركائى بزعمكم. و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم حكاية عن ربه: «من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته لشريكى» معناه تركته لشريكى بزعمه.

الثالث: قوله تعالى: إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ لم يقرّ فرعون برسالة موسى عليه السلام، بل المعنى بزعمه أنه رسول.

الرابع: قوله عز و جل: يا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ليس هذا إقرارا بتنزيل الذكر و إنما المعنى يا أيها الذى نزل عليه الذكر بزعمه.

الخامس: قوله تعالى «۱»

---

(۱) سقط من الأصل ذكر الآية و القسم السادس.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۴

القسم الرابع عشر التضمين: و هو أن يضمن اسما معنى اسم لافادة معنى الاسمين فتعديه تعديته فى بعض المواطن و هو أربعة أقسام:

الأول: قوله تعالى: حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَ ضمن حقيقا معنى حريص ليفيد عليه أنه محقوق يقول الحق و حريص عليه.

الثانى: من التضمين أيضا أن تضمّن فعلا معنى فعل آخر لافادة معنى فعلين و تعدّيه أيضا فى بعض المواطن و هو فى القرآن كثير. منه قوله تعالى: لا تُشْرِكْ بِى شَيْئاً ضمن لا تشرك معنى لا تعدل- و العدل- التسوية أى لا تسوى باللّه شيئا فى العبادة و المحبة فإنهم عبدوا الأصنام كعبادة اللّه و حبّوها كحب اللّه، و لذلك قال الذين فى النار:

تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ و ما سوّوهم به إلا فى العبادة و المحبة دون أوصاف الكمال و نعوت الجمال و الجلال.

الثالث: قوله عز و جل: إِنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها ضمن لتبدى به معنى لتخبر به أو لتعلم ليفيد الاظهار معنى الإخبار

لأن الخبر قد يقع سرا غير ظاهر.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۵

الرابع: قوله تعالى: عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ ضمن يشرب معنى يروى أو معنى يلتذ ليفيد الشرب و الرىّ أو الشرب و الالتذاذ جميعا.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۶

القسم الخامس عشر فى مجاز اللزوم و هو ثمانية تحت كل قسم أقسام قد بيناها فيه:

الأول: التعبير بالإذن عن المشيئة لان الغالب أن الإذن فى الشيء لا يقع إلا بمشيئة الآذن و اختياره الملازمة الغالبة مصححة للمجاز. و من ذلك قوله تعالى: وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ أى إلا بمشيئة اللّه .. و يجوز أن يراد فى هذا بالإذن أمر التكوين و المعنى:

و ما كان لنفس أن تموت إلا بقول اللّه موتى. و نظيره: فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ فحذف تقديره فقال لهم اللّه موتوا فماتوا لدلالة قوله- ثم أحياهم- عليه. و مثله: وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ أى بمشيئة اللّه أو بأمر التكوين فإن ملازمة المشيئة للأمر غالبا كملازمة مشيئة المريد غالبا.

الثانى: التعبير بالإذن عن التيسير و التسهيل و هو فى قوله تعالى:

وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ أى بتسهيله و تيسيره إذ لا يحسن أن يقال دعوته باذنى و لا قمت و قعدت باذنى هذا قول الزمخشرى .. و يجوز أن يراد بالإذن هاهنا الأمر أى يدعوكم إلى الجنة و المغفرة بأمره.

الثالث: تسمية المسافر بابن السبيل. و ذلك فى قوله تعالى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۷

وَ ابْنَ السَّبِيلِ لملازمته السبيل و هو الطريق كما يلازم الولد أمه.

و ذلك فى قوله تعالى: وَ ابْنَ السَّبِيلِ لملازمته السبيل و هو الطريق كما يلازم الولد أمه. و ذلك قيل للطير ابن الماء لملازمته للماء.

الرابع: نفى الشيء لانتفاء ثمرته و فائدته للزومها عنه غالبا فى مثل قوله تعالى: كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ أى وفاء عهد و إتمام عهد فنفى العهد لانتفاء ثمرته و هو الوفاء و الاتمام.

و منه قوله تعالى: وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ نفى الايمان بعد اثباتها لانتفاء ثمرتها و فائدتها و هو البر و الوفاء .. و يجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره انهم لا وفاء أيمان لهم.

الخامس: اطلاق اسم الريب على الشك لملازمة الشك القلق و الاضطراب فإن حقيقة الريب قلق النفس بدليل قوله: نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ أى مقلقات الدهور. و بدليل قوله عليه الصلاة و السلام فى الظبى الحاقف لا يريبه أحد، و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «ان فاطمة بضعة منى يريبنى ما يريبها». و منه قول أبى ذؤيب الهذلى:

أ من المنون و ريبها تتوجع السادس: التعبير بالمسافحة عن الزنا لأن السفح صب المنىّ و هو ملازم للجماع غالبا لكنه خص بالزناء إذ لا غرض فيه سوى صبّ المنى بخلاف النكاح فإن مقصوده الولد و التعاضد و التناصر بالأختان و الأصهار و الأولاد و الأحفاد. و مثاله قوله تعالى: مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ أى غير مزانين. و قوله تعالى: مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ أى غير مزانيات.

السابع: اطلاق اسم المحل على الحالّ فيه لما بينهما من

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۸

الملازمة الغالبة كالتعبير باليد عن القدرة و الاستيلاء و بالعين عن الادراك و بالصدر عن القلب و بالقلب عن العقل و بالافواه عن الألسن و بالألسن عن اللغات و بالقرية عن قاطنيها و بالساحة عن نازليها و بالنادى و الندىّ عن أهلها، و بالغائط و هو المكان

المنخفض عما يخرج من الانسان لانهم كانوا فى الغالب يقضون الحاجة فى الأماكن المنخفضة تسترا عن الناس (أما) التعبير باليد عن القدرة فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى و قوله تعالى: تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ و اما التعبير بالعين عن الإدراك فهو فى قوله تعالى: أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أى يبصرون بإدراكها أو بنورها (و أما) التعبير بالصدر عن القلب فهو فى القرآن كثير. من قوله تعالى: فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ أى فى قلبك. و منه قوله تعالى: وَ ما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ.

(و أما) بالقلب عن العقل فهو فى القرآن فى موضعين: أحدهما قوله تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ و الثانى فى قوله تعالى:

لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها أى لهم عقول لا يفقهون بها .. و يجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره لهم قلوب لا يفقهون بعقولها كما فى قوله:

وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أى لا يسمعون بأسماعها أو بادراكها (و أما) التعبير بالأفواه عن الألسن فهو فى قوله تعالى: مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ أى بألسنتهم لأن القول إنما يكون باللسان و منه قوله تعالى: يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ (و أما) التعبير بالألسن عن اللغات فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى: فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ أى بلغتك و منه قوله تعالى: بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ أى بكلام عربى مبين (و أما) التعبير بالساحة عن نازليها ففى قوله تعالى: فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ معناه فإذا نزل بهم (و أما) التعبير بالقرية عن قاطنيها ففى قوله تعالى: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها (و أما) التعبير بالنادى عن أهله ففى قوله تعالى: فَلْيَدْعُ نادِيَهُ (و أما) التعبير بالندى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۹

عن أهله ففى قوله: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا أى أحسن أهل مجلس (و أما) التعبير بالغائط و هو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان ففى قوله تعالى: أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ و من مجاز الملازمة و هو التعبير بالارادة عن المقاربة لأن من أراد شيئا قربت مواقعته إياه غالبا و هو فى قوله تعالى: فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ أى قارب الانقضاض. و منه قول الشاعر:

يريد الرّمح صدر أبى رياحو يرغب عن دماء بنى عقيل (و منه) التعبير بالكلام عن الغضب لأن الهجران و ترك الكلام يلزمان الغضب غالبا و هو فى القرآن العظيم فى موضعين. أحدهما قوله تعالى: وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ و الآخر قوله تعالى:

وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ (و منه) التجوز بالاياس عن العلم لأن الإياس من نقيض المعلوم ملازم للعلم غير منقلب عنه. و من ذلك قوله تعالى: أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً (و منه) التعبير بالدخول عن الوطء لأن الغالب من الرجل إذا دخل بامرأته انه يطأها ليلة عرسها. و مثاله قوله تعالى: وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ و منه وصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه و يقع فيه و هو القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى: فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ وصفه بالعسر، و العسر صفة للأهوال الواقعة فى ذلك اليوم و منه يومئذ قوله تعالى: فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ وصف اليوم بالعظم و هو صفة للعذاب الواقع فيه .. و أما قوله تعالى:

يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ فانه مجاز تشبيه شبه اليوم فى انقطاع خيره بانقطاع ولادة العقيم. و منه قوله تعالى: وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ وصفه بكونه عصيبا و هو صفة للشر الذى يقع فيه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۰

القسم السادس عشر التجوز بالمجاز عن المجاز:

و هو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة الى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثانى بعلاقة بينه و بين

الثانى.

مثال ذلک قوله تعالى: وَ لكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا، فإنه مجاز عن مجاز فإن الوطء تجوز عنه بالسر لأنه لا يقع غالبا إلا فى السر، فلما لازم السر فى الغالب سمى سرا و تجوز بالسر عن العقد، لأنه سبب فيه، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة، و المصحح للمجاز الثانى التعبير باسم المسبب الذى هو السر عن العقد الذى هو سبب كما سمى عقد النكاح نكاحا، لكونه سببا فى النكاح، و كذلك سمى العقد سرا لأنه سبب فى السر الذى هو النكاح، فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح فمعنى قوله- و لكن لا تواعدوهن سرا- لا تواعدوهن عقد نكاح و كذلك قوله: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ قال مجاهد: و من يكفر بلا إله الا اللّه فقد حبط عمله فإن حمل قوله على ظاهره كان هذا من مجاز المجاز لأن قول لا إله الا اللّه مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ و التعبير بلا إله الا اللّه عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه، و الأول من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب، لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۱

القسم السابع عشر التجوز فى الاسماء و هو على سبعة أقسام:

الأول: اطلاق اسم الأسد على الشجاع.

الثانى: التجوز بالبحر عن الجواد.

الثالث: اطلاق اسم الفوز و الحياة على الايمان و العرفان.

الرابع: اطلاق اسم الظلمة و الموت على الجهل و الضلال.

الخامس: اطلاق اسم السراج و النور على الهادى.

السادس: اطلاق اسم الحطب على النميمة بإثارتها نار الحقد و الغضب.

السابع: اطلاق اسم الانسان على تمثاله و كذلك الحيوان و البلدان و قد تقدم جميع أمثلة ذلك إلا الحطب المعبر به عن النميمة فانه فى قوله تعالى: حَمَّالَةَ الْحَطَبِ.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۲

القسم الثامن عشر التجوز فى الافعال و هو على عشرة أقسام و تحت كل قسم منها أقسام:

الأول: التجوز بالماضى عن المستقبل تشبيها له فى التحقيق، و العرب تفعل ذلك لفائدة و هو أن الفعل الماضى اذا أخبر به عن المضارع الذى لم يوجد بعد كان أبلغ و آكد و أعظم موقعا و أفخم بيانا، لأن الفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان وجد و صار من الأمور المقطوعة بكونها و حدوثها. و منه قوله تعالى: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ فإنه إنما قال- ففزع- بلفظ الماضى بعد قوله- ينفخ- و هو مستقبل للاشعار بتحقق الفزع و ثبوته و أنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات و الارض، لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعا به. و من هذا الجنس قوله تعالى: وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة و انما جيء به بلفظ الماضى لان ما أخبر اللّه به لصدقه و صحته فإنه قد كان و وجد. و مثل ذلك قوله عز اسمه: أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ فأتى هاهنا بمعنى يأتى و إنما حسن فيه لفظ الماضى لصدق إثبات الأمر و دخوله فى جملة ما لا بد من حدوثه و وقوعه فصار يأتى بمنزلة أتى و مضى. و كذلك قوله تعالى: وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً فإنه انما قال-

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۳

و حشرناهم- ماضيا بعد- نسيّر. و ترى- و هما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير و البروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قال و حشرناهم قبل ذلك و هو فى القرآن العظيم كثير.

قال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام فى كتابه المعروف بالمجاز أكثر ما يكون هذا فى الشروط و أجوبتها و قد يجىء فى غيرها. مثاله فى غير الشرط قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ و منه وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ و منه وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ و منه وَ نادَوْا يا مالِكُ و منه: وَ قالَ قَرِينُهُ هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ و منه: وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ. و منه: إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً. و منه: وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا و أمثاله فى القرآن كثير (و أما) مثاله فى الشرط فقوله تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا معناه و إن تكونوا فى ريب. و منه: فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ معناه و إن تتوبوا فهو خير لكم. و منه: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ معناه فإن تك فى شك. و منه: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا معناه إن تكونوا مؤمنين باللّه فعليه توكلوا (و أما) فى جواب الشرط فقوله تعالى:

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ. و منه: وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا معناه و إن تعودوا الى قتال محمد عدنا الى نصره و الشرط لا يكون إلا مستقبلا، و المرتب على المستقبل مستقبل لا محالة، و هذا من مجاز التشبيه شبه المستقبل فى الحقيقة و ثبوته بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه.

الثانى: التعبير بالمستقبل عن الماضى و هو فى القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى: وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ. و منه: فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ معناه و فريقا قتلتم ..

و يجوز أن يكون القول فى هاتين الآيتين حكاية حال ماضية مثله فى قوله

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۴

تعالى: تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا و كما فى قوله تعالى: ما يَعْبُدُونَ إِلَّا كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ. و منه قوله تعالى: وَ كانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ و منه: وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ و منه: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ معناه و إذ قلت و هو فى القرآن كثير (و انما) قصدت العرب بالاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل لأن الاخبار بالفعل المضارع اذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى، و ذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها و يستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، و ليس كذلك الفعل الماضى و الفرق بينه، و بين القسم الذى قبله هو أن الفعل الماضى يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع من الاشياء الهائلة التى لم توجد، و الأمور المتعاظمة التى لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان و وجد و وقع الفراغ من كونه و حدوثه، و أما الفعل المضارع اذا أخبر به عن الماضى، فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل و استحضار صورته ليكون السماع كأنه يعاينها و يشاهدها.

الثالث: التجوز بلفظ الخبر عن الأمر و هو فى القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى: وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ و منه قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً و منه قوله تعالى: تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ معناه آمنوا باللّه و رسوله و جاهدوا فى سبيل اللّه بأموالكم و انفسكم و لذلك أجيب بالجزم فى قوله: يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ و لا يصح أن يكون جوابا للاستفهام فى قوله- هل أدلكم- لأن المغفرة و إدخال الجنات لا يترتب على مجرد الدلالة، و هذا من مجاز التشبيه شبه الطلب فى تأكيده بخبر الصادق الذى لا بد من وقوعه، و اذا شبه بالخبر الماضى كان آكد، و كذلك الدعاء و الأمر و النهى بالخبر الماضى اذا أريد

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۵

تأكيد ما عبر عنها بالخبر المستقبل، فإن بالغت فى التأكيد تجوزت عنها بالخبر الماضى.

الرابع: التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء و هو فى القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «يرحم اللّه أخى لوطا لقد كان

يأوى إلى ركن شديد» و من ذلك تشميت العاطس يرحمك اللّه، و فى اجابته يهديكم اللّه و يصلح بالكم .. المعنى اللهم ارحمه اللهم اهدهم.

الخامس: التجوز بلفظ الخبر عن النهى و هو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: وَ ما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ معناه و لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه اللّه. و منه قوله تعالى: لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ معناه لا تعبدون الا اللّه. و منه قوله تعالى: لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ.

السادس: التجوز بلفظ الأمر عن الخبر توكيدا للخبر لأن الامر للايجاب فيشبه الخبر به فى ايجابه و هو فى القرآن فى موضعين قوله تعالى: قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا تقديره قل من كان فى الضلالة يمدد له الرحمن مدا أو مد له الرحمن مدا.

الثانى: اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ.

السابع: التجوز بجواب الشرط عن الأمر و هو فى القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ معناه عند الجمهور فليغلبوا مائتين. و منه: وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً معناه فليغلبوا ألفا و منه: فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ معناه فليغلبوا مائتين وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ معناه فليغلبوا ألفين و المراد به التأكيد، لأنه خبر تجوز به عن الطلب.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۶

الثامن: التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى و انما المراد بها ما يقاربها أو يلازمها، أو تكون مسببة عنه، و هو فى القرآن العظيم كثير. فمن ذلك قوله تعالى: وَ ذَرُوا الْبَيْعَ نهى عن البيع فى اللفظ و هو مباح و أراد ما يلزم عنه من ترك الواجب. و منه قوله تعالى:

وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ النهى عن الموت نفسه لا يصح، لأنه ينافى التكليف، لكنه تجوز به عما يقارنه من الكفر فكأنه قال و لا تكفروا عند موتكم. و منه قولهم: لا أرينّك هاهنا معناه لا تحضرن فأراك فتجوز برؤيته عن سببها و هو الحضور. و منه نهيه صلّى اللّه عليه و سلّم عن البيع على بيع الأخ، ليس النهى عن نفس البيع، لأنه مجتمع بشرائط الصحة إنما النهى عن أذية الأخ المقترنة بالبيع. و منه النهى عن الخطبة على خطبة الأخ ليس النهى عن الخطبة نفسها، و إنما النهى عما يلزمها من تأذى الخاطب.

التاسع: التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه و المراد به من يصح نهيه و هو فى القرآن كثير. فمنه قوله تعالى: وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ النهى فى اللفظ للعينين و المراد بذلك ذو العينين أى لا تنظر إلى غيرهم.

و منه: لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ النهى فى اللفظ للأموال و الأولاد و فى المعنى لذوى الأموال و الأولاد. و منه: لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ النهى فى اللفظ للتقلب و المراد به النهى عن الاغترار بالتقلب. و منه قوله: فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا النهى فى اللفظ للحياة الدنيا و المراد به نهى المخاطبين عن الاغترار بها. و منه قوله تعالى: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ النهى فى اللفظ للأموال و الأولاد و فى المعنى نهى المخاطبين عن الاعجاب بهما.

و منه قوله تعالى: وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ النهى للرأفة فى اللفظ و للمخاطبين فى المعنى. و منه قوله تعالى: وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً النهى لضمير الفتنة فى اللفظ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۷

و للمخاطبين فى المعنى لا تتعرضن لاصابة الفتنة اياكم لسبب تقريرها و ترك نكيرها و التقدير و اتقوا تقدير فتنة لا تصيبن عقوبتها أو شؤمها، أو و بالها الذين ظلموا منكم خاصة.

العاشر: التجوز بنهى من يصح نهيه و المنهى فى الحقيقة غيره، و هو فى القرآن العظيم كثير. منه قوله تعالى: وَ لا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللَّهِ معناه و لا تصدن عن آيات اللّه بسبب صدهم إياك. و منه: فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها مَنْ لا يُؤْمِنُ بِها معناه فلا تصدن عنها. و منه قوله

تعالى: وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ معناه و لا تخفن.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۸

القسم التاسع عشر التجوز بالحروف بعضها عن بعض و هو عشرة أقسام:

الاول:- هل- يتجوز بها عن الأمر و النفى و التقدير و هو فى القرآن العظيم كثير .. أما التجوز بها عن الامر ففى مواضع. منها قوله تعالى: فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ معناه أسلموا. و منه قوله تعالى: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ معناه فانتهوا .. أما التجوز بها فى النفى فهو فى مواضع.

منها قوله تعالى: فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ و قوله تعالى: فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ معناه فما ترى لهم من باقية فلا يهلك إلا القوم الفاسقون. و قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ معناه ما ينظرون الا أن يأتيهم اللّه فى ظلل و مثل هذا فى القرآن كثير. و أما قوله تعالى: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فقيل إنه نفى الاستزادة معناه لا مزيد فىّ، و قيل انه طلب لها معناه زدنى .. و أما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن العظيم فى آيتين. احداهما قوله تعالى: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا الثانية فى قوله تعالى:

هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ.

الثانى:- همزة الاستفهام- و يتجوّز بها عن النفى و عن الأمر و الايجاب و التقرير و التوبيخ .. أما التجوز بها عن النفى ففى القرآن العظيم منه كثير. من ذلك قوله تعالى: أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ معناه لست مكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. و قوله

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۵۹

تعالى: أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ معناه لست منقذ من فى النار.

و قوله تعالى: أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ معناه لست مسمع الأصمّ، و لا هادى الأعمى، و مثله فى القرآن كثير .. و أما التجوز بها فى الايجاب فهو فى القرآن كثير. فمن ذلك قوله تعالى: أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ معناه الوعد بكفاية العباد. و قوله: أَ لَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقامٍ و قوله تعالى: أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى ..

و منها قول جرير:

أ لستم خير من ركب المطاياو أندى العالمين بطون راح و قول الآخر:

أ لست أرى النجم الذى هو طالع‌عليها و هذا للمحبين نافع و أما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ و قوله تعالى: أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ و قوله تعالى: آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ .. و أما التجوز بها فى التوبيخ فهو فى القرآن كثير.

فمن ذلك قوله تعالى: أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ و قوله تعالى: أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ و قوله تعالى: أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ و قوله تعالى: أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ.

الثالث: التجوز- بفى- و له حقيقة تتحقق فى قسمين: أحدهما:

احتواء جرم على جرم كقوله تعالى: أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ و قوله تعالى: وَ هُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ الثانى: احتواء جرم على معنى كقوله تعالى: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ و قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ و كقوله: إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ما هُمْ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۰

بِبالِغِيهِ و أمثاله فى القرآن كثير .. و أما التجوز بها فهو أنواع. الأول: أن يجعل المعنى ظرفا لتعلقه بمعنى آخر و ذلك قوله تعالى: وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و هو طاعته و اجتناب معصيته أو القتال فى سبيله ظرفا لتعلق الجهاد، و الجهاد قائم بالمجاهد. و من ذلك قوله تعالى: لا رَيْبَ فِيهِ و من ذلك قوله تعالى: وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها جعل الساعة و الكتاب ظرفين لتعلق الريب لا لنفس الريب، فإن الريب حال فى المرتاب، و منه قوله تعالى: وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ أى فى توريثهن جعل التوريث

محلا لتعلق الاستفتاء، ثم قال:

قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَ أى فى توريثهن فجعل التوريث محلا لتعلق بيان الفتيا و هو قول المفتى. و منه قوله تعالى: فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ جعل الحق محلا لتعلق الاختلاف قائم بالمختلفين. و منه قوله تعالى: فَادَّارَأْتُمْ فِيها أى فادّارأتم فى قتلها فجعل القتل محلا لتعلق الدرء. و منه قوله تعالى: فَذلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ جعل حبه أو مراودته ظرفا لتعلق لومهن لا لنفس اللوم، فإن لومهن قائم بهن ..

الثانى: التجوز بها عن الباء التى للسبب و هى فى القرآن العظيم كثير. فمن ذلك قوله تعالى: وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ أى بسبب ما أخطأتم. و منه قوله تعالى: وَ قاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أى بسبب نصرة سبيل. و كذلك الحب فى اللّه و البغض فى اللّه أى بسبب تعظيم اللّه، و له نظائر كثيرة و لما كان المسبب متعلقا بالسبب جعل السبب ظرفا لتعلق المسبب ..

الثالث من التجوز به و هو أن يجعل الجرم محلا- لتعلق المعنى، و هو فى القرآن المجيد كثير. من ذلك قوله تعالى: وَ يَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جعل الأجرام محلا لتعلق الفكر لا لنفس الفكر فإن الفكر قائم بالتفكر. و منه قوله تعالى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۱

أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ جعل السموات و الارض و المخلوقات كلها محلا لتعلق النظر لا لنفس النظر لا لنفس النظر فان الناظر قائم بالنظر حالّ فيه. و منه قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ.

الرابع: من التجوز به أن يجعل المعنى محلا- للجرم و هو عكس الأول فتجوز به عن كثرة ما جعل ظرفا مجازا لما كان الحاوى أعظم من المحوى شبه به ما توالى أو كثر من المعانى، و منه فى القرآن شىء كثير. من ذلك قوله تعالى: إِنَّا لَنَراكَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ و منه: صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِى الظُّلُماتِ أى صم و بكم فى الضلالات. و منه قوله تعالى: فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ و منه قوله تعالى: أَلا إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ و أما قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ، فِى جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ. فِى جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ فَواكِهَ فمن جمع بين الحقيقة و المجاز جعل- فى- بالنسبة الى الجنان ظرفا حقيقيا و بالنسبة إلى العيون و النهر و النعيم ظرفا مجازا، و من لم يجمع بينهم يقدر ان المتقين فى جنات و فى نعيم و فى عيون. و فى نهر فيكون فى الثانية مجازا محضا مشبعا بكثرة النعيم و الانهار و العيون و الفواكه، و يدع الأولى على حقيقتها، و لك أن تجعل الجميع مجازا على حذف لذات تقديره إن المتقين فى لذات جنات و نعيم، و فى لذات جنات و عيون، و فى لذات جنات و نهر، و فى لذات و فواكه أو تقدر ان المتقين فى نعيم جنات و عيون و فواكه أو ما أشبهه، و لا تقدر مثل هذا فى قوله- فى جنات و نعيم- اذ يبقى التقدير، و فى نعيم نعيم و هو سمج لا يقدر مثله فى كتاب اللّه.

و أما قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُ فظاهره عند من جمع بين الحقيقة و المجاز لحكمه فيمن يعقل على السجود المعهود، و فيما لا يعقل على الانقياد للقدرة و الارادة، و أما قوله تعالى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۲

أَ فِى اللَّهِ شَكٌّ فالتقدير فيه أ فى وحدانية اللّه شك فهو من جعل المعنى ظرفا لتعلق المعنى. و أما قوله تعالى: وَ هُوَ اللَّهُ فِى السَّماواتِ وَ فِى الْأَرْضِ و قوله: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ فليس الظرف هنا متعلق بجوهر و لا- عرض، و إنما هذا من مجاز التشبيه عبر بكونه فى السموات و الأرض عن علمه بما فيهن، لأن من حضر مكانا لم يخف عليه ما فيه و أما قوله- كل يوم هو فى شأن- فهو يشبه: إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فاكِهُونَ و كقولهم: أنا فى شغلك و حاجتك و لا يخفى وجه التشبيه فيه ..

الخامس: التجوز- بعلى- و حقيقتها استعلاء جرم على جرم كقوله تعالى: وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ و منه قوله تعالى: لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ و أما مجازها فعلى قسمين. أحدهما: التجوز عن الثبوت و الاستقرار كقوله تعالى: أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ و قوله تعالى:

قُلْ إِنِّى عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى و قوله: وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً و منه قوله تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ و هذا أيضا من مجاز التشبيه شبه

التمكن من الهدى و الأخلاق العظيمة الشريفة و الثبوت عليها لمن علا دابة يصرّفها كيف شاء ..

الثانى: أن يجعل المعنى على الجرم تجوزا كقوله تعالى: رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ و كقوله: أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ و الغرض بذلك كثرة الصلاة و الرحمة لأن ما علاك و جللك فقد أحاط بك. و أما قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى فهو من نزول جرم على جرم و لا بد فيه من حذف تقدير، و أنزلنا على أشجاركم أو على محلتكم. و أما قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ معناه فخرج على نادى قومه، أو على محل قومه.

و مثله قوله تعالى اخْرُجْ عَلَيْهِنَ فمعناه اخرج على مجلسهن أو

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۳

مكانهن.

و مثله قوله تعالى: كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً معناه كلما دخل مكانها أو محرابها.

السادس:- عن- و هى حقيقة فى مجاوزة جرم عن جرم، و تعديته عنه، ثم يستعمل فى المعانى على طريق التشبيه كقوله تعالى وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً شبه انصراف البصيرة عن تأمل ذكره بانصراف المجاوز عما يجاوزه.

و كذلك قوله تعالى: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ إن حمل على ترك القتال كان المعنى فانصرف عن قتالهم، و إن حمل على غيره فمعناه تجاوز عن أذيتهم، و فى الحديث تجاوز عما تعلم المعنى ترك المؤاخذة لأن المتجاوز عن الشيء تارك له، و كذلك قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ اللّه تجاوز لأمّتى عمّا حدّثت به أنفسها».

السابع: حرف- من- و هى حقيقة فى ابتداء غاية الأمكنة، و يتجوز بها عن ابتداء الغاية فى الأزمنة مثل قوله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فاستعملها غاية فى الأزمنة لشبهها بالأماكن، و كذلك تجوز بها عن التعليل فى مثل قوله تعالى: مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا أى من أجل خطاياهم أغرقوا لأن ابتداء غاية المعلول صادر عن علة، فشبه ذلك بابتداء الغاية بالمكان.

الثامن: حرف- ثم- و يستعمل حقيقة فى تراخى الزمان و المكان، ثم يتجوز بها فى تراخى بعض الرتب عن بعض بالتباعد المعنوى، فشبه التراخى المعنوى بالتراخى الزمانى و المكان، و هو فى القرآن العظيم كثير. فمن ذلك قوله تعالى: ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا فجاء- بثم- للتراخى الذى بين الايمان و العمل الصالح، فإن الايمان أفضل من

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۴

جميع أعمال الانسان، فهو متراخ فى الفضل عن فك الرقاب، و إطعام السغبان، فهو مؤخر فى اللفظ مقدم فى الفضيلة و الرتبة، على تباعد و تراخ، يدل على ذلك أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لما سئل أى الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان باللّه. قال ثم ما ذا؟ قال: برّ الوالدين قال: ثم ما ذا؟ قال: الجهاد فى سبيل اللّه» و يدلّ أن- ثم- هاهنا لتراخى الرتب لا لتراخى الزمان لأن الإيمان شرط فى اعتبار فك الرقاب و إطعام السغابى، فلا يجوز أن يتقدم المشروط على شرط .. و منه قال الشاعر.

إنّ من ساد ثم ساد أبوه

جاء بثم لتراخ بين السؤددين من الفضل.

و منه قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ على قول بعضهم قال جيء بثم لتفاوت ما بين نعمة التصوير و نعمة السجود لآدم، قال: فإن إسجاد الملائكة له أكمل إحسان، و أتم إنعام من التصوير. و قدر بعضهم و لقد خلقنا طينتكم، ثم صورناكم فى ظهر أبيكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم. و قال بعضهم نسبة الخلق و التصوير إلينا من مجاز نسبة ما يتعلق بالواحد إلى جماعة.

و مثاله قوله عز و جل: بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ نسب المعاهدة إلى الجماعة و المراد بها معاهدة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. و مثل قوله تعالى: أَ لا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ نسب النكث إلى الكل و انما نكث بعضهم. و مثله قوله

تعالى: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ و لم تقل اليهود كلها ذلك، و كذلك النصارى، لأن بعضهم قال ذلك و بعضهم قال: هو اللّه، و بعضهم قال هو ثالث ثلاثة، و قال بعضهم هو عبد اللّه و رسوله، فنسب إلى الفريقين ما وجد من بعضهم. و مثله قول

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۵

امرئ القيس:

فإن تقتلونا نقتلكم

و أمّا: من يقول إن- ثم- تستعمل فى تراخى بعض الأخبار عن بعض، فلا يستقيم فى هذه الآية و لا فى قول الشاعر:

إنّ من ساد ثم ساد أبوه

لأنّا نعلم أن اللّه تعالى ما راخى بين الأخبار فى قوله- و لقد خلقناكم، ثم صورناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم- و كذلك قول الشاعر- إن من ساد ثم ساد أبوه- يعلم أنه لم يقل- إن من ساد ثم- وقف زمانا طويلا متراخيا ثم قال- ساد أبوه- و ان استعمالها فى تراخى الأخبار بعيد فى استعمال العرب لأن التراخى الموجود فى كلامهم إنما يقع فى مداولات الألفاظ لا بين أنفس الألفاظ، و هذا انما يصح استعماله فى مقالات للأخبار فيها تعاقب إن ثبت أنه قول من يعتمد على قوله فى هذا الشأن.

التاسع: حرف- الباء- قال سيبويه: هى للإلصاق و الاختلاط و الالصاق أضرب. أحدها: حقيقىّ و هو إلصاق جرم بجرم كقولك: ألصقت القوس بالغراء و الخشبة بالجدار. و الثانى: مجاز إلصاق المعنى بجرم كقولك لطفت بزيد، و رأفت بعمرو، فكأنك ألصقت اللطف و الرأفة به لتعلقهما به، و كقولك مررت بزيد، و لا بد فيه من حذف تقديره مررت بمكان زيد أو بمحل زيد، و هو من مجازات التشبيه كأنك ألصقت المرور بالمكان.

الثالث: إلصاق المعنى بالمعنى كقوله تعالى: أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ أى النفس مقتولة بقتل النفس و العين مفقوءة بفقء العين، أتى بالباء ليكون المسبب و هو القصاص منسوبا إلى الجناية

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۶

نسبة التشبيه، و هو جار فى جميع الأسباب.

العاشر: حرفان و هما- لعل و عسى- و هما مجاز تشبيه أو تسبب و حقيقتهما الترجى و التوقع، فاللّه سبحانه تعالى و تنزه أن يوصف بحقيقتهما، بل يصح حملهما على مجاز التشبيه و التسبب. أما مجاز التشبيه فلأن معاملته بالأمر و النهى و الوعد و الوعيد مشبه بمعاملة ملك عامل عبيده بذلك على رجاء إجابتهم، فإن كل من سمع الملك يأمر و ينهى، و يعد و يوعد يرجو اجابة المأمول و اثابته لا سيما إذا كان ذلك الملك كريما صدوقا لا يخلف الميعاد.

(و أما) مجاز التسبب فلأن رجاء الإجابة و ما يترتب عليها من الفلاح مسبب عن لين الخطاب، و حسن الترغيب و الترهيب، فكذلك أمر الرب و نهيه مع وعده و ايعاده يوجبان لكل من سمعهما خوفا و رجاء لا يوجد مثلهما فى حق غيره. و يحقق ذلك أن الكلام المنفّر لا يتوقع منه اجابة و لا إنابة، و الكلام اللين المرغب يتوقع كل من سمعه الإجابة و الانابة، فلذلك قيل لموسى و هارون عليهما السلام: فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى لما كان القول اللين سببا للتذكر و الخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة، فهذا الرجاء المتعلق بكلامه. و أما الرجاء المتعلق بأفعاله فكما فى قوله سبحانه: وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لما ذكر هذه النعم الجسام التى لا يتصور وجودها من غيره أردفها بقوله- لعلكم تشكرون- من جهة أن الشكر مرجو من المنعم عليه متوقع منه، و لا سيما عند هذه النعم لأنه عاملهم بهذه النعم معاملة الراجى كما عاملهم بالفتن معاملة الفاتن، فوصفه نفسه بكونه راجيا كوصفه نفسه بكونه فاتنا و كذلك نظائره.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۷

القسم العشرون من أقسام المجاز الاستعارة،

اشارة

و هى على أربعة أقسام:

و قيل: على قسمين و قيل: على سبعة أقسام.

و قد بيناها فى الوجه الثالث من الكلام عليها اعلم وفقنا اللّه و إياك أن اللفظ إذا استعمل فيما وضع له فهو حقيقة. و ان استعمل فى غير ما وضع له، فإن لم يكن لمناسبة بينه و بين ما وضع له، فهو الموكل «۱» و ان كان لمناسبة بينهما فإن حسن فيه أدلة التشبيه فهو مجاز التشبيه، و ان لم يحسن فيه إظهار أداة التشبيه فهو الاستعارة ..

و إذا تقرر هذا فالكلام فى الاستعارة على وجوه:

الأول هل هى من أنواع المجاز أم لا؟ .. الثانى فى حدها ..

الثالث فى أقسامها .. الرابع فى اشتقاقها .. الخامس فيما تتهيأ به الاستعارة و ما لا تتهيأ .. السادس فى الاستعارة التخييلية .. السابع فى الاستعارة المجردة .. الثامن فى الاستعارة المرشحة .. التاسع فى الاستعارة الحسنة .. العاشر فى الاستعارة القبيحة .. الحادى عشر فى بيان ما يظن أنه استعارة و ليس باستعارة .. الثانى عشر فى الاستعارة بالكناية .. الثالث عشر فيما تتنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة.

---

(۱) كذا فى الأصل و كتب بهامشه لعله المنقول فليحرر

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۸

أما الأول: فقد اختار الإمام فخر الدين رحمه اللّه أن الاستعارة ليست من المجاز لعدم النقل، و جمهور علماء هذا الشأن عدوها من المجاز لاستعمال اللفظ فى غير ما وضع له.

و أما الثانى: فقد اختلفت عبارات علماء هذا الشأن فى حدها فقال على بن عيسى: الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له فى أصل اللغة، و قد أبطل الإمام فخر الدين ما قاله ابن عيسى فى حد الاستعارة من وجوه أربعة. الأول: أنه يلزم أن يكون كل مجاز لغوى استعارة.

الثانى يلزم أن تكون الاعلام المنقولة من باب المجاز. الثالث:

استعمال اللفظ فى غير معناه للجهل بذلك. الرابع: أنه يتناول الاستعارة التخييلية على ما سيأتى ..

و قال قوم الاستعارة جعل الشىء الشىء أو جعل الشىء للشىء لأجل المبالغة فى التشبيه. فالأول: كما تقول لقيت أسدا، و تعنى الشجاع فقد جعلت الشجاع أسدا فهذا جعل الشىء الشىء. و الثانى كقول الشاعر:

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها و سيأتى .. و قال المتقدمون من أرباب الصناعة و الاستدلال بالشىء المحسوس على المعنى المعقول. و هذا هو أحد أنواع الاستعارة، فإن الاستعارة على أقسام و سيأتى بيانه .. و قال قوم: الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة فى الشىء للمبالغة فى التشبيه مع طرح المشبه .. و قال الامام فخر الدين رحمه اللّه الاستعارة: ذكر الشىء باسم غيره و إثبات ما لغيره له لأجل المبالغة فى التشبيه.

فقوله- ذكر الشىء باسم غيره- احترازا عما إذا صرّح بذكر المشبه كقولك: زيد أسد فإنك ما ذكرت زيدا باسم الأسد بل ذكرته باسمه الخاص فلا جرم أن ذلك لم يكن استعارة.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۶۹

و أما قوله- و إثبات ما لغيره له- ذكره لتدخل فيه الاستعارة التخييلية. و قوله- لأجل المبالغة فى التشبيه- ذكره لتتميز به عن المجاز.

و أما الثالث: فقد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة فى أقسامها فقال قوم: أقسامها أربعة. الأول: أن يكون المستعار، و المستعار منه محسوسين. الثانى: أن يكونا معقولين. الثالث: أن يكون المستعار معقولا و المستعار منه محسوسا. الرابع: أن يكون على العكس ..

أما استعارة المحسوس للمحسوس فهى على قسمين أحدهما: أن يكون الاشتراك فى الذات و الاختلاف فى الصفات، و الثانى أن يكون العكس. فمثال الأول أن يكونا حقيقتان تتفاوت إحداهما فى الفضيلة أو النقص و القوة و الضعف، فينقل اللفظ الموضوع للأكمل فى ذلك النوع إلى الأنقص. مثاله: استعارة الطيران للعدو، فانهما يشتركان فى الحقيقة، و هى الحركة المكانية إلا أن الطيران أسرع من العدو، فلما تساويا فى الحقيقة و اختلفا فى القوة و الضعف فى السرعة لا جرم نقلوا اسم الكامل فى السرعة إلى الناقص فيها فسموا العدو طيرانا.

و قد يقع فى هذا الجنس ما يظن أنه مستعار و لا يكون كذلك و ذلك اذا كانت جهة الاختلاف خارجة عن مفهوم الاسم كقول بعضهم:

و فى يدك السيف الذى امتنعت به‌صفاة الهدى من ان تدقّ فتخرقا فالظاهر ان الخرق حقيقة فى الثوب مجاز فى الصفات، و لكن التحقيق يأباه لأن الشق يستعمل فى الخرق، فيقال شققت الثوب، و الشق عيب فى الثوب، و هذه الملاقاة على وجه الحقيقة، فلما قام الشق مقام الخرق، وجب أن يقوم الخرق مقام الشق ظاهرا، و إلا- لو كان للخرق مفهوم سوى مفهوم الشق، لكان لفظ الخرق مشتركا بينهما و هو خلاف الأصل فثبت أن الخرق و الشق لفظان مترادفان، و لما كان

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۰

الشق حقيقة فى الصفات كان الخرق المرادف له حقيقة أيضا فيه.

نعم لو قلت خرق الحشمة لم يكن من الحقيقة فى شىء لأنه ليس هناك شق فبهذا الطريق عرفنا أن الخرق ليس اسما للتفرق من حيث أنه لا شق هناك كما تقدم خلاف ما تقدم من حيث أن الشق حاصل فى الثوب، بل هذه الخصوصية خارجة عن مفهوم لفظ الخرق، و لما كانت لفظة الخصوصية التى بها تتميز تفرق أجزاء الحجر بعضها من بعض عن تفرق أجزاء الثوب غير داخلة فى مفهوم الخرق كان استعماله فى الحجر على طريق الاستعارة، فهذا هو القانون فى هذا الباب بعد أن لا تضايق فى المثال هذا كله إذا كان الاشتراك فى الحقيقة و الاختلاف فى العوارض و الصفات .. و أما إذا كان بالعكس و هو أن يكون الاشتراك فى الصفات و الاختلاف فى الحقيقة فمثل قولهم: رأيت شمسا، و يريدون إنسانا يتهلل وجهه كالشمس، فيشاركه فى الوصف ..

(و أما) القسم الثانى و هو استعارة اسم شىء معقول لشىء معقول، و هذا أيضا إنما يكون فى أمرين يشتركان فى وصف عدمى أو ثبوتى و أحدهما بذلك الوصف أولى، و فيه أكمل فينزل الناقص منزلة الكامل، ثم إن المشتركين إما أن يكونا متعاندين أو لا يكونا، كذلك فإن تعاندا فإما أن يكون التعاند بالثبوت، أو الانتفاء أو بالتضاد.

(مثال) الأول: استعارة اسم المعدوم للموجود، أو الموجود للمعدوم. أما الأول: فعند ما لا يحصل من ذلك الموجود فائدة مطلوبة فيكون ذلك الموجود مشاركا للمعدوم فى عدم الفائدة، لكن المعدوم بذلك أولى، فيستعار لذلك الموجودة اسم المعدوم.

(و أما) الثانى: فعند ما تكون الآثار المطلوبة من الشىء باقية عند عدم الشىء، فيكون عند ذلك المعدوم مشاركا للموجود بتلك الفوائد، لكن الموجود أولى بذلك، فيستعار لذلك المعدوم اسم الموجود.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۱

و أما إذا كان التعاند بالتضاد حقيقة كان أو ظاهرا فمثاله: تشبيه الجهال بالأموات، لأن المقصود بالحياة الإدراك و العقل، فإذا عدما فقد عدمت الآثار المطلوبة من الحياة فتصير تلك الحياة مساوية للموت فى عدم الفائدة المطلوبة، و الموت أولى بذلك، فتتنزل الحياة منزلته.

ثم الضدان إذا كانا متقابلين الأشدّ و الأضعف ففى أحد الطرفين اسم الأزيد، و فى الطرف الآخر اسم الأنقص. فشرط مساوئ التشبيه

مثلا كل من كان أقلّ علما و أضعف قوّة كان أولى أن يستعار له اسم الميت.

و لما كان الادراك أقدم من الفعل فى كونه خاصيۀ للانسان لا جرم كان الأقل علما أولى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوّة باسم الحياۀ، فالاشرف علما أولى بذلك لقوله تعالى: أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ هذا اذا كانا متقابلين أما إذا لم يكونا كذلك و هو أن يكونا موجودين يشتركان فى وصف من عقول إلاـ أن ذلك الوصف لأحدهما أولى، فيتنزل الناقص منزلۀ الكامل مثل قولهم: فلان لقى الموت إذا كان لقى شيئا من الشدائد لأنها مشاركۀ للموت فى الكراهيۀ، لكن الموت أولى بها فتتنزل تلك الشدائد منزلۀ الموت لاشتراكها فى المكروهيۀ، و على هذا قوله تعالى: وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ما هُوَ بِمَيِّتٍ.

و أما الثالث: فهو أن يستعار للمعقول اسم المحسوس، و هو كاستعارۀ الحجۀ للنور الذى هو محسوس بالبصر، و استعارۀ العدل للقسطاس المدرك بحاسۀ العين.

و أما الرابع: فهو استعارۀ اسم المعقول للمحسوس، و هو غير جائز إلا على التأويل الذى نذكره فى باب التشبيه إن شاء اللّه تعالى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۲

فصل [و هذه جملۀ مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارۀ]

و هذه جملۀ مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارۀ و صنوفها نذكرها مفصلۀ مبينۀ على حكم ما تقدم من الأقسام الأربعۀ، إذ الغرض من هذا الكتاب معرفۀ ما تضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان و أصناف البديع و فنون البلاغۀ، و عيون الفصاحۀ و أجناس التجنيس .. أما ما جاء فى الكتاب العزيز من استعارۀ المحسوس للمحسوس فآيات كثيرۀ. منها قوله تعالى: وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً إذ المستعار منه النار و المستعار له الشيب و الجامع بينهما الانبساط، و لكنه فى النار يقوى. و فى هذه الآيۀ ثلاث فوائد أخر غير الاستعارۀ.

الفائدۀ الأولى: أنه سلك فى الآيۀ طريق ما أسند فيه الشىء الى الشىء و هو لشىء آخر لما بينه و بين الأول من التعلق، فيرفع ذكر ما أسند اليه و يؤتى بالذى الفعل له فى المعنى منصوبا بعده مبينا ان ذلك الإسناد إلى ذلك الأول إنما كان من أجل هذا.

الفائدۀ الثانيۀ: بيان ما بينهما من الاتصال كقولهم: طاب زيد نفسا، و تصبب عرقا و أشباههما فيما تجد الفعل فيه منقولا عن الشىء إلى ما ذلك الشىء من سببه، فإنّا نعلم أن الاشتعال للشيب فى المعنى و هو للرأس فى اللفظ كما أن طاب للنفس و تصبب للعرق، و إن أسند الى ما أسند إليه،

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۳

و الدليل على أن شرف هذه الآيۀ بسبب ذلك أنّا لو تركنا هذا الطريق و أسندنا الفعل الى الشيب صريحا فقلنا: اشتعل شيب الرأس، أو الشيب فى الرأس لانتفاء ذلك الحسن.

فإن قلت: فما السبب فى إن كان اشتعل إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل. فنقول السبب فيه أن يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس أنه شمل و شاع و أخذ به من نواحيه و عم بجملته حتى لم يبق من السواد شىء إلا القليل، فهذه الفائدۀ لا تحصل إذا قيل اشتعل الشيب فى الناس لاـ يوجب اللفظ أكثر من ظهور الشيب فيه. و بيانه أنك تقول اشتعل النار فى البيت لا يفيد أكثر من اصابتها جانبا. و مثاله من التنزيل قوله تعالى: وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فالتفجير للعيون فى المعنى، لكنه وقع فى اللفظ على الأرض ليفيد أن الأرض بالكليۀ صارت عيونا.

الفائدۀ الثالثۀ: تعديۀ الرأس بالألف و اللام و إفادۀ معنى الإضافۀ من غير الإضافۀ، و هو أحد ما أوجب المزيۀ، و لو قيل و اشتعل رأس لذهب الحسن .. و من هذا الباب قوله تعالى: وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ أصل الموج حركۀ الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارۀ. و قوله عز و جل: وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ للظهور .. و أما استعارۀ المحسوس للمحسوس لشبه عقلى فكقوله تعالى: إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ المستعار له الريح و المستعار منه المرأۀ العقيم و الجامع بينهما المنع من ظهور النتيجۀ. و منه قوله تعالى وَ

آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل، و المستعار منه ظهور المسلوخ من جلدته، و الجامع أمر عقلى، و هو ترتيب أحدهما على الآخر. و منه قوله تعالى فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ أصل الحصيد للنبات و الجامع الهلاك و هو أمر عقلى. و قوله خامِدِينَ أصل الخمود للنار. و منه قوله تعالى وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ و هو أفصح من أن يقال فى أصل الكتاب ..

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۴

و أما استعارة المحسوس للمعقول فكقوله تعالى: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فالقذف و الدمغ مستعاران. و منه قوله تعالى ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ. و منه قوله تعالى فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ. و منه قوله تعالى وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ و كل خوض ذمه اللّه فى القرآن فلفظه مستعار من الخوض فى الماء. و منه قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ استعارة لبيانه عما أوحى إليه لظهور ما فى الزجاجة عند انصداعها. و منه قوله تعالى: أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ البنيان مستعار و أصله للحيطان. و منه قوله تعالى: وَ يَبْغُونَها عِوَجاً العوج مستعار، و منه قوله تعالى: لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ و كل ما فى القرآن من الظلمات و النور مستعار.

و منه قوله تعالى: فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً، و منه قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ الوادى مستعار و كذلك الهيمان، و هو على غاية الإفصاح. و منه قوله تعالى: قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ جعل للسماوات و الأرض قولا و طاعة. و منه قوله تعالى: وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ الآية ..

و أما استعارة المعقول للمعقول فمنه قوله تعالى: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا استعار الرقاد للموت، و هما أمران معقولان، و الجامع عدم ظهور الأفعال.

و منه قوله تعالى: وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ و السكوت و الزوال أمران معقولان.

و أما استعارة المعقول للمحسوس فمنه قوله تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ المستعار منه التكبر و المستعار له الماء و الجامع الاستعلاء المضر. و منه قوله تعالى: وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ و العتو هاهنا مستعار. و منه قوله تعالى: تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ فلفظ الغيظ مستعار. و منه قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً و هو أفصح من مضيئة. و منه قوله تعالى حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها هذا الذى اختاره الامام فخر الدين و من قبله

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۵

من المحققين .. و قال قوم الاستعارة على قسمين. الأول أن يعتمد نفس التشبيه، و هو أن يشترك شيئان فى وصف واحد، أحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم مبالغة فى تحقيق ذلك الوصف له، كقولك: رأيت أسدا، و أنت تعنى رجلا شجاعا، و عنّت لنا ظبية و أنت تعنى امرأة، و تجىء الأقسام الأربعة و قد تقدمت.

الثانى: أن تعتمد لوازمه و هو عند ما تكون جهة الاشتراك وصفا انما يثبت بكماله فى المستعار منه بواسطة شىء آخر، فيثبت ذلك الشىء فى المستعار له مبالغة فى إثبات المشترك، و يسمى استعارة تخييلية كقول لبيد:

و غداة ريح قد وزعت و قرّةإذ أصبحت بيد الشّمال زمامها استعار- اليد- للشمال، و ليس هناك مشار إليه يمكن أن يجرى اسم اليد عليه كما أجرى الأسد على الرجل، لكنه خيل إلى نفسه أن الغداة فى تصريف الشمال على حكم طبيعتها كالانسان المتصرف فى بعيره و زمامه و مقادته فى يده، و تصرف الإنسان إنما يكمل باليد فأثبت لها اليد تحقيقا للغرض و حكم الزمام فى الاستعارة للغداة حكم اليد فى استعارتها للشمال. و كذلك قول تأبط شرا يصف سيفا:

إذا هزّه فى عظم قرن تهلّلتنواجذ أفواه المنايا الضّواحك لما شبه المنايا عند هزه السيف بالمسرور و كمال الفرح و السرور إنما يظهر بالضحك الذى تتهلل فيه النواجذ لا جرم اثبته تحقيقا للوصف المقصود، و إلا فليس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجذ. و كذلك له فى الحماسة:

سقاه الرّدى سيف اذا سلّ أومضت‌إليه ثنايا الموت من كلّ مرقد - و من ذلك قوله تعالى: وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ تحقيق هذا الخلاص عن التشبيه فإن من وضع فى نفسه أن كل اسم يستعار فلا بد أن يكون هناك شيء تمكن الإشارة إليه تتناوله فى حال المجاز كما يتناوله فى حال الحقيقة .. و قال ابن الاثير: تقسم الاستعارة إلى قسمين. الأول يجب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۶

استعماله و هو ما كان بينه و بين ما استعير له تشابه و تناسب، و لنضرب له أمثلة يستدل بها عليه. فمن ذلك قوله تعالى: وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ و هذا الوصف إنما هو على ما يظهر للعين لا على حقيقة المعنى لأن الليل و النهار اسمان يقعان على هذا الجوّ عند إظلامه و إضاءته بغروب الشمس و طلوعها و ليسا على الحقيقة شيئين ينسلخ أحدهما من الآخر إلا أنهما فى رأى العين كأنهما كذلك- و السلخ- يكون فى الشيء الملتحم بعضه ببعض فلما كانت هوادى الصبح عند طلوعه كالملتحمة باعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ، و كان ذلك لائقا فى بابه، و هو أولى من قوله يخرج، لأنّ السلخ أدل على الالتحام المتوهم من الاخراج. الثانى ما لا يجب استعماله و سيأتى بيانه ..

و قال قوم الاستعارة على سبعة أقسام: الأول: الاستعارة للمناسبة و هى على أربعة أقسام كما تقدم. الثانى: الاستعارة التخييلية و قد تقدم بيانها.

الثالث: الاستعارة المجردة. الرابع: الاستعارة المرشحة. الخامس:

الاستعارة البديعة. السادس: الاستعارة القبيحة. السابع: الاستعارة فى الكناية، و قد بينا متقدما بعضها و سنبين الباقى إن شاء اللّه تعالى.

الوجه الرابع: من التقسيم الأول فى اشتقاقها و هى مشتقة من العارية التى حقيقتها فى الإجرام، و لهذا قال ابن الأثير الاستعارة هى أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الإفصاح بالتشبيه و اظهاره، و تجيء على اسم المشبه به، فتعبر به عن اسم المشبه تجريه عليه كقولك: رأيت رجلا- هو كالأسد فى شجاعته، و قوة بطشه سواء فتدع ذلك و تقول- رأيت أسدا- و السين التى فى الاستعارة ليست سين الالتماس و الطلب، التى هى فى قولهم استعان اذا طلب المعونة و استجار اذا طلب الجيرة، و إنما هى كالتى فى قوله تعالى فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ. و كقول الشاعر:

فلم يستجبه عند ذاك مجيب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۷

الوجه الخامس: فيما تصح منه الاستعارة و فيما لا تصح .. قال الامام فخر الدين و جماعة من المحققين: إن الأسماء على ثلاثة أقسام: أسماء أعلام، و أسماء مشتقة، و أسماء أجناس .. فأما الأسماء الأعلام فلا استعارة فيها لأن المشابهة بين الأصل و الفرع معتبرة فى الاستعارة، و هى غير معتبرة فى الأعلام .. و أما الأسماء المشتقة فالاستعارة أيضا لا تدخلها دخولا أوليا، و هل تتحقق فى الفعل أم لا؟ فنقول: الفعل شأنه الدلالة على ثبوت المصدر لشيء فى زمان معين فالاستعارة تقع أولا فى المصدر بواسطة ذلك فى الفعل، فإذا قلت نطقت الحال، و هذا إنما يصح لأن الحال مشابهة النطق فى الدلالة على الشيء فلا جرم استعير النطق لتلك الحالة، فالاستعارة أولا واقعة على المصدر بواسطته فى الفعل، فإذا الاستعارة فى الحقيقة ليست إلّا فى المصدر، فإذا عرفت ذلك تبين لك أنّ الأسماء المشتقة أيضا كذلك فإن الإسم المشتق هو الذى يدل على ثبوت المشتق منه، لشيء مع عدم الدلالة على زمان ذلك الثبوت، فظهر منه أن الاستعارة إنما تقع وقوعا أوليا فى أسماء الاجناس ..

و تلخيص هذا الكلام أن المعنى يستعار أولا بواسطة استعارة اللفظ، و أن الاستعارة تقع فى المصدر ثم بواسطة فى الفعل، و استعارة الفعل أما من جهة فاعله كقولك نطقت الحال بكذا و لعبت به الهموم، و أما من جهة مفعوله كقول ابن المعتز:

جمع الحقّ لنا فى إمامقتل الجوع و أحيا السماح أو من جهة مفعوليه كقول القطامى:

نقريهم لهذميّات نقدّ بهاما كان خاط عليها كلّ زرّاد أو لكليهما كقول الحريرى:

و أقرئ المسامع إما نطقتبيانا يقود الحرون الشّموسا أو من جهة الفاعل و المفعول. كقوله تعالى: يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۸

أَبْصارَهُمْ .. و قال ابن الأثير فى جامعه: اعلم أن الاستعارة قد جاءت فى الأسماء و الصفات و الأفعال جميعا تقول: رأيت ليوثا. و لقيت صما عن الخير. و أضاء الحق. إلّا أنه قد استعمل الضرب الثانى الذى ذكرناه و هو قولنا- زيد أسد- فى باب الاستعارة و أورده جماعة من العلماء مثل قدامة و الجاحظ و أبى هلال العسكرى و الغانمى، و أبى محمد بن سنان الخفاجى فى تصنيفاتهم فى باب الاستعارة و لم يذكروا أن الأصل فيه أنه تشبيه بليغ فما أعلم هل ذلك لخفائه عليهم أو أنهم عرفوه و لم يذكروه و هو الأصل المقيس عليه فى التشبيه الذى أجمع عليه المحققون من علماء البيان و قد أوردناه نحن فى كتابنا هذا فى باب الاستعارة تشبيها بالقوم و استنانا بسننهم، لأنهم السابقون فى هذا الفن بالتصنيف إلا أن موضعه باب التشبيه فاعرف ذلك.

الوجه السادس: الاستعارة التخييلية، و قد تقدم الكلام فيها و نزيد ذلك وضوحا و هو أن علماء البيان قالوا: إن أكثر الآيات التى يتمسك بها أهل التشبيه من هذا. فمنها قوله تعالى: وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ اثبات الجناح للذل استعارة تخييلية .. روى أن أبا تمام لما نظم قوله: (هو حبيب بن أوس الطائى).

لا تسقنى ماء الملام فإننىصبّ قد استعذبت ماء بكائى جاءه رجل بقصعة و قال: اعطنى قليلا من- ماء الملام- فقال أبو تمام:

لا أعطيكه حتى تأتينى بريشة من- جناح الذل- فافحم الرجل. و من ذلك أيضا قوله تعالى: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ. و منه قوله تعالى: ذَرْنِى وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. و منه قوله تعالى: إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ. و منه قوله تعالى وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً و فى القرآن العظيم من ذلك كثير.

الوجه السابع: الاستعارة المجردة و هى أن تنظر إلى المستعار من غير نظر إلى غيره كقوله تعالى: فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ و كقول

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۷۹

زهير:

لدى أسد شاكى السلاح مقذّف لو نظر إلى المستعار منه لقال- فكساهم اللّه لباس الجوع- و لقال زهير- لدى أسد أوافى المخالب. أو وافى البراثن-.

الوجه الثامن: الاستعارة المرشحة و هى أن تنظر إلى جانب المستعار فتراعى جانبه و توالیه ما يستدعيه، و تضم إليه ما يقتضيه مثل قول كثير:

رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر و قول النابغة:

و صدر أراح الليل عازب همّه المستعار فى كل واحد منهما و هو الرمى و الإزاحة منظور إليه فى لفظى- السهم و العازب- الوجه التاسع: الاستعارة البديعة البالغة، و هى أن تتضمن المبالغة فى التشبيه مع الإيجاز و غالب استعارات الكتاب العزيز كذلك، و فى أشعار فصحاء العرب منها كثير.

الوجه العاشر: الاستعارة القبيحة، و ليس فى الكتاب العزيز منها شىء، و أما فى أشعار العرب و غيرهم فكثير .. و من قبيح الاستعارة قول أبى تمام:

سبعون ألفا كآساد الشّرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين و العنب و هذا البيت ليس فيه وجه من وجوه الحسن، و قد روى فى غير هذه الرواية- نضجت جلودهم قبل- و على هذه الرواية ليس فى البيت استعارة قبيحة فإن القتلى أنضجت الشمس جلودهم كما تنضج التين و العنب ..

و كذلك قوله:

أيا من رمى قلبى بسهم فأدخلا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۰

أقام- أدخل- مقام أنفذ. و فى رواية- فأقصدا- و فى رواية- فأنفذا- فعلى من روى فأقصدا و أنفذا فهى استعارة حسنة .. و مما يزيد الاستعارة حسنا و هو أصل فى هذا الباب أن يجمع بين عدّة من الاستعارات قصدا لإلحاق الشكل بالشكل، لاتمام التشبيه كقول امرئ القيس فى وصف ليل طويل:

فقلت له لمّا تمطّى بصلبهو أردف أعجازا و ناء بكلكل لمّا جعل لليل صلبا قد تمطى به بيّن ذلك فجعل له كلكلا قد ناء به فاستوفى جملة أركان الشخص، و راعى ما يراه الناظر من جميع جوانبه.

الوجه الحادى عشر: الاستعارة بالكناية و بيان ما تتنزل به الاستعارة بالكناية منزلة الحقيقة .. أما الاستعارة بالكناية فهى إذا لم يصرح بذكر المستعار، بل بذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه كقول أبى ذؤيب:

و إذا المنيّة أنشبت أظفارهاألفيت كلّ تميمة لا تنفع فكأنه حاول استعارة السبع للمنية، لكنه لم يصرح بها بل بذكر لوازمها تنبيها بها على المقصود.

الثانى عشر: ما تتنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة: و هو أن يذكر لفظا يوهم به أن الاستعارة أصلا كقول أبى تمام:

و يصعد حتى يظنّ الجهولبأنّ له حاجة فى السّماء لمّا استعار العلوّ لزيادة العلوّ فى الفضل و القدر، ذكره ذكر من يذكر علو مكان .. و كقول ابن العميد:

قامت تظلّلنى من الشمسنفس أعزّ علىّ من نفس

قامت تظللنى و من عجبشمس تظللنى من الشمس و مدار هذا النوع على التعجب و قد يجىء على عكسه كقوله:

لا تعجبوا من بلا غلالته قد زرّ أزراره على القمر

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۱

و هذا إنما يتم بالحكم الجدّى بكونه قمرا ليكون من شأنه أن يبلى الكتان.

الوجه الثالث عشر: شروط الاستعارة الكاملة .. قال ابن الأثير: لا بد للاستعارة من ثلاثة أشياء: مستعار. و مستعار منه. و مستعار له. فاللفظ المستعار قد نقل من أصل إلى فرع للإبانة، و المستعار منه، و المستعار له لفظان حمل أحدهما على الآخر فى معنى من المعانى هو حقيقى للمحمول عليه مجازى للمحمول. مثال ذلك قوله تعالى وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً فهذا مستعار، و مستعار منه، و مستعار له، فالمستعار هو الاشتعال، و قد نقل من الأصل الذى هو النار إلى الفرع الذى هو الشيب قصدا للإبانة، و أما المستعار منه فهو النار، و الاشتعال لها حقيقة، و أما المستعار له فهو الشيب و الاشتعال له مجاز.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۲

القسم الحادى و العشرون التشبيه و الكلام عليه من وجوه

اشارة

الأول: هل هو من المجاز أو لا؟. الثانى: بيان الغرض بالتشبيه .. الثالث:

فى حده .. الرابع: فى معرفة الأشياء التى يكون منها التشبيه .. الخامس: فى أقسامه .. السادس: فى ذكر أدوات التشبيه ما يكون بأداة، و ما يكون بغير أداة .. السابع: فى تشبيه الشيئين بالشىء الواحد .. الثامن: فى ذكر ما حسن به موقع التشبيه .. التاسع: فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسنا إلا به ..

العاشر: فيما يجوز عكسه من التشبيه، و ما لا يجوز .. الحادى عشر:

التشبيه فى الهيئات التى تقع عليها الحركات .. الثانى عشر: الفرق بين الاستعارة و التشبيه.

أما الأول: فالذى عليه جمهور أهل هذه الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز، و تصانيفهم كلها تصرح بذلك و تشير اليه. و ذهب المحققون من متأخرى علماء هذه الصناعة و حذاقها إلى أن التشبيه ليس من المجاز لأنه معنى من المعانى، و له حروف و ألفاظ تدل عليه وضعا كان الكلام حقيقة أو مجازا، فإذا قلت زيد كالأسد. و هذا الخبر كالشمس فى الشهرة. و له رأى كالسيف فى المضاء. لم يكن مثل نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازا.

و أما الثانى: فالغرض بالتشبيه و فائدته الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الايجاز و الاختصار، و الدليل على ذلك قولنا- زيد أسد-

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۳

فإن الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد و أنه متصف بشهامة النفس و قوة البطش و الشجاعة و غير ذلك مما جرى هذا المجرى، إلا أنا لم نجد شيئا يدل عليه سوى جعلناه شبيها بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه، فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف و أبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جرىء الجنان و أشباه ذلك، لما قد عرف و عهد من اجتماع هذه الصفات فى المشبه به، فإنه معروف بها مشهور بكونها فيه.

و أما الثالث: فقد اختلفت عبارات أهل هذا الشأن فى حده، فقال قوم: حده أن يثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به .. و قال قوم: حده الدلالة على اشتراك شيئين فى معنى من المعانى، و أن أحدهما يسدّ مسدّ الآخر و ينوب منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازا، أما الحقيقة:

فهو أن يقال فى شيئين أحدهما يشبه الآخر فى بعض أوصافه كقولنا- زيد أسد- فهذا القول صواب من حيث العرف، و داخل فى باب المبالغة الا أنه لم يكن زيد أسد على الحقيقة.

و أما الرابع: فقال المحققون من علماء هذا الشأن الاشياء التى يكون منها التشبيه لا يخلو إما أن تكون صفة حقيقية، أو حالة اضافية.

فأما الأول فلا يخلو إما أن يكون كيفية جثمانية أو نفسانية، و الاول لا يخلو إما أن تكون صفة محسوسة أو لا تكون محسوسة، فإن كانت محسوسة، فإما أن تكون محسوسة أولا- أو ثانيا، و المحسوسات الأول هى مدركات السمع. و البصر. و الشم. و الذوق. و اللمس.

فالاشتراك فى الكيفية المبصرة مثل تشبيه الورد بالخد لاشتراكهما و كذلك تشبيه الوجه بالنهار و الشعر بالليل. و الاشتراك فى كيفية مسموعة كتشبيه أطيط الرحل بأصوات الفراريج فى قول الشاعر:

كأنّ أصوات من ايغالهنّ بناأواخر الميس أصوات الفراريج التقدير- كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۴

بنا- فصل بين المضاف و المضاف اليه. و الاشتراك فى كيفية مذوقة كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل و السكر. و الاشتراك فى كيفية مسمومة كتشبيه بعض الرياحين برائحة الكافور و المسك و الاشتراك فى كيفية ملموسة كتشبيه لين ناعم بالخز و الحرير، و الخشن بالمسح من الشّعر، هذا إذا كان فيه الاشتراك محسوسا أولا. أما اذا كان محسوسا ثانيا، فالمحسوسات الثانية هى: الاشكال. و المقادير. و الحركات.

و الأشكال: إما مستقيمة أو مستديرة فالتشبيه لأجل الاشتراك فى الاستقامة مثل تشبيه المستوى المنتصب بالرمح، و القد بالقضيب و الغصن. و ان كان الاشتراك فى الاستدارة، فكتشبيه الشىء المستدير بالكرة تارة و بالحلقة أخرى.

و إن كان الاشتراك فى المقادير فكتشبيه عظيم الجثة بالجبل و الفيل و إن كان فى الحركة مع اعتدال الاستقامة، فكتشبيه الذاهب على الاستقامة بنفوذ السهم، و أما إذا كان الاشتراك فى كيفية جثمانية غير محسوسة، فهو كالاشتراك فى الصلابة، و الرخاوة. و أما اذا

كان الاشتراك فى كيفية نفسانية فهو كالاشتراك فى الغرائز و الاخلاق مثل:

الكرم. و الحلم. و القدرة. و العلى. و الذكر. و الفطنة. و التيقظ و المعرفة.

و أما اذا كان الاشتراك فى حالة الاضافية لا فى كيفية حقيقية، فهو مثل قولك- هذه حجة كالشمس- فاشتراكهما ليس فى شىء من الكيفيات الحقيقية، و لكن فى أمر إضافىّ و هو أن كل واحد منهما مزيل للحجاب .. ثم ان هذه الاضافات قد تكون جلية أو قد تكون خفية، و ربما يبلغ الجلى فى القوة الى أن يقرب من القسم الأول. مثال الجلى تشبيه الحجة بالشمس. و كذلك قولهم فى صفة الكلام ألفاظ كالماء فى السلاسة. و كالنسيم فى الرقة. و كالعسل فى الحلاوة. يريدون أن اللفظ اذا لم تتنافر حروفه تنافرا يثقل على اللسان، و لم يكن غريبا حوشيا، بل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۵

كان مألوفا، ثم إن القلب يرتاح له و النفس تنشرح به فلسرعة وصوله الى النفس صار كالماء الذى يسوغ فى الحلق و كالنسيم الذى يسرى فى البدن و يتخلل المسالك اللطيفة، و لأجل اهتزاز «۱» النفس به أشبه العسل الذى يلذ طعمه و يميل الطبع اليه .. هذا المثال أشد حاجة إلى التفسير من تشبيه الحجة بالشمس، و لكنه مع ذلك غير بعيد عن الفهم، و أما المتوغل فى البعد عن الطبع و شدة الحاجة إلى التأويل فكقول من ذكر بنى المهلب هم كالحلقة المفرغة لا ينتهى طرفاها أ لا ترى أنه لا يفهم المقصود من ذلك إلا من له طبع يرتفع عن طبع العامة؟ ..

و من وجوه التشبيه أيضا التشبيه بالوجه المعقول، و هو عندهم أقوى و أظهر من التشبه بالمحسوس، لأن تشبيه المحسوس بالمحسوس يمكن أن يكون لأجل الاشتراك فى وصف محسوس و يمكن أن يكون لأجل الاشتراك فى وصف معقول و يمكن أن يكون لأجلهما جميعا. مثال الأول:

تشبيه الخد بالورد. و مثال الثانى: قوله عليه الصلاة و السلام ايّاكم و خضراء الدّمن الحسن الظاهر القبيح الباطن و هو أمر عقلى. و كذلك تشبيه الرجل النبيه بالشمس، فإن النباهة صفة عقلية و كذلك قوله عليه الصلاة و السلام أصحابى كالنجوم المعنى به أنه يهتدى بهم فى أمور الأديان كما يهتدى بالنجوم فى الليالى المظلمة، فالشبه فى أمر عقلى.

و مثال الثالث: تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس. و أما الاقسام الثلاثة أعنى تشبيه المعقول بالمعقول، و المعقول بالمحسوس و المحسوس بالمعقول، فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلى، لأن وجه المشابهة لو كان مشتركا بين الجانبين لكان المعقول الموصوف به محسوسا من ذلك الوجه، و هو محال، فثبت أن التشبيه بالوصف

---

(۱) كذا فى الأصل و لعله التذاذ فليحرر.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۶

المعقول أعم من التشبيه بالوصف المحسوس، و إذا علم هذا و تبيّن الوجه الذى يكون منه التشبيه تعيّن ذكر أقسام التشبيه مبينة منزّلة على ما قدّمناه.

و أما الخامس: فقد أطبق جمهور علماء هذه الصناعة على أن أقسامه أربعة: الاول: تشبيه محسوس بمحسوس. الثانى: تشبيه معقول بمعقول. الثالث: أن يكون المشبه معقولا، و المشبه به محسوسا. الرابع: أن يكون المشبه محسوسا و المشبه به معقولا. و قد زاد ابن الأثير قسما خامسا، و سماه غلبة الفروع على الأصول، و سيأتى بيانه.

أما الأول و هو تشبيه المحسوس بالمحسوس فكقوله تعالى:

وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ و قوله تعالى:

كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ و من شرط هذا النوع أن يكون المشبه و المشبه به مشتركين من وجه مختلفين من وجه، و لا يخلو إما أن

يكون اشتراكهما فى الذات و اختلافهما فى الصفات، و إما أن يكون بالعكس.

فالأول مثل تشبيه العدو بالطيران لأنه ليس الاختلاف بينهما إلا بالسرعة و بالبطء. و الثانى كتشبيه الشعر بالليل و الوجه بالنهار .. و أما القسم الثانى و هو تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه الموجود العارى عن الفوائد بالمعدوم أو تشبيه الشىء الذى تبقى فوائده بعد عدمه بالموجود. و منه قول الشاعر:

فرحت و آمالى كحظى كواسفو عزمى يحاكى سعيه فى المكارم و أما القسم الثالث الذى هو تشبيه المعقول بالمحسوس، فهو كقوله تعالى: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ. و قوله: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً. و قوله

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۷

تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ و أيضا مثل تشبيه الحجة بالشمس و بالنور الذى هو محسوس بالبصر، و ليس لأحد ان يقول الحجة أيضا مسموعة.

قلنا المفيد هو المعانى العقلية الحاصلة فى الذهن و وجه المشابهة أن القلب مع الشبه كالبصر مع الظلمة فى أن البصر فى الظلمة لا يفيد لصاحبه مكنة السعى، و لو سعى فربما دفع إلى الهلاك فتردّى فى أهوية و من الأمثلة تشبيه العدل بالقسطاس ..

و أما القسم الرابع و هو تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس و منتهية اليها، و لذلك قيل: من فقد حسا فقد علما، و إذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع أصلا و للأصل فرعا، و هو غير جائز، و كذلك لو حاول محاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور أو المسك بالطيب فقال الشمس فى الظهور كالحجة و المسك فى الطيب كخلق فلان كان سخفا من القول مع أنه قد ورد فى الكلام الفصيح و أشعار العرب و المتأخرين منه ما لا يحصى. فمن ذلك قول بعضهم:

و كأنّ النجوم بين دجاها سنن لاح بينهنّ ابتداع- و كقول بعضهم:

و لقد ذكرتك و الظلام كأنهيوم النوى و فؤاد من لم يعشق - و قول بعضهم:

كأنّ ابيضاض البدر من تحت غيمهنجاة من البأساء بعد وقوعه - و قول التنوخى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۸ أما ترى البرد قد وافت عساكرهو عسكر الحرّ كيف انصاع منطلقا

فانهض بنار الى فحم كأنهمافى العين ظلم و انصاف قد اتفقا

جاءت و نحن كقلب الصبّ حين سلابردا فصرنا كقلب الصّبّ إذ عشقا - و قال آخر:

ربّ ليل كأنه أملى فيك و قد رحت عنك بالحرمان- و قول الصاحب حين أهدى العطر إلى القاضى أبى الحسن:

يا أيها القاضى الذى نفسى لهفى قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديت عطرا مثل طيب ثنائهفكأنما أهدى له أخلاقه و مثل هذا فى أشعارهم كثير لا يحصى و الذى يجمع بين هذا و بين القواعد العقلية أن هذه الاشياء المعقولة لتقررها فى الذهن و تخيلها فى العقل، صارت بمنزلة المحسوسات، فلما نزلت منزلة المحسوسات صح التشبيه و قويت، و صار المعقول للمبالغة أثبت فى النفس و أقوى من المحسوس، فصار لذلك أصلا يشبّه به. و من هذا قوله تعالى: طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ و لهذا قال امرؤ القيس يشبه نصول الرماح:

و مسنونة زرق كأنياب أغوال فإنهم و إن كانوا لم يشاهدوا الغول و أنيابها لكنهم لما اعتقدوا فيها أى فى أنيابها غاية الحدّة حسن التشبيه، و الصحيح أن المحسوس أعرف من التشبيه بالوصف المعقول لثلاثة أوجه. الأول أن أكثر الغرض من التشبيه التخييل الذى يقوم مقام التصديق فى الترهيب و الترغيب و الخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الأمور الاضافية.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۸۹

و الثانى أن الاشتراك فى نفس الصفة أسبق من الاشتراك فى مقتضاها. الثالث أن المشابهة فى الصفة قد تبلغ الى حيث يتوهم أن

احدهما الآخر. و أما المشابهة فى مقتضى الصفة لا تبلغ إلى هذا الحد لأن من المستحيل أن لا يجد العاقل فصلا بين ما يقتضيه ذوق العسل فى نفس الذائق، و بين ما يحصل بالكلام المقبول فى نفس السامع .. و أما القسم الخامس فقال ابن الاثير: و من أقسام التشبيه قسم يقال له غلبة الفروع على الأصول، و هو ضرب من الكلام ظريف لا يكاد يوجد منه شىء الا و الغرض به المبالغة .. فما جاء من ذلك قول ذى الرّمة:

و رمل كأوراك العذارى قطعتهإذا ألبسته المظلمات الحنادس - و مثل ذلك قول بعضهم:

فى طلعة البدر شىء من ملاحتهاو فى القضيب نصيب من تثنيها و الغرض بهذا النوع المبالغة فى وصف المشبه به كأن هذا المعنى ثبت له و صار أصلا.

و أما السادس: فى أدوات التشبيه فأدواته اسماء و أفعال و حروف.

أما الاسماء فمثل بسكون الثاء و تحريكها و شبه بسكون الباء و تحريكها و أشباه ذلك. و أما الافعال كحسبت و خلت و يحسب و يخال و نظائرها.

و أما الحروف فالكاف مفردة و اذا أضيف اليها ما يجرى مجرى ذلك و قد نطق بذلك كله الكتاب العزيز و السنة.

أما الأسماء فقال اللّه تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً.

و قال تعالى: مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِى هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ. و قال تعالى: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ

وَ السَّمِيعِ و قال تعالى: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ. و قال تعالى فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ.

و قال تعالى: وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً. و قال تعالى: إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا و فى الحديث الصحيح فمن أين يكون الشبه و الشّبه. و أما الافعال فكقوله تعالى: يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً. و قال تعالى: يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى.

و أما الحروف فكقوله تعالى: كَالَّذِى يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ.

و قوله تعالى: كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ. و قوله تعالى: كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ. و أما- كأنّ- فكقوله تعالى: كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ و فى القرآن من هذا كثير.

و أما فى كلام العرب الفصحاء منهم و أشعارهم فشىء كثير أضربنا عن ذكره لكثرته و شهرته .. و قال ابن الأثير و قد وقع فى القرآن العزيز التشبيه بغير أداة فى مواضع كثيرة. منها قوله تعالى: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا- يَرْجِعُونَ. و قوله تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ و هو أبلغ فى التشبيه .. قال جمهور علماء هذا الشأن: التشبيه يكون بأداة تارة، و تارة بغير أداة، لكن إذا كان بغير أداة كان أبلغ و أوجز، لأن قولنا- زيد أسد- يعطى ظاهره من المعنى أنّا أخبرنا عن زيد أنه أسد، و ذكرنا أنه هو الا أن حرف التشبيه الذى كان مخفيا فى الاول فيصير حينئذ تشبيها لزيد بالأسد، و الاول كان قد جعل هو الأسد، و حرف التشبيه يقدر فيه تقديرا فمن هذا الوجه كان الأول أبلغ و أشد وقعا فى النفس. و أما كونه أوجز فلأن قولنا- زيد أسد- أخص من قولنا- زيد كأنه الأسد- و ان كان المعنيان سواء.

و أما السابع: فى تشبيه الشيئين بالشىء، و قد يشبه الشيئين بالشىء الواحد، و انما جاز ذلك لأنّ المشبه قد يأخذ صفة من صفات

نفسه و صفة غيره ثم يشبههما بشىء آخر كقول الشاعر:

صدغ الحبيب و حالى كلاهما كاللّيالى و قد وقع تشبيه الشيئين بالشىء الواحد، و انما جاز ذلك لأنه لا يخلو الشيئان فى تشبيه أحدهما بالآخر من ثلاثة أقسام: إما تشبيه معنى بمعنى، و إما تشبيه معنى بصورة، و إما تشبيه صورة بصورة، و كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة لا- يخلو من ثلاثة أقسام: إما تشبيه مفرد بمفرد .. و إما تشبيه مركب بمركب. و إما تشبيه مفرد بمركب. فأما تشبيه المفرد بالمفرد

فكقول البحترى:

تبسم و قطوب فى ندى و وغى كالغيث و البرق تحت العارض البرد و منه قوله تعالى: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ الآية. و أما تشبيه المركب بالمركب فقوله تعالى: إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعامُ الى قوله: كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ الآية. فشبه حال الدنيا فى سرعة زوالها و انقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض و ذلك تشبيه معنى بصورة و هو أبدع ما يجىء فى هذا القسم. و مثله فى حق المنافقين: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِى ظُلُماتٍ. لا يُبْصِرُونَ تقديره أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا فى ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله، و اتقى ما يخاف و أمن فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقى مظلما خائفا متحيرا، و كذلك المنافق إذا أظهر كلمة الايمان استنار بها و اعتز بعزها و أمن على نفسه و ماله و ولده، فإذا مات عاد إلى الخوف و بقى فى العذاب و النقمة.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹۲

و يجوز أن يكن المعنى أنهم لما وصفوا- بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى- عقب ذلك بهذا التمثيل مثّل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد- و الضلالة- التى اشتروها، و طبع بها على قلوبهم بذهاب اللّه بنورهم و تركهم فى ظلمات لا يبصرون، ثم قال اللّه- صمّ بكم عمى- كانت حواسهم سليمة لكن لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة الى الحق و أبوا أن ينطقوا به بألسنتهم و أن ينظروا و يتبصروا بعيونهم، جعلوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات، و هذا من عجائب التشبيه و طريقته عند علماء البيان طريقة قولهم- ليوث- للشجعان- بحور- للكرام .. و بعض علماء هذه الصناعة يجعلون ما كان على مثال قوله تعالى: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ استعارة و ليس كذلك لأن المستعار مذكور.

- و من هذا القسم قول الشاعر:

بكيت عليه حين لم يبلغ المنىو لم يرو من ماء الحياة المكدّر و منه قول المتنبى:

كأن الجفون على مقلتىّ ثياب شققن على ثاكل و أما تشبيه المفرد بالمركب فمن ذلك قول بعضهم:

كأن السّهى انسان عين غريقةمن الدّمع يبدو كلما ذرفت ذرفا و أما الثامن: فى ذكر ما يحسن به موقع التشبيه .. قال أئمة هذا الشأن: ان كثرة التقييدات يعظم بها حسن موقع التشبيه و تكون أدخل فى التشبيه من غيرها لأنها عقلية. مثال ذلك قوله تعالى: إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ إلى قوله: كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ و هذه فيها عشر جمل قيد بعضها ببعض حتى صارت جملة واحدة، و هى مع ذلك لا يمتنع أن تكون صور الجمل معناها حاصلا يمكن أن يشار

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹۳

إليها واحدة واحدة، ثم أن التشبيه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، فإنك لو حذفت منها جملة واحدة من أى موضع كان أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه .. و قد يقع من التشبيه جمل لا يخل اسقاط بعضها بالتشبيه، و هى كل جملة جمعت أغراضا كثيرة كل واحد منها منفرد بنفسه و لهذا النوع خاصيتان: الأولى أنه لا يجب فيها الترتيب، أ لا ترى أنك اذا قلت- زيد كالأسد بأسا. و البحر جودا.

و السيف مضاء. و البدر بهاء- لم يجب عليك أن تحفظ فى هذه التشبيهات نظاما مخصوصا و هو كقول بعضهم:

يا هلالا يدعى أبوه هلالاجلّ باريك فى الورى و تعالى

أنت بدر حسنا و شمس علواو حسام حزما و بحر نوالا - الثانية إذا سقط البعض فإنه لا يتغير حال الباقى كقولهم يصفو و يكدر و يحلو و يمر و لو تركت ذكر الكدورة و المرارة لو وجدت المعنى فى تشبيهك بالماء فى الصفاء و العسل فى الحلاوة باقيا على حاله. و قد وقع فى بعض الاشعار ما يظن أن فيه تشبيهات مجموعة، و ليس كذلك بل هو تشبيه واحد، و ذلك كقول الشاعر:

كما أبرقت قوما عطاشا غمامةفلما رجوها أقشعت و ثجلت و أما التاسع: فهو فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسنا الا به و هو أن يكون التشبيه جليا و يكون بحال يتبادر الذهن إليه و إلى إدراكه، و لا يحتاج إلى اطالة فكرة و لا إمعان نظر، فإن الغرض بالتشبيه بيان حسن موقع التشبيه و ظهور مزية المشبه بحسن حال المشبه به أو قبحه، و لذلك هجنوا تشبيه من شبه الشمس بالمرآة فى كف الأشل و كتشبيه البرق بإصبع السارق فى قول بعضهم:

أرقت أم نمت لضوء بارق مؤتلفا مثل الفؤاد الخافق كأنه إصبع كف سارق

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹۴

و أما العاشر: فيما يجوز عكسه من التشبيه و ما لا يجوز. فأما الذى لا يجوز عكسه، فكل تشبيه كان الغرض به إلحاق الناقص بالزائد مبالغة فى اثبات الحكم للناقص فهذا يمتنع عكسه، و هو كما اذا شبهت شيئا أسود بما هو الاصل فى شدة السواد كخافيتى الغراب و القار امتنع فيه العكس، لأن تنزيل الزائد منزلة الناقص تضاد المبالغة فى الاثبات. و اما الذى يجوز عكسه فهو الجمع بين شيئين فى مطلق الصورة أو الشكل، أو اللون فالعكس مستقيم فيه فهو كتشبيه الصبح بغرة الفرس مع كون البياض قليلا بالاضافة إلى السواد، و كذلك تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة و الدينار الخارج من السكة كقول ابن المعتز فهذا حسن مقبول، و ان اعظم التفاوت بينهما لأنك لم تضع التشبيه على مجرد النور، و انما قصدت إلى مستدير يتلألأ- و يلمع، ثم خصوص جنس اللون الموجود فى المرآة المجلوة و الدينار للتخلص من حمى المسبك يوجد فى الشمس، فأما مقدار النور بأنه زائد أو ناقص و الجرم عظيم أو صغير فمما لم يتعرض له و على هذا خرج قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ الآية، فإنه سبحانه و تعالى لم يرد بالتشبيه بهذه الزجاجة الموصوفة بهذه الصفة المشاركة بين نوره و بين نور هذه الزجاجة، إذ لا مناسبة بينهما، بل كان ذلك من التشبيه الذى ينعكس بل الذى يتعين عكسه.

و أما الحادى عشر: فى الهيئات التى تقع عليها الحركات فهى عند أرباب هذا العلم على قسمين: أحدهما أن تعرف تغيرها من الأوصاف كالشكل. و اللون الثانى أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها .. فمن الأول قول ابن المعتز:

و الشمس كالمرآة فى كفّ الأشل أراد أن يربك مع الاستدارة، و الاشراق الحركة التى تراها فى الشمس إذا أنعمت التأمل، ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركة، و ذلك أن

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹۵

للشمس حركة متصلة دائمة و لنورها بسبب ذلك تموج و اضطراب و لا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون المرآة فى يد الاشل لأن حركته تدوم و تتصل، و يكون لها سرعة و بدوام الحركة يتموج نور المرآة و تلك حال الشمس لأنك ترى شعاعها كانه يهم أن ينبسط حتى يفيض من جوانبها، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى تراه إلى الانقباض كأنه يجمعه من جوانب الدائرة ابن سناء الملك فى أبيات هجا فيها الشمس قال فيها:

لا كانت الشمس فكم أصدأتصفحة خدّ كالحسام الصّقيل

و كم و كم صدّت بوادى الكرىطيف خيال زارنى من خليل

تكذب فى الوعد و برهانهأن سراب القفر منها سليل

و تحسب النهر حساما فترتاع و تحكى فيه قلب الذليل و مما يشبه التشبيه الاول و ان صور فى عين المرآة قول المهلب بن ابى صفرة الوزير:

الشمس من مشرقها قد بدتمشرقة ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحميتيجول فيها ذهب ذائب و ذلك أن الذهب الذائب يتشكل بشكل البوتقة على النار فإنه يتحرك فيها كل حركة على الحد الذى وصفت لك، و ما فى طبع الذهب من النعومة و فى أجزائه من شدة الاتصال و التلاحم بمنعه أن يقع فيها غليان كما

فى الماء فيرتفع وسطه ارتفاعا شديدا و جملته كأنها تتحرك بحركة واحدة و يكون فيها ما ذكرناه من الانبساط الى الجوانب ثم انقباض و منها قوله:

كأن فى غدرانها حواجبا أراد ما يبدو فى صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار، ثم إنك تراها تمتد امتدادا ينقص من انحنائها و تحدّ بها و كأنها تنتقل من التقوس إلى الاستواء، و ذلك

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹۶

أشبه شىء بالحواجب اذا بدت. و الثانى ما يكون التشبيه فى هيئة الحركة فقط مجردة من كل وصف يقاربها و هناك أيضا لا بد من أخلاط كثيرة فى جهات متفرقة مختلفة و كلما كان التقارب أكثر كان التركيب فى الهيئة المتحركة أكثر. و قد يقع التشبيه أيضا بالسكون كقول الاخطل فى وصف مصلوب:

كأنه عاشق قد مدّ صفحتهيوم الوداع الى توديع مرتحل

أو نائم من نعاس فيه لوثتهمواصل لتمطيه من الكسل فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل، و لو قال كأنه ممتط من نعاس و اقتصر عليه كان قريب التناول. و قد وقع فى القرآن العظيم آيات كثيرة شبه فيها الحركات بالحركات و السكون بالسكون. فمن ذلك قوله تعالى: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ. و قوله: يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ. و قوله تعالى يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ شبه سرعة سير الجبال مع سرعة سكون بسرعة سير السحاب مع سكون أيضا و شبه سرعة وميض البرق بسرعة يد المختطف و شبه حركة التفاف جرم السماء بحركة التفاف جرم الكتاب بعضه على بعض و كذلك السكون. و منه قوله تعالى وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً- و الرهو- الساكن شبه ذهاب حركة البحر بذهاب حركة الخيل عند سكونها، تقول العرب جاءت الخيل رهوا أى ساكنة فشبه البحر بها و ذلك أنه قام فرقاه ساكنين فقال لموسى عليه الصلاة و السلام دع البحر ساكنا قائما ماؤه كما أخبر اللّه سبحانه و تعالى: فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ.

و أما الثانى عشر: فهو الفرق بين الاستعارة و التشبيه. ذهب جماعة من أهل هذا الشأن إلى ان التشبيه و الاستعارة شيئان و فرق الحذاق، و قالوا إن التشبيه حكم إضافى لا بد فيه من ذكر مشبه و مشبه به، فإنك اذا قلت- رأيت أسدا- فهو استعارة لم تذكر شيئا حتى تشبهه بالأسد، و لو كان تشبيها لتعيّن أن تقول زيد أسد أو زيد كالأسد و لم يكن غرضك فى قولك زيد أسد إلا المبالغة

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹۷

فى مدح زيد بالشجاعة .. فرق ثان أن التشبيه لا يكون إلا بأداة التشبيه غالبا و الاستعارة لا تحتاج الى أداة فإنك إذا قلت- لعبت به يد الصبا- لم يكن كقولك- فلان له خلق كالصبا- .. فرق ثالث أن الاستعارة أوجز من التشبيه، فإنك اذا قلت- زيد أسد- أوجز من قولك- زيد فى بسالة الأسد- فثبت على هذا التقدير أن التشبيه أحد غرضى الاستعارة.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹۸

فصل [فى التمثيل]

و منها التمثيل .. قد أطلق علماء هذه الصناعة اسم التشبيه على كل تمثيل منتزع من أمور مجتمعة بتقييد البعض بالبعض، و هو قريب من الاستعارة، و منه فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ.

و قوله تعالى: مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا الآية. و من ذلك قوله تعالى: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ .. و قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها الآية و مثله فى القرآن كثير .. و من هذا النوع المثل السائر و معنى السائر أنه كثر استعماله و استعماله على أن الثانى بمعنى الأول، لأن ذكرها على تقدير أن يقال فى الواقعة المعينة انها بمنزلة من قيل له هذا القول و

الأمثال كلها حكايات لا تغيّر و هى أكثر من أن تحصى، و قد صنف العلماء فيها كتبا و شرحوا معانيها و الخوض فى ذكرها يطول و قصدت الاختصار لا- الإكثار .. و من الأمثال السائرة فى الكتاب العزيز قوله تعالى: لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ. و قوله تعالى: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ. و قوله تعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً .. و منه فى السنة قوله صلّى اللّه عليه و سلّم الآن حمى الوطيس، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أول من فاه بهذا المثل، ثم صار مثلا سائرا. و منه قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إيّاكم و خضراء الدّمن». و فى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۹۹

غضون كلامه صلّى اللّه عليه و سلّم من هذا كثير .. و أما أشعار العرب فقد ورد فيها من ذلك كثير منها ما فى البيت مثل واحد، و منها ما فى البيت مثلان و منها ما فيه ثلاثة، و منها ما فيه أربعة، و منها ما فيه خمسة، و منها ما فيه ستة فأما ما فيه مثل واحد فكقول أبى فراس:

تهون علينا فى المعالى نفوسناو من طلب الحسناء لم يغله المهر و قول أبى تمام:

فلو صورت نفسك لم تزدهاعلى ما فيك من كرم الطباع - و مما جاء من الشعر فيه مثلان قول بعضهم:

اللّه أنجح ما طلبت بهو البرّ خير حقيبة الرّحل فى كل قسم منه مثل قائم بنفسه غير محتاج إلى صاحبه .. و منه قول الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيهلا يذهب العرف بين اللّه و الناس - و قول أبى فراس:

و من لم يوق اللّه فهو مضيّعو من لم يعزّ اللّه فهو ذليل - و قول المتنبى:

و كلّ امرئ يولى الجميل محبّبو كلّ مكان ينبت العزّ طيّب - و أما ما فيه ثلاثة أمثال فكقول زهير بن أبى سلمى:

و فى الحلم إدهان و فى العفو ذلّةو فى الصدق منجاة من الشرّ فاصدق - و أما فيه أربعة أمثال فكقول بعض العرب:

فالهمّ فضل و طول العيش منقطعو الرّزق آت و رزق اللّه منتظر - و أما ما فيه خمسة فكقول الشاعر:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۰ خاطر تفد و ارتد تجد و اكرم تسدو انقد تقد و اصغر تعدّ الأكبرا - و أما ما فيه ستة فكقول ابن اللبّانة الأندلسى:

ته أحتمل و استطل أصبر و عزّ أهنو لل أقبل و قل أسمع و مر أطع - و المثل- جمعه أمثال و سمى المثل مثلا لأنه ماثل بخاطر الانسان أى شاخص يتأسى به و يتعظ و يخشى و يرجو و الشاخص المنتصب و هو من قولهم طلل ماثل أى شاخص، و هذا رسمه اللغوى، و الذى تقدم فى أول الباب حده الصناعى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۱

القسم الثانى و العشرون من المجاز الإيجاز و الاختصار

اشارة

و هو على قسمين: وجيز بلفظه، و وجيز بحذف.

فأما الوجيز بلفظه: فهو عند أرباب هذه الصناعة أن يكون اللفظ بالتشبيه إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة، و سبب حسنه أنه يدل على التمكن فى الفصاحة و الملكة فى البلاغة، و حصول ملاذ كثيرة دفعة واحدة، و اللفظ لا يخلو إما أن يكون مساويا لمعناه و هو المقدر أو أقلّ منه و هو المقصور .. أما المقدر فكقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى، وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أمر اللّه فى أول هذه الآية بالعدل و الاحسان و إيتاء القربى و نهى فى وسطها عن الفحشاء و المنكر و البغى، و وعظ فى آخرها، و ذكر فجمع فى هذه ضروبا من البيان و أنواعا من الإحسان، فذكر العدل و الاحسان و

الفحشاء و المنكر بالألف و اللام التى هى للاستغراق، أى استغراق الجنس المحتوى على جميع أنواعه و ضروبه، و جمع فيها بين الطباق اللفظى و الطباق المعنوى، أما اللفظى ففى قوله- إن اللّه يأمر و ينهى- و أما المعنوى ففى قوله- العدل و الاحسان و إيتاء ذى القربى- و قوله- الفحشاء و المنكر و البغى- فإن الثلاثة الأواخر أضداد الثلاثة الأول لأن الثلاثة الأول من الفعل الحسن، و الثالثة الأواخر من القبيح، فطابق بين الحسن و القبيح مطابقة معنوية، ثم بين خصوصية ذوى القربى بإعادة الايصاء

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۲

عليهم و الإيتاء لهم مع أن الأمر بالاحسان قد تناولهم، و بدأ بالعدل لأنه فرض، و تلاوة بالإحسان لأنه مندوب اليه، و قد يجب فاحتوت الآية على حسن النسق و عطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل و عطف عليه الإحسان الذى هو جنس عام، و خص منه نوعا خاصا و هو إيتاء ذى القربى، ثم أتى بالأمر مقدما و عطف عليه النهى بالواو، ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات فى العطف بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه و لم يتقدم عليه ما يجب تأخيره ثم ختم ذلك كله بأمور مستحسنة و دعا الى سبيله بالحكمة و الموعظة الحسنة، فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن و القضايا و أشتات من الأوامر و النواهى و المواعظ و الوصايا ما لو بث فى أسفار عديدة لما اسفرت عن وجوه معانيها، و لا احتوت على أصولها و مبانيها و سبحان من لا يشبه خلقه ذاتا و لا كلاما و لا إحكاما و لا أحكاما.

و فى القرآن العظيم من هذا النمط كثير و قد وقع آيات كثيرة قلت حروفها و كثرت معانيها، و ظهرت دلائل الإعجاز فيها مثل قوله تعالى: وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ. و قوله تعالى: مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ*. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان ۱۰۲ القسم الثانى و العشرون من المجاز الإيجاز و الاختصار ..... ص : ۱۰۱

قوله تعالى: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. و من ذلك فى السنة كثير كقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «الأعمال بالنيات و المجالس بالامانات». و كقوله:

«الضعيف أمير الرّكب» يعنى أنه ينبغى متابعته فى السير، كما ينبغى متابعة أمير الركب، و قد صرّح بذلك فى قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «سير و اسير أضعفكم».

و من ذلك فى أشعار العرب و خطبهم كثير و كثرته و شهرته أغنت عن ذكره.

و أما المقصور: فإما أن يكون من نقصان لفظه عن معناه لاحتمال لفظه معان كثيرة، أو لا يكون كذلك. الثانى كما فى قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ. و كذلك قوله تعالى: أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۳

وَ هُمْ مُهْتَدُونَ. و كقوله تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ و هذا أحسن من قولهم القتل أنفى للقتل لوجوه سبعة.

الأول: أن قولهم القتل أنفى للقتل فى ظاهره متناقض، لأنه جعل حقيقة الشىء منافية لنفسه، و إن قيل أن المراد منه ان كل واحد من أفراد هذا النوع ينفى غيره، فهو أيضا ليس أنفى للقتل قصاصه، بل أدعى له، و إنما يصح إذا خصص فقيل القتل قصاصا أنفى للقتل، فيصير كلاما طويلا مع أن التقييدات بأسرها حاصلة فى الآية.

الثانى: أن القتل قصاصا لا ينفى القتل ظلما من حيث أنه قتل، بل من حيث أنه قصاص و هذه الجملة غير معتبرة فى كلامهم.

الثالث: أن حصول الحياة هو المقصود الأصلى و نفى القتل انما يراد لحصول الحياة و التنصيص على الغرض الاصلى أولى من التنصيص على غيره.

الرابع: إن التكرار عيب و هو موجود فى كلامهم دون الآية.

الخامس: أن حروف- فى القصاص حياة- اثنا عشر و حروف- القتل أنفى للقتل- أربعة عشر.

السادس: أنه ليس فى كلامهم كلمة يجمع فيها حرفان متلاصقان متحركان إلا فى موضع واحد، بل ليس فيها الأسباب حقيقة متوالية،

و قد عرف أن ذلك مما ينقص من سلاسة الكلام بخلاف الآية.

السابع: أن الدافع لصدور القتل عن الانسان كراهته لذلك، و صارفه القوى عنه حتى انه ربما يعلم أنه لو قتل قتل ثم لا يرتدع، و إنما رادعه القوى هو إما الطمع فى الثواب، أو الذكر الجميل، و إذا كان كذلك فليس أنفى الأسباب للقتل هو القتل بل الأنفى لذلك هو العارف القوى. و قوله تعالى- فى القصاص حياة- لم يجعل القصاص مقتضيا الحياة على الاطلاق، بل الحياة

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۴

منكرة، و السبب فيه أن شرعية القصاص تكون رادعة عن الاقدام على القتل غالبا. ثم لتعلم أن فى هذا التنكير فائدة أخرى لطيفة، و هى أن الإنسان إذا علم أنه اذا قتل قتل ارتدع بذلك عن القتيل فسلم صاحبه، فصارت حياة هذا الموهوم قتله فى المستقبل مستفادة بالقصاص، و صار كأنه قد حيى فى بقى عمره، و لذلك وجب التنكير و امتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضى أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها، و ليس الأمر كذلك.

و مثل هذا التنكير قوله تعالى: وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ و فائدة التنكير أن الحريص لا- بدّ و أن يكون حيا، و حرصه لا يكون على الحياة الماضية و الراهنة، بل على الحياة المستقبلة، و لمّا لم يكن الحرص متعلقا بالحياة على الإطلاق، بل بالحياة فى بعض الأحوال لا جرم جاءت بلفظ التنكير .. و اعلم أن للتنكير فى قوله تعالى- فى القصاص حياة- فائدة أخرى: و هى أن الرجل قد يرتدع بالقصاص حتى لا- يقدم على القتل، لكن من الجائز أن لا يكون للانسان عدوّ فيقصد قتله حتى يمنعه خوف القصاص، و حينئذ لا تكون حياة ذلك الإنسان لأجل الخوف من القصاص ض، و لما دخل الخصوص فى هذه القصة وجب ان يقال حياة، و لا يقال الحياة، و كذلك يقال شفاء، و لا يقال الشفاء فى قوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ حيث لم يكن شفاء للجميع .. و من بديع هذا النوع أن أبا جعفر المنصور سأل معن بن زياد أيما أحبّ اليك دولتنا أو دولة بنى أمية؟ فقال: ذلك إليك، و معناه أن زيادة هذه المحبة و نقصانها بيدك، لأنها على قدر إحسانك. و الفرق بين هذا القسم و بين المقدم و هو أن يكون نقصان اللفظ لأجل احتماله معان كثيرة، و ذلك كاللفظ المشترك أو الذى له مجازات، أو حقيقة و مجاز إذا أريدت معانيه كما فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي و الصلاة من اللّه تعالى رحمة، و من الملائكة استغفار.

و كذلك قوله تعالى: أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۵

وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُ و السجود من الناس وضع الجبهة على الأرض، و هو حقيقة شرعية، و أيضا الخشوع و هو حقيقة لغوية، و من غير الناس الانقياد لصنع اللّه تعالى و هو مجاز .. و من ذلك قول المتنبى:

و أظلم أهل الظلم من بات حاسدالمن بات فى نعمائه يتقلّب و هذا يحتمل ثلاثة معان: الأول: من بات فى نعماء المحسود.

الثانى: من بات فى نعماء الحاسد. و الثالث: من بات فى نعماء غير الحاسد و المحسود، فيكون ذلك مدحا للذى يبيت فى نعمائه و بيانه أن كل أحد يتمكن من تحصيل تلك النعمة بمدح هذا المنعم فيكون حينئذ ممن أنعم عليه.

و أما الوجيز بالحذف: فالكلام عليه من وجوه: الأول المعنى الذى حسن الحذف من أجله. الثانى فى فائدته. الثالث فى شرطه. الرابع فى أقسامه. الخامس فى توابعه. السادس فيما يقبح منه .. أما الأوّل فإن المعنى الذى حسن الحذف من أجله طلب الايجاز و الاختصار و تحصيل المعنى الكثير فى اللفظ القليل.

و أما الثانى: ففائدته زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، و كلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد و أكثر، و كان ذلك أحسن .. و أما الثالث: فشرطه أن يكون فى اللفظ دلالة على المحذوف، و إلا لم يتمكن من معرفته فيكون اللفظ مخلا بالفهم، و تلك الدلالة قد تحصل من إعراب اللفظ، و ذلك كما اذا كان منصوبا فيعلم أنه لا بد له من ناصب و إذا لم يكن ظاهرا لم يكن بد من أن يكون مقدّرا، و ذلك كقولنا- أهلا و سهلا و مرحبا- و معناه وجدت أهلا و سلكت

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۶

سهلا- و صادفت رحبا. و منه فى القرآن كثير كقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ على قراءة من قرأ بالنصب. و قوله تعالى: وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ و التقدير أحمد الحمد أو أقرأ الحمد و احفظوا الأرحام. و قوله تعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً و قوله تعالى: مِلَّةَ إِبْراهِيمَ و فى القرآن منه كثير و فى الكلام الفصيح منه كثير و كثرته تغنى عن ذكره. غير أن سيبويه ذكر منه أشياء جعلها حجة فى الباب. من ذلك قول العرب- اللهم ضبعا و ذئبا- أى اجعل فيها ضبعا و ذئبا. و قول بعضهم حين قيل له لم أفسدتم مكانكم؟ فقال- الصبيان بأبى- أى لم الصبيان. و منه ما قدمناه أولا و هو أهلا و سهلا و مرحبا.

و قد تحصل تلك الدلالة بالنظر فى المعنى و العلم بأنه إنما يتم بمحذوف مقدّر، و هذا يكون أحسن من الأول لزيادة غموضه كما فى قولهم فلان يحلّ و يربط و معناه: أنه يحل الأمور و يربطها أى ذو تصرف.

و قد عقد بعض علماء هذه الصناعة عقدا فقال: اللفظ المحذوف إما أن يكون مفردا أو مركبا فإن كان مفردا فسيأتى بيانه، و إن كان مركبا فإما أن يكون كلاما مفيدا أو لا يكون كذلك، فهذه ثلاثة أقسام: الأول أن يكون كلاما مفيدا، و هذا أحسن و الكلام المفيد المحذوف قد يكون قليلا و هو على وجهين: أحدهما أن يكون المحذوف استفهاما و يسمى ما يدلّ عليه استئنافا، و هذا إما أن يكون بإعادة اسم أو صفة أو لا يكون، كذلك إما الذى بإعادة اسم فكما إذا أعقب اسم من تقدم الحديث عنه كقولنا أحسنت إلى زيد زيد أحقّ باحسانك. و قولنا- زيد أحق بإحسانك- جواب عن سؤال كأنه قيل و ما وجه الإحسان إلى زيد فقيل زيد أحق باحسانك، فيكون هذا السؤال محذوفا .. و أما الذى بإعادة صفة فكقولنا أحسنت إلى زيد صديقك القديم هو أحق بذلك. تقديره و ما وجه الإحسان إلى زيد فنقول- لأنه صديقك القديم- و هذا أحسن من

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۷

إعادة الإسم لاشتماله على سبب الإحسان .. و أما الذى ليس كذلك فكقوله تعالى: الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ إلى قوله: وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فقوله- أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون- استشرف و هو جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل و ما يحصل لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات فقيل أنهم على هدى من ربهم و انهم مفلحون و كذلك قوله تعالى: إِنِّى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فقوله- قيل ادخل الجنة- جواب عن سؤال كأنه قيل و ما فعل بهذا فقيل قيل له ادخل الجنة، و إنما لم يقل قيل له لأن ذلك معلوم. و كذلك قوله تعالى: قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ فإن قرئ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لم يكن فيه استئناف و إن قرئ سوف تعلمون كان ذلك كأنه قيل و ما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا و عملت أنت على مكانتك فقيل: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ.

و ثانيها: أن لا يكون المحذوف استفهاما و ذلك كما إذا كان مسببا، و قد دلّ عليه سببه كقوله تعالى: وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ، وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ كأنه قال و ما كنت من الشاهدين لما جرى لموسى عليه، و لكنا أوحينا اليك و سبب هذا الوحى أنّا أنشأنا قرونا إلى زمانك فتطاول عليهم العمر أى مدة الفترة فنسى ما كان جرى فأوحينا اليك فيكون المحذوف هو السبب و المذكور الدال عليه هو سببه.

و كذلك قوله تعالى: وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا ..

و أما الرابع فى أقسامه: أما أقسامه فقد تظافرت و أقوال أرباب علم البيان على أن المحذوفات على قسمين حسنة و قبيحة. أما القبيحة فهو أن يخلّ المحذوف بالمعنى أو يحطه عن رتبته، و سيأتى بيانه. و أما الحسنة فهى على قسمين: جمل. و مفردات. فأما الجمل فهى على

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۸

قسمين: موجزة. و مطولة .. فالموجزة مثل قوله تعالى: وَ اللَّائِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِى لَمْ

يَحِضْنَ تقديره و اللائى لم يحضن فعدتهن كذلك. و قد تقدم فى الفصل الذى قبل هذا من نظائره كثير و القرآن العظيم مشحون به .. و أما الجمل المطولة فكقوله تعالى: اذْهَبْ بِكِتابِى هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ الآية. فأعقبه بقوله حكاية عنها: قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتابٌ كَرِيمٌ تقديره فأخذ الكتاب فألقاه إليهم فرأته المرأة بلقيس و قرأته- و قالت يا أيها الملأ- و من ذلك قوله تعالى: يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا فيه محذوف مطوّل تقديره، فلما ولد يحيى و نشأ و ترعرع قلنا له- يا يحيى خذ الكتاب بقوة- .. و من ذلك قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى قالَ يا هارُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِى تقديره فلما جاءهم موسى و وجدهم على تلك الحالة- قال يا هارون-. و من ذلك قوله تعالى: فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى إلى قوله: قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها. و من ذلك قوله تعالى: أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فيه محذوف تقديره أ فمن شرح اللّه صدره للإسلام كمن أقسى قلبه و تركه على ظلمة من كفر، و دل على المحذوف قوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ و ذلك فى القرآن العظيم كثير جدا.

و أما المفردات فهى ثلاث أقسام: أسماء. و أفعال. و حروف أما الاسماء فهى أنواع. الأول حذف الفاعل، و قد اختلف فى حذفه، فنص على منع حذفه ابن جنى و كثير من النحويين، و الحق جوازه اذا وجد ما يدلّ عليه كقوله تعالى: كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِىَ تقديره اذا بلغت الروح التراقى. و منه قوله تعالى: حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ تقديره حتى توارت الشمس و من ذلك قوله تعالى: فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۰۹

تقديره فلما جاء الرسول سليمان.

الثانى: حذف المفعول و هو على ثلاثة أقسام: الأول: حذفه من كل فعل ليس له مفعول معيّن، بل يكون المقصود من الكلام بيان حال الفاعل فقط. و منه قوله تعالى: هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ أى هل يستوى ذو العلم و من لا علم له. و فى مثل هذا يتعين أن لا يعدّى الفعل لفظا و لا تقديرا، و يكون حاله كحال غير المتعدى، فإن عدّيته تخصه بما تعدّيه اليه فينقص الغرض.

و من ذلك المحذوف من الافعال التى لها مفعول معيّن و حذفه لأمور. الأول: أن يكون المراد بيان حال الفاعل، و أن ذلك دأبه لا بيان حال المفعول. مثاله قوله تعالى: وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ إلى قوله: فَسَقى لَهُما فحذف المفعول به من أربعة مواضع إذ لو أضافه الى الغنم مثلا لتوهم أن الانكار إنما جاء من ذود الغنم لا من مطلق الذود، كما تقول ما لك تمنع أخاك، و كلّ مخلّ بالمقصود و مثله قول الشاعر:

هم خلطونا بالنفوس و ألجئواالى حجرات أدفأت و أظلّت أراد ألجئونا و أظلتنا و أدفأتنا فحذف فكأنه قد أبهم أمره، و لم يقصد شيئا يقع عليه فلو قال أدفأتنا، لكان الأمر مختصا بهم و بطل الغرض.

الثانى أن يكون المقصود ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاما بأنك لا تقصد ذكره كقول البحترى:

شجو حسّاده و غيظ عداهأن يرى مبصر و يسمع واع المعنى أن يرى مبصر محاسنه و يسمع واع أخباره .. الثالث: ان يحذف لكونه مبينا كقولك- أصغيت إليك- أى أذنى. و- أغضيت عنك- أى جفنى .. و قال ابن الاثير حذف المفاعيل على قسمين.

الأول: حذف مفاعيل غلب حذفها على اثباتها كمفعول المشيئة و الإرادة فى باب الشرط، و باب لو أو كمفعول الأقسام. فأما حذف مفعول

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱۰

المشيئة و الارادة فى باب لو و باب الشرط ففى القرآن العظيم منه كثير.

منها قوله تعالى: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا تقديره لو شاء اللّه أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا بحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه، و منه قوله تعالى: وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ تقديره و لو شاء اللّه هدايتكم كلكم لهداكم أجمعين. و منه قوله تعالى: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ و مثله فى القرآن كثير. و قد «۱» و منه قوله تعالى: لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا. و منه قوله تعالى: لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً .. و قد

ظهر مفعول المشيئة فى قول الشاعر:

و لو شئت أن أبكى دما لبكيته‌عليك و لكن ساحة الصبر أوسع - و أما حذف مفعول الافساد فمنه قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. و قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ. و قوله تعالى: يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ. و قوله تعالى: وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها و هو كثير .. الثانى ما يحذف لدلالة السياق عليه. فمنه قوله تعالى: يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ تقديره و لكن أكثر الناس لا يعلمون أن اللّه القابض الباسط. و قوله تعالى: وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ تقديره و ما يشعرون أنهم لأنفسهم يخادعون و نحوه.

و نذكر: هاهنا قاعدة ينبنى عليها حكم الفاعل و المفعول، و هو أن العرب ينظرون إلى مقصود الإفادة فى هذا الباب و نحوه، فإن كان المقصود نسبة الفعل الى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا- فلان يعطى و يمنع و يصل و يقطع. و اللّه يحيى و يميت- لأنه ليس الغرض ذكر المعطى

---

(۱) كذا فى الأصل .. و الظاهر أنه أراد و أما حذف مفعول الارادة فى باب الشرط و باب لو ففى القرآن منه كثير و منه الخ.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱۱

و الممنوع و الموصول و المقطوع و المحيا و الممات، و لكن الغرض وصف الفاعل بهذه الأفعال.

فإن كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرّضوا للفاعل كقوله تعالى: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ. و قوله تعالى: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. و قوله تعالى: كُتِبُوا كَما كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ليس الغرض من هذا ذكر الكابت و لا القاتل و لا اللاعن و لا المبسل و انما الغرض من نسبة القتل و اللعن، و الكبت و الابسال الى المذكورين. و ان تعلق الغرض بالفاعل و المفعول أتوا بهما كقوله تعالى: خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ. و قوله: وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ. و قوله: بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ.

و قوله: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ .. و من ذلك حذف ضمائر الموصولات. و منه قوله تعالى: أَ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا تقديره أ هذا الذى بعثه اللّه رسولا. و قوله تعالى: إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ تقديره إنكم و ما تعبدون او تعبدونهم، و قوله تعالى: وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ تقديره و ما ذرأه. و قوله تعالى: وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ تقديره خلقه اللّه. و منه فى القرآن العظيم كثير ..

الثالث: حذف المضاف تارة و المضاف إليه أخرى و إقامة أحدهما مقام الآخر .. أما حذف المضاف فكقوله تعالى: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها و كذلك إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ أى فتحت سددهم. و ربما نكرت المحذوف كما فى قوله: فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ يريد من أثر حافر فرس الرسول .. و منه قول الشاعر:

إذا قامتا تضوّع المسك منهمانسيم الصّبا جاءت بريّا القرنفل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱۲

و أما حذف المضاف إليه فهو أقلّ استعمالا. و منه قوله تعالى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ أى من قبل ذلك و من بعده .. الرابع: حذف الصفة تارة و حذف الموصوف أخرى. أما حذف الصفة فكقول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد». أى لا صلاة تامة أو كاملة. و أما حذف الموصوف فأكثره فى النداء و المصدر .. أما النداء ففى قوله تعالى: يا أَيُّهَا السَّاحِرُ تقديره يا أيها الرجل الساحر. و كذلك: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تقديره يا أيها القوم الذين آمنوا. و قوله تعالى: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تقديره يا أيها القوم المؤمنون .. و أما المصدر فكقوله تعالى: وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً و قد يجىء فى غير النداء كما فى قول البحترى:

فى أخضر ماس على أصفريخال فى صبغته ورس يريد على فرس أصفر .. الخامس: حذف الشرط تارة، و حذف الجزاء أخرى، و إقامة أحدهما مقام الآخر .. أما حذف الشرط فكقوله تعالى: يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ أى فإذا كنتم فى أرض لا تتمكنوا

فيها من عبادتى فإياى فاعبدون فى غيرها. و قوله تعالى: فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ أى فإن لم يحلق فعليه فدية .. و أما حذف جزاء الشرط فكقوله تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ معناه ان كان القرآن من عند اللّه و كفرتم به أ لستم ظالمين. و يدل على هذا المحذوف قوله تعالى:

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها تقديره و إن منكم و اللّه إلا واردها. و لهذا أشار صلّى اللّه عليه و سلّم بقوله لن يرد النار الّا تحلّة القسم. و منه قوله تعالى: لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ. و قوله تعالى: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ و هو فى القرآن العظيم كثير .. أما حذف جواب القسم فكقوله تعالى: وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ وَ اللَّيْلِ إِذا يَسْرِ هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱۳

معناه و حق هذه لأعبدن هؤلاء. يدلّ على المحذوف قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ. و قوله تعالى: ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ، فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ معنى- ق و القرآن المجيد- لتبعثنّ و يدل على ذلك قوله: أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً ذلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ .. السابع: حذف جواب- لو- و هو فى القرآن كثير ..

من ذلك قوله تعالى: وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ تقديره لرأيت أمرا هائلا و نحو ذلك. و كذلك قوله تعالى: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ تقديره لمنعتكم و نحو ذلك.

و كذلك قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ تقديره لكان هذا القرآن .. الثامن: حذف جواب- لو لا- كقوله تعالى: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ تقديره لما أنزل عليكم ستر هذه الفاحشة. و كذلك قوله تعالى: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ تقديره لعجل لكم العذاب. و يدل على المحذوف فى هاتين الآيتين ما تقدمهما .. التاسع: حذف جواب- لمّا- و هو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: فَلَمَّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا تقديره كان ما كان من اغتباطهما بما أنعم اللّه عليهما من دفع ذلك البلاء ..

العاشر: حذف جواب- أمّا- كقوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ تقديره فيقال لهم- أكفرتم بعد ايمانكم- .. الحادى عشر: حذف جواب- إذا- كقوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ ما خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ تقديره- و اذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم و ما خلفكم لعلكم ترحمون- أعرضوا- و ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلّا كانوا أيضا عنها معرضين-.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱۴

قال المصنف عفا اللّه عنه: هذه الأجوبة المحذوفة بعضها يصلح أن يكون فى باب حذف الجمل، و بعضها يصلح أن يكون فى باب الأفعال، لكن الأئمة أوردوها هكذا فأوردناها كما أوردوها، و المتأمل اللوذعى لا يخفى عليه ذلك .. الثانى عشر: حذف المبتدأ تارة و الخبر أخرى .. أما حذف المبتدأ فكقول المستهل- الهلال و اللّه- معناه هذا الهلال- عبد اللّه و رب الكعبة- أى هذا عبد اللّه. و حذف المبتدأ فى القرآن العظيم كثير. منه قوله تعالى: فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ تقديره فقالوا- هذا ساحر كذاب- و منه: إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ .. و أما حذف الخبر فكقول بعضهم: خرجت فاذا السبع- تقديره قائم أو رابض. و هو فى القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى: وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ. وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ تقديره و المحصنات من المؤمنات كذلك و قول اللّه تعالى: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ شاهد للوجهين يجوز أن يكون من باب حذف الخبر، و من باب حذف المبتدأ فإن جعلته من حذف المبتدأ كان التقدير فالأمر، أو فأمرى صبر جميل، و إن جعلته من باب حذف الخبر، يكون التقدير فصبر جميل أجمل .. و قد يحذفان جملة و هو قليل. و منه قوله تعالى: وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ تقديره و اللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر.

و أما الافعال: فحذفها على قسمين. الأول: ما دل على حذفه بيان مفعوله، كما فى قوله تعالى: ناقَةَ اللَّهِ وَ سُقْياها و كقول النبى صلّى اللّه

علیه و سلّم لجابر و قد تزوّج- «هلّا بکرا تلاعبها و تلاعبک» أی هلا- تزوجت جاریة بکرا. و کذلک قولهم- أهلک و اللیل- أی أدرک أهلک و بادر اللیل. و منه فی القرآن کثیر. الثانی: ما لا یدل علیه مفعوله، و لکن یعرف بالنظر کقوله تعالی: وَ عُرِضُوا عَلی رَبِّکَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا.

الفوائد المشوق إلی علوم القرآن و علم البیان، ص: ۱۱۵

و قوله تعالی: وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادی کَما خَلَقْناکُمْ معناه فقیل فقد جئتمونا. و کذلک: وَ یَوْمَ یُعْرَضُ الَّذِینَ کَفَرُوا عَلَی النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَیِّباتِکُمْ و کذلک: فَأَجْمِعُوا أَمْرَکُمْ وَ شُرَکاءَکُمْ و المراد فأجمعوا أمرکم و ادعوا شرکاءکم. و کذلک قوله تعالی: فَإِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ أی فاضربوا رقابهم ضربا. و کذلک قوله تعالی:

وَ قالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی فَلَمَّا کَلَّمَهُ قالَ إِنَّکَ الْیَوْمَ تقدیره فأتوه به- فلما کلمه- و أما: حذف فعل الأمر: فله مثال واحد کقوله تعالی: إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ. و قوله تعالی: أَ فَغَیْرَ اللَّهِ أَبْتَغِی حَکَماً تقدیره قل- أ فغیر اللّه أبتغی حکما- و أما الحروف: أعنی حذف الحروف التی لها معان، و لیست حروف الهجاء التی تکلم النحویون علی اثباتها و حذفها و ابدالها لأنهم أرادوا بذلک تصحیح الألفاظ و ردّها إلی أصولها، و لیس هذا من غرضنا فی هذا الکتاب، إنما غرضنا الحروف التی یفید حذفها و اثباتها معنی لم یکن .. و هی عند علماء البیان علی قسمین. مفردة و مرکبة.

فالمفردة: مثل- الواو- التی حذفها مع ما فیه من الایجاز یجعل للکلام بلاغة، و یکون فی معناه أشد، و ذلک لأن إثباتها یقتضی تغایر المعطوف و المعطوف علیه، فإذا حذفت أشعر ذلک بأن الکل کالشیء الواحد. و من ذلک قول أنس بن مالک رضی اللّه عنه- کان أصحاب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ینامون ثم یصلون لا یتوضئون- اثبات الواو أدل علی عدم الوضوء من قوله- لا یتوضئون-. و من هذا النوع قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا- تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِکُمْ لا یَأْلُونَکُمْ خَبالًا وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ تقدیره و لا یألونکم خبالا و قد بدت البغضاء .. و قد ثبت الواو فیما من شأنه أن لا یکون فیه واو

الفوائد المشوق إلی علوم القرآن و علم البیان، ص: ۱۱۶

فیکون ذلک أیضا أبلغ و أحسن کما فی قوله تعالی: وَ ما أَهْلَکْنا مِنْ قَرْیَةٍ إِلَّا وَ لَها کِتابٌ مَعْلُومٌ.

و أما المرکب: فکثیر و هو علی أقسام. الاول حذف- لا- فی قوله تعالی: تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْکُرُ یُوسُفَ تقدیره لا تفتأ تذکر یوسف أی لا تبرح. و منه قوله تعالی: وَ عَلَی الَّذِینَ یُطِیقُونَهُ فِدْیَةٌ طَعامُ مِسْکِینٍ تقدیره و علی الذین لا یطیقونه علی قول بعض المفسرین. و مثله فی القرآن العظیم کثیر. و منه قول امرئ القیس:

فقلت یمین اللّه أبرح قاعداو لو قطعوا رأسی لدیک و أوصالی معناه لا أبرح قاعدا. الثانی: حذف- لو- و هو فی قوله تعالی:

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما کانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ کُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ، وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ تقدیره لو کان معه آلهة لذهب کل إله بما خلق. و قوله تعالی: وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا- تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ معناه لو فعلت ذلک لارتاب المبطلون.

و من هذا النوع قول الشاعر:

لو کنت من مازن لم تستبح إبلیبنو اللّقیطة من ذهل بن شیبانا

إذا لقام بنصری معشر خشنعند الحفیظة إن ذو لوثة لانا تقدیره اذا لو کنت منهم لقام بنصری.

الحذف القبیح: و سبب قبحه إخلاله بالمعنی. قال ابن الاثیر:

و من الحذف أیضا المخل بالمعنی و هو یطلق علی ما یحذف من أصل اللفظ و هو اسقاط بعض حروفه، و لا یجوز استعماله فی القرآن العظیم، و لا- فی التألیف، لکنه یجوز فی الشعر، لأن العرب قد أوردته فی أشعارها و استعملته فی کلامها، فحذفت بعض الالفاظ استخفافا حذفا لا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱۷

يخل بالباقى و تعرّض بالشبهة. فمنها قول علقمة:

كأنّ ابريقهم ظبى على شرف مفدّما بسبا الكتّان ملثوم فقوله- بسبا الكتان- يريد بسبائب الكتان. و كذلك قول لبيد:

درس المنا بمتالع فأبان أراد المنازل. و على نحو من هذا جاء قول أبى دؤاد:

يذرين جندل جابر بجنوبهافكأنما تذكى سنابكها الحبا أراد الحباحب- و الحباحب- طائر على مثال الجندب الصغير يرى منه نور ضعيف ليلا. و هذا و أمثاله قليل جدا و إياك أيها المؤلف أن تستعمله فى كلامك و إن كان جائزا و قد ورد فى أشعار العرب مثله.

قال المصنف عفا اللّه عنه: هذا الذى ذكره ابن الاثير فيه نظر لأنه قد صح عن ابن عباس و جماعة من أكابر الصحابة و السلف الصالح أن هذه الحروف التى فى أوائل السور كل حرف منها دال على كلمة حذف أكثرها، و دل هذا المنطوق به على المحذوف.

و قالوا: إن معنى «الم» أنا اللّه الملك. و قالوا فى «كهيعص» أن الكاف من كاف و الهاء من هاد. و استدلوا على ذلك بأن العرب استغنت بذكر حرف من الكلمة عن ذكرها فى كثير من كلامها و أشعارها ففهمت المراد من ذلك الحرف. و منه قول الشاعر:

جارية قد وعدتنى أن تاتدهن رأسى أو تفلى أو تا أراد أن تأتى و تدهن رأسه و تفلى أو تمسح. و قال آخر:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱۸ نادوهم أن تلجموا الّا تاقالوا جميعا كلهم الّا فا - و قال آخر:

قلت لها ألا قفى قالت قافلا تحسبن أنا نسينا الإلحاف أى قف أنت. و مثل هذا فى أشعار العرب و كلامهم كثير و إذا كثر استعماله كان من الكلام الفصيح معدودا و حسن فى التركيب، و كلما بعد غور الكلمة و استعجم معناها كان فهمه بأول وهلة دليلا على صحة الأفهام و جودة الغرائز، و سلامة الطباع و حسن موقع اللفظ به.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۱۹

فصل [من أنواع المحذوف]

و من أنواع المحذوف: أن يكون اللفظ مركبا، و لكن ليس بكلام، و ذلك كقوله تعالى: قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ تقديره و جعلناه لنجعله آية للناس، فيكون المحذوف هاهنا هو السبب و الدال عليه هو سببه .. و قد يكون بعكس هذا كما فى قوله تعالى: فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ تقديره و اذا أردت قراءة القرآن، فالمحذوف هنا الارادة و هى سبب القراءة، و يجوز أن يكون التقدير، و إذا قرأت القرآن و حضرك الشيطان، فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۰

القسم الثالث و العشرون فى التقديم و التأخير. و الكلام عليه من وجوه ثلاثة:

الاول: فى ذكر المعنى الذى أتى به من أجله. الثانى: فى هل هو من المجاز أم لا. الثالث: فى أقسامه.

أما الاول: فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم فى الفصاحة و ملكتهم للكلام و تلعبهم به و تصرفهم فيه على حكم ما يختارونه و انقياده لهم لقوة ملكتهم فيه، و فى معانيه ثقة بصفاء اذهانهم و غرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزا بليغا، و له فى النفوس حسن موقع و عذوبة مذاق.

و أما الثانى: فقد اختلف أرباب علم البيان فيه .. فقال قوم: هو من المجاز لأن فيه تقديم ما رتبته التأخير كالمنقول و تأخير ما رتبته التقديم كالفاعل و المفعول به فى نقل كل واحد منهما على رتبته و حقه .. و قال قوم: ليس هو من المجاز لأن المجاز نقل مما وضع له إلى ما لم يوضع له.

و أما الثالث: فقال علماء هذا الشأن اقسامه أربعة .. و قالوا التقديم و التأخير لا يخلو إما أن يكون موجبا لزيادة فى المعنى أو لا يكون

كذلك، و إما أن يكون ما قدم الأولى به التقديم، أو الأولى به التأخير، أو يتكافأ الأمران فيه .. أما الاول فهو ما يلزم فيه زيادة معنى فلا يخلو إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادة المعنى خاصة كقوله تعالى: إِيَّاكَ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۱

نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فإنّ المقصود بتقديم- إياك- تعظيم اللّه سبحانه و تعالى و الاهتمام بذكره مع إفادة اختصاص العبادة و الاستعانة باللّه تعالى ليصير الكلام حسنا متناسقا، و لو قال نعبدك و نستعينك لم يكن الكلام متناسبا. و كذلك قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ فإن هذا مع افادته إن نظرها لا يكون إلا إلى اللّه تعالى يفيد فى جودة انتظام الكلام. و كذلك قوله تعالى: وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ. و أما ما يراد بتقديمه زيادة المعنى فقط. فمنه تقديم المفعول فى قوله تعالى: قُلْ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ و كذلك: بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ فإن المراد هاهنا بتقديم المفعول لتخصيصه بالعبادة، و لو أخره ما أفاد ذلك، فإنه لو قيل:

ضربت زيدا لم يشعر ذلك باختصاص زيد بالضرب، و لا كذلك لو قيل زيدا ضربت.

و منه تقديم الخبر على المبتدأ كما فى قوله تعالى: وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ و لو قال: و ظنوا أن حصونهم من اللّه مانعتهم لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها اياهم. و كذلك: أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ و لو قال: أ أنت راغب عنها ما أفاد زيادة الإنكار على إبراهيم بالرغبة عنها. و كذلك: وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا و لم يقل فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة و كان يستغنى عن الضمير لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخوص، و لا اختصاص الذين كفروا بالضمير.

و كذلك قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى البحر «هو الطّهور ماؤه الحلّ ميتته». و كذا تقديم الظرف فى الهيئات كقوله تعالى: إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ .. و تقديم الجار و المجرور كقوله تعالى:

لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ فإن هذا يفيد اختصاص ذلك باللّه تعالى ..

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۲

و أما اذا كان الظرف فى النفى فإن تقديمه يفيد تفضيل المنفى عنه كما فى قوله تعالى: لا فِيها غَوْلٌ وَ لا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ أى ليس فى خمر الجنة ما فى خمر غيرها من الغول. و أما تأخيره فإنما يفيد النفى فقط كما فى قوله تعالى: الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ و كذلك إذا قلت لا عيب فى الدار كان معناه نفى العيب عن الدار، و إذا قلت لا فى الدار عيب كان معناه انها تفضل على غيرها بعدم العيب .. و أما الثانى فهو ما لا يلزم تقديمه زيادة فى المعنى، و مع ذلك يكون تقديمه أحسن، و هذا إنما يكون كذلك لأمر يتعلق بالمتقدم و المتأخر، أو لأمر خارج عنهما.

و الذى لأمر يتعلق بهما إما أن يكون ذلك بالنسبة إلى شىء خارج عنهما، أو لا يكون كذلك، فالأول كما إذا كان التقدم أدل على قدرة الخالق من التأخر كقوله تعالى: فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ.

و الثانى: إما أن يكون للمتقدم تأثير فى وجود المتأخر أو لا يكون كذلك «۱». و الثانى كما إذا كان المتقدم أكثر وجوبا كما فى قوله تعالى:

فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ و الاول: إما أن يكون المتقدم فى الوجود المتأخر بالذات، أو بالعرض.

أما الذى بالذات فكما فى قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِيَّ كَثِيراً فإنه قدم الإنعام لأن صلاح حالها سبب لصلاح حال الناس. و أما الذى بالعرض فكما فى قوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فإنه قدم العبادة لأنها وسيلة إلى تحصيل الاستعانة. و أما الذى يكون كذلك لأمر خارج عن المتقدم و المتأخر، فأما أن يكون ذلك لأجل كلام تقدم، أو لا يكون

(۱) بياض فى الأصل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۳

كذلك. و الذى لأجل الكلام المتقدم، إما أن يكون لتعلق المذكور، أوّلا به أو لتعلقه هو بالمذكور أوّلا، و الأول كما فى قوله تعالى: وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ فإنه قدم- الارض- لأن هذا بعد قوله تعالى: وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ و هذا الخطاب لأهل الأرض و عملهم يكون فى الأرض. و الثانى إما أن يكون ذلك لما يتعلق بمعنى الكلام الأول، أو بلفظه. و المتعلق بمعناه كما فى قوله تعالى:

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ فإنه قدّم الشقى لأن المراد بهذا و ما قبله التخويف. و المتعلق بلفظه كما فى قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ. ثم قال: وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ فإن تقديم حال الاشقياء هاهنا لاجل تقديمه أوّلا الشقى. و الذى يكون كذلك لا لأجل المتقدم إما أن يكون لأجل حال فى الكلام نفسه أو لا يكون كذلك.

و الثانى كما فى قوله تعالى: يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ فإن تقديم الإناث هنا إنما كان لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئته سبحانه و تعالى لا على وفق العباد. و الأول كما إذا كان يتم بذلك السجع، و ذلك كما فى هذه الآية، و كما فى قوله تعالى:

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ و لو قال: ثم صلوه الجحيم لأفاد المعنى، و لكن كان يفوت السجع، فلذلك كان الأحسن تقديم الجحيم. و قيل ان هذه الصورة تفيد أيضا الاختصاص كما فى القسم الأوّل .. قال الامام فخر الدين و هو الذى يظهر لى و ان منعه الآخرون، فهذه أسباب عشرة، و قد يجتمع فى شىء واحد عدة منها فيكون تقديمه أولى، و إذا تعارضت أسباب روعى أقواها، و إن تساوت كان المتكلم بالخيار فى تقديم أى الامرين معا.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۴

و أما الثالث فهو الذى لا يلزم تقديمه زيادة فى المعنى و يكون الأحسن تأخيره فإذا قدّم كان ذلك مفاضلة معنوية، و ذلك كتقديم الصفة على الموصوف، و العلة على المعلول، و نحو ذلك. و هذا لا يمكن وروده فى القرآن لركته و سماجته مثاله قول الفرزدق:

و ما مثله فى الناس إلا مملّكاأبو أمه حىّ أبوه يقاربه معناه: و ما مثله فى الناس حىّ يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه.

و قال أيضا:

الى ملك ما أمه من محاربأبوه و لا كانت كليب تصاهره معناه إلى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أم أبيه منهم. و قال أيضا:

و ليست خراسان الذى كان خالدبها أسد إذ كان سيفا أميرها معناه ليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفا إذ كان أسد أميرها. و الغرض مدح خالد و ذم أسد المتولى بعده.

و أما الرابع: فهو ما يتكافأ تقديمه و تأخيره، و هذا كالحال فإنه يقدّم كقولك- جاء راكبا زيد- و يؤخر كقولك- جاء زيد راكبا- و هما سواء.

و كذلك المستثنى كقولنا- ما قام إلا زيدا أحد. و ما قام أحد إلا زيدا-، و قد وقع فى الكتاب العزيز آيات فيها تقديم و تأخير جارية على نمط ما تقدّم. من ذلك قوله تعالى: حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها. و قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ على قول من قال إن الذكر هاهنا القرآن .. و قال بعض العلماء فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ أن فى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۵

الكلام تقديما و تأخيرا تقديره، و لقد همت به و لو لا أن رأى برهان ربّه همّ بها و هذا حسن لكن فى تأويله قلق و لا يضطر الى هذا التأويل إلا على قول من قال ان الانبياء معصومون من الكبائر و الصغائر.

و أما على قول من قال: ان الصغائر يجوز وقوعها منهم. فلا يضطر الى هذا التقديم و التأخير .. و منه أيضا قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ. و قوله تعالى: فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى و التقدير فجعله أحوى غثاء. و منه قول الشاعر:

طاف الخيال و أين منك لمامافارجع لزورك بالسّلام سلاما تقديره طاف الخيال لماما و أين منك .. و قال الفرزدق:

نفلّق ها من لم تنله سيوفنابأسيافنا هام الملوك القماقم تقديره نفلق بأسيافنا هام الملوك القماقم، و من لم تنله سيوفنا- و ها- للتنبيه تقديره تنبهوا لهذا المعنى. و انما دعاه إلى التقديم و التأخير إيقاع اللّبس على السّامع و جعله من باب الألغاز.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۶

القسم الرابع و العشرون فى الجمع بين الحقيقة و المجاز فى لفظة واحدة

و الجمع بينهما عند من رآه مجازا لأنه استعمال اللفظ فى غير ما وضع له، فإنه وضع للحقيقة وحدها، ثم استعمل فيها و فى المجاز. و له أمثلة.

أحدها فى قوله تعالى: أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ- و لعنة اللّه- ابعاد- و لعنة الملائكة و الناس- دعاؤهم بالابعاد، و قد جمعهما فى لفظة واحدة، و من لا يرى ذلك يقدر أولئك عليهم لعنة اللّه، و لعنة الملائكة فيكون من مجاز الحذف. و الثانى منه قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِ- الصلاة- حقيقة فى الدعاء مجاز فى اجابة الدعاء، لأن الاجابة مسببة عن الدعاء فصلاة الملائكة حقيقة لأنها دعاء، و صلاة اللّه من مجاز التعبير بلفظ السبب الذى هو الدعاء عن المسبب الذى هو الإجابة، و قد جمع بينهما فى قوله- إن اللّه و ملائكته يصلون على النبى- فيكون الضمير فى- يصلون- للّه و الملائكة و جمعه معهم فى الضمير مستكره فإن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنكر على بعض خطباء العرب قوله- و من يعصهما فقد غوى- و قال بئس خطيب القوم أنت. و قد جمع بينهما عليه الصلاة و السلام فى قوله- أن يكون اللّه و رسوله أحب إليه مما سواهما- و فى قوله عليه الصلاة و السلام- فإن اللّه و رسوله يصدّقانكم و يعذرانكم- و إنما أنكر على

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۷

الأعرابى الجمع لاعتقاده التسوية بينهما و الرسول عليه الصلاة و السلام آمن من ذلك.

و من لا يرى الجمع بين الحقيقة و المجاز يقدر ان اللّه يصلى على النبى و ملائكته يصلون على النبى فيكون يصلون على النبى حقيقة فى حق الملائكة، و يكون يصلى المقدرة مجازا فى حق اللّه.

و كذلك القول فى قوله تعالى هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ فى الجمع بين الحقيقة و المجاز و افرادهما. و مثل هذا قوله تعالى: وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ لو قال أحق أن يرضوهما لكان جامعا بين اللّه و رسوله فى الضمير، و بين الحقيقة و المجاز، فإن رضى الرسول عليه الصلاة و السلام حقيقى و رضى اللّه تعالى مجازى. و من لا يرى ذلك يقول: و اللّه أحق أن يرضوه و رسوله أحق أن يرضوه كقول الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بماعندك راض و الرّأى مختلف و هذه الأربعة و عشرون قسما التى ذكرناها من أقسام المجاز تحت كل قسم منها أقسام كثيرة يعرف ذلك من تأملها و نظر فيها. و حيث انتهى الكلام فى الفصاحة و البلاغة و الحقيقة و المجاز فلنأخذ فى ذكر ما تضمنه الكتاب العزيز من فنون البلاغة و عيون الفصاحة و ضروب علم البيان و بدائع البديع و أجناس التجنيس .. و لنبدأ من ذلك فيما يتعلق بالمعانى، ثم نتلوه بما يتعلق بالألفاظ و الاعتماد فى ذلك معونة اللّه تعالى و توفيقه و تيسيره و هدايته إلى الصواب و الارشاد إلى ما يؤدى إلى جزيل الثواب و حسن المآب .. أما ما يختص بالمعانى فينقسم الى أقسام:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۸

[الكلام على ما يختص بالمعانى و ينقسم الى عدة اقسام]

القسم الأول التناسب. و يسمى التشابه أيضا

و هو ترتيب المعانى المتآخية التى تتلاءم و لا تتنافر. و القرآن العظيم كله متناسب لا تنافر فيه و لا تباين .. و منه قول النابغة:

الرّفق يمن و الأناة سعادةفاستأن فى رفق تنال نجاحا

و اليأس عما فات يعقب راحةو لربّ مطعمة تعود ذباحا و يسمى التشابه أيضا .. و قيل التشابه أن تكون الألفاظ غير متباينة، و لكن متقاربة فى الجزالة و المتانة و الدقة و السلاسة، و تكون المعانى مناسبة لألفاظها من غير أن يكسى اللفظ الشريف المعنى السخيف، أو على الضد، بل يصاغان معا صياغة تتناسب و تتلاءم حتى لا يكون الكلام كما قيل:

و بعض قريض القوم أولاد علةيكلّ لسان الناطق المتحفّظ قال المصنف عفا اللّه عنه: المناسبة عند أرباب هذا الشأن على قسمين: معنوية. و لفظية. فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى، ثم يتمم كلامه بما يناسبه فى المعنى دون اللفظ. و منه قوله تعالى: وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً أخبر سبحانه فى فاصلة الآية بأنه قوىّ عزيز ليدل على أن تلك الريح التى أصابت المشركين ليست اتفاقا، و ليست هى من أنواع

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۲۹

السحر، بل هى من ارساله على أعدائه كعادته و سنته فى أمثاله من نصره لعباده المؤمنين مرّة بالقتال كيوم بدر، و مرّة بالريح كيوم الاحزاب، و مرة بالرعب كبنى النضير، و أن النصر من عند اللّه لا من عند غيره، و لهذا لم ينصرهم حين خالفوا نبيهم يوم أحد و حين أعجبتهم كثرتهم يوم حنين، و بعد ذلك كانت العاقبة لهم. و قد صرّح سبحانه و تعالى فى قوله: وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و قوله تعالى: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ و لو اقتصر على الآية و لم يذكر فيها- و اللّه قوى عزيز- لخفى هذا المعنى و غمض و التبس الأمر فيه و أشكل .. و أما المناسبة اللفظية فهى أيضا على قسمين: تامة و غير تامة. فالتامة أن تكون الكلمات مع الإبراز مقفّاة و الأخرى ليست بمقفاة فالتقفية غير لازمة للمناسبة ..

فمن المناسبة التى ليست بمقفاة قوله تعالى: ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ و ما سوى هذه التامة كقوله سبحانه و تعالى: ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ .. و من التامة فى السنّة قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ما كان يرقى به الحسن و الحسين عليهما السلام أعيذكما بكلمات اللّه التامة من كل شيطان و هامّة، و من كل عين لامّة، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم- لامّة- و لم يقل ملمة. و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم- «مرحبا بالوفد غير خزايا و لا ندامى بحسن المناسبة».

و مثله قوله صلّى اللّه عليه و سلّم-» ارجعن مأزورات غير مأجورات» و المستعمل- موزورات- لأنه من الوزر غير مهموز فلفظ به صلّى اللّه عليه و سلّم لمكان المناسبة اللفظية التامة. و أما ما جاء من السنة الغير مقفاة فكقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إن أحبكم إلىّ و أقربكم منّى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا» فناسب صلّى اللّه عليه و سلّم بين- أخلاق و أكناف- مناسبة ابراز دون تفقية. و مما جمع بين المناسبتين

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۰

قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى بعض أدعيته: «اللهم إنى أسألك رحمة تهدى بها قلبى. و تجمع بها أمرى. و تلم بها شعثى. و تصلح بها غائبى. و ترفع بها شاهدى. و تزكى بها عملى. و تلهمنى بها رشدى.

و تردّ بها الفى. و تعصمنى بها من كل سوء، اللّهم إنى أسألك الفوز فى القضاء. و منزّل الشهداء. و عيش السعداء. و النّصر على الأعداء» فناسب صلّى اللّه عليه و سلّم بين- قلبى و أمرى- مناسبة غير تامة بالزنة دون التقفية، ثم ناسب بين- الشهداء و السعداء-

مناسبة تامة بالزنة و التقفية.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۱

القسم الثانى التكميل

و هو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من معانى المدح، أو غيره من فنون النظم و النثر، ثم يرى مدحه فيه اقتصاد و قصور عن الغرض و انه يحتاج إلى تكميل يزيده بيانا و ايضاحا، فيكمله بمعنى آخر. فمن ذلك قوله تعالى: فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ فانظر إلى هذه البلاغة فإنه سبحانه و تعالى علم و هو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين، و إن كانت صفة مدح إذ وصفهم بالرياضة لإخوانهم المؤمنين و الانقياد لأمرهم، كان المدح غير كامل فكمل مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين، فأتى بوصفهم بالامتناع منهم و الغلبة لهم. و كذلك قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ. و مثاله من النظم قول كثير عزة:

و لو أنّ عزّة خاصمت شمس الضحىفى الحسن عند موفق لقضى لها

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۲

القسم الثالث التتميم

و هو أن تردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس، و تقربه إلى الفهم، و تزيل عنه الوهم و تقرره فى النفس. فمن ذلك قوله تعالى: وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ و قوله تعالى: ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ و مثاله فى القرآن كثير. و مثله قول امرئ القيس:

كأنّ قلوب الطّير رطبا و يابسالدى و كرها العنّاب و الحشف البالى - و قال آخر:

كأنّ قلوب الطير حول خبائناو أرحلنا الجزع الذى لم يثقّب تمم المعنى بقوله- الحشف البالى. و الجزع الذى لم يثقب-

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۳

القسم الرابع التقسيم

و هو آلة الحصر و مظنة الإحاطة بالشىء. مثل قوله تعالى: وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلى رِجْلَيْنِ إلى قوله: ما يَشاءُ و منه قوله تعالى: لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِكَ وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا. و مثله فى القرآن كثير و خصوصا فى سورة براءة. و مثله فى كلام العرب قول زهير بن أبى سلمى:

و أعلم ما فى اليوم و الأمس قبلهو لكننى عن علم ما فى غد عمى و ذكر ابن الأثير فى جامعه أن أرباب علم البيان لم يريدوا بالتقسيم القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون، فإن القسمة العقلية تقتضى أشياء مستحيلة كما قالوا: الجواهر لا يخلو إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة، أو لا مجتمعة و لا مفترقة، أو مجتمعة و مفترقة معا، أو بعضها مجتمع و بعضها مفترق أ لا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الأقسام جميعها، و إن كان من جملتها ما يستحيل وجوده، فإن الشىء لا يكون مجتمعا مفترقا فى حالة واحدة.

و إنما أرادوا بالتقسيم ما يقتضيه المعنى، مما يمكن وجوده و هو أن

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۴

يأتى المؤلف الى جميع أقسام الكلم المحتملة فيستوفيها غير تارك منها قسما واحدا. فمن ذلك قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ فإنه لا يخلو العالم جميعه من هذا التقسيم، إما

عاص ظالم لنفسه و إما مطيع مبادر إلى الخيرات، و إما مقتصد بينهما، و هذا من أصح التقسيمات و أكملها فاعرفه .. و من هذا المعنى قوله تعالى: وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الآيـة. اعلم أن هـذه الآيـة مماثلـة فى المعنى لما سبق ذكره- و أصحاب المشئمة- هم الظالمون لأنفسهم- و أصحاب الميمنة- هم المقتصدون- و السابقون- هم السابقون بالخيرات. و على نحو من ذلك جاء قوله تعالى: هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً أ لا ترى إلى براعة هذه القسمة، فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف و طامع، و ليس لهم ثالث.

و كان جماعة من أرباب هذه الصناعة المنتصبين فى صدرها يعجبون بقول بعض العرب فى هذا المعنى و يقولون: إن ذلك من أصح التقسيمات و هو قوله- النعم ثلاث: نعمة فى حال كونها. و نعمة ترجى مستقبلة. و نعمة تأتى غير محتسبة. فأبقى اللّه عليك ما أنت فيه. و حقق ظنك فيما ترتجيه. و تفضل عليك بما لم تحتسبه- فقالوا: إنه ليس فى أقسام النعم التى يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الأعرابى، و هذا القول فاسد، و هو أن فى أقسام النعم التى قسمها هاهنا نقصا لا بد منه و زيادة لا حاجة إليها أما النقص فاغفاله ذكر النعمة الماضية، و أما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلة التى تأتى غير محتسبة، و هذا خطأ فإن النعمة التى تأتى غير محتسبة هى داخلة فى قسم المستقبلة، و ذلك أن النعمة المستقبلة تنقسم الى قسمين: أحدهما يرجى حصوله و يتوقع بلوغه.

و الآخر لا يحتسب و لا يشعر بوجوده. فقوله- و نعمة تأتى غير محتسبة-

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۵

يوهم أن هذا القسم غير المستقبل و هو داخل فى جملته و لو قال- و نعمة مستقبلة- من غير أن يقول- و نعمة تأتى غير محتسبة- لكان قوله كافيا إذ النعمة التى ترتجى و النعمة التى لا تحتسب يدخلان تحت قسم المستقبل، و كان ينبغى أن يقول- النعم ثلاث- نعمة ماضية. و نعمة حال كونها. و نعمة تأتى مستقبلة. فأحسن اللّه آثار النعمة الماضية و أبقى عليك النعمة التى أنت فيها و وفر حظك من النعمة التى تستقبلها- أ لا تراه لو قال ذلك لكان قد طبّق به مفصل الخطاب فافهم ما ذكرناه و قس عليه ..

وقف اعرابى على مجلس الحسن فقال: رحم اللّه من أعطى من سعة. أو آسى من كفاف. أو آثر من قلة فقال الحسن ما ترك لأحد عذرا فانصرف الأعرابى بخير كثير .. و من هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكرى فى كتابه و ذلك أنه أخذ على جميل قوله:

لو أنّ فى قلبى كقدر قلامةحبا وصلتك أو أتتك رسائلى فقال أبو هلال إن إتيان الرسائل داخل فى جملة الوصل. و ليس الأمر كما وقع له فان جميلا انما أراد بقوله- وصلتك- أى أتيتك زائرا أو قاصدا أو كنت راسلتك مراسلة و الوصل لا يخرج عن هذين القسمين إما رسالة أو زيارة .. و قال ابن الاثير و من أعجب ما شاهدته فى هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى و هو قول العباس بن الأحنف:

وصالكم هجر و هجركم قلاو عطفكم صدّ و سلمكم حرب ثم روى المشار اليه عن أبى القاسم الآمدى أنه قال: إن بعض نقدة الكلام من البلغاء لما سمع هذا البيت قال: و اللّه هذا أحسن من تقسيمات اقليدس. و من العجب كيف ذكر الغانمى ذلك فى كتابه وفاته النظر فيه مع تقدمه فى هذه الصناعة. و أعجب منهما جميعا استحسان

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۶

ناقد الكلام لهذا التقسيم أ لا ترى أن هذا البيت ينبنى عليه شىء آخر من جنسه فإنه لو أضيف إليه بيت غيره فقيل:

و لينكم عنف و قربكم نوىو إعطاؤكم منع و صدقكم كذب لجاز ذلك و يحتمل أن يزاد على هذا البيت بيت آخر ثالث و رابع، و لو كان التقسيم فى البيت الأول صحيحا لما احتمل أن يضاف إليه شىء آخر البتة، لأن من صحة التقسيم أن لا يحتمل الزيادة .. و من نحو هذا قول بعضهم فى حق مكسورين فى الحرب فمن بين جريح مضرّج بدمائه، و هارب لا يلتفت إلى ورائه، فإن الجريح قد يكون هاربا و الهارب قد يكون جريحا و لو قال- فمن بين قتيل و مأسور و ناج- لصح له التقسيم لأن المكسورين فى الحرب الذين دارت عليهم الدائرة لا يخرجون عن هذه الاقسام الثلاثة، فإما قتيل أو مأسور أو ناج، و أما الجريح فإنه يدخل فى جملة الناجى و المأسور،

لأن كلا منهما يجوز أن يكون جريحا و أن لا يكون فاعرف ذلك و قس عليه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۷

القسم الخامس المؤاخاة

و هى على قسمين: الأول المؤاخاة فى المعانى. الثانى المؤاخاة فى الألفاظ و يكون للكلام بها رونق، لأنّ النفس يعرض لها عند الشعور شىء يطلع إلى مناسبة فلا يرد إلا بعد تشوف، و لا كذلك المباين، فلذلك يقبح ذكر الشىء مع مباينه فى المعنى المذكور فيه. و لذلك قبح قول الكميت:

أم هل ظعائن بالعلياء رافعةو قد تكامل منها الدّلّ و الشّنب فإن- الدل و الشنب- لا مناسبة بينهما. و كذلك يقبح الشىء مع مباينه فى البناء. و لذلك قبح قول أبى تمام:

مثقّفات سلبن العرب سمرتهاو الرّوم رقتها و العاشق القصفا و كان ينبغى أن يقول- و العشاق قصفها- لكن منعه الوزن و القافية فلذلك لا يعاب هذا على الشاعر كما يعاب على الناثر إذ المجال للناثر متسع .. و مما استقبح قول أبى نواس:

ألا يا ابن الذين فنوا فماتواأما و اللّه ما ماتوا لتبقى

و ما لك فاعلمن فيها مقاماذا استكملت آجالا و رزقا و كان ينبغى أن يقول- و أرزاقا- و اعلم أن استقباح تباين المبانى دون استقباح تباين المعانى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۸

قال المصنف عفا اللّه عنه: التباين فى المبانى ليس بمستقبح و قد ورد فى القرآن العظيم منه كثير. و من ذلك قوله تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ. و كذلك قوله تعالى: حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ الآية ..

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۳۹

القسم السادس الاعتراض و الحشو

و هو أن يدخل فى خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكنا و تفيد معنى آخر مع أن اللفظ يستقل بدونها و يلتئم بغيرها مثل قوله عز و جل:

لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. و قوله تعالى: وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً أو لم يردن و لكن أفاد قوله- إن أردن تحصنا- الاعلام بترغيب الشرع فى التحصين و أنه مطلوبه. و منه قوله تعالى: وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.

و قوله تعالى: وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ.

قال المصنف عفا اللّه عنه: قال ابن الاثير فى كتابه الموسوم بالجامع الكبير: الاعتراض الصناعى عند ارباب علم البيان على قسمين: الأول: لا يأتى فى الكلام إلا لفائدة: و هو جار مجرى التوكيد فى كلام العرب.

و القسم الآخر أن يأتى فى الكلام لغير فائدة فإما أن يكون دخوله فى التأليف كخروجه منه، و إما أن يؤثر فى التأليف نقصا و فى المعنى فسادا فالأول و هو الذى يأتى فى الكلام لفائدة. فمنه قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ هذا كلام فيه اعتراضان أحدهما قوله- و انه لقسم لو تعلمون عظيم- لانه اعترض بين القسم الذى هو- فلا أقسم بمواقع

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴۰

النجوم- و بين جوابه الذى هو- إنه لقرآن كريم- و فى نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو- قسم- و بين صفته التى هى- عظيم- و هو قوله تعالى- لو تعلمون- فذانّك اعتراضان، و لو جاء الكلام غير معترض فيه لوجب ان يكون فلا أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم، و فائدة هذا الاعتراض بين القسم و جوابه إنما هو تعظيم لشأن المقسم به فى نفس السامع. أ لا ترى إلى قوله تعالى- لو تعلمون عظيم- كيف هذا الاعتراض بين الصفة و الموصوف و ذلك أوقع فى النفس لتعظيم المقسم به أى انه من عظيم الشأن و فخامة الأمر بحيث لو علم ذلك لوفى حقه من التعظيم .. و من ذلك قوله تعالى: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ إلى: وَ لِوالِدَيْكَ الآية. أ لا ترى إلى هذا الاعتراض الذى طبق مفصل البلاغة فإنه لم يؤت به الّا لفائدة كبيرة، و ذلك أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المشاق و المتاعب فى حمل الولد مما لا يتكلفه الوالد. و من ثم قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم للذى سأله فقال: يا رسول اللّه من أحق الناس بحسن صحابتى؟

قال: «أمك قال ثم من؟ قال: أمّك قال: ثم من؟ قال أمّك قال:

ثمّ من؟ قال: أبوك». و فى رواية أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك فادناك .. و مما جاء على هذا الاسلوب قوله تعالى: وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ إلى قوله: تَعْقِلُونَ فقوله تعالى:- و اللّه مخرج ما كنتم تكتمون- اعتراض بين المعطوف و المعطوف عليه، و فائدته أن يقرر فى انفس المخاطبين و قلوب السامعين أن تدارؤ بنى اسرائيل فى قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم فى اخفائه و كتمانه، لأن اللّه تعالى مظهر لذلك و مخرجه، و لو جاء الكلام خاليا من هذا الاعتراض لكان- و إذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها- و لا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك، و بين كونه معترضا فيه .. و من هذا الجنس قول النابغة:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴۱ لعمرى و ما عمرى علىّ بهيّنلقد نطقت بطار علىّ الأقارع فقوله- و ما عمرى على بهين- من محموده و نادره لما فيه من تفخيم المقسم به .. و على نحو من هذا جاء قول كثير:

لو أنّ الباخلين و أنت منهمرأوك تعلّموا منك المطالا فقوله- و أنت منهم- من الاعتراض الذى يؤكد به المعنى المقصود و يزداد به مزية و نبلا، و فائدته هنا أن التصريح بما هو المراد يثبته فى النفس و يقرره فى الاذهان .. و قال بعضهم لعبد اللّه بن طاهر و هو أحسن ما قيل فى هذا الباب:

إن الثمانين و بلغتهاقد أحوجت سمعى إلى ترجمان و أمثاله كثيرة .. و أما الثانى و هو الذى يأتى فى الكلام لغير فائدة فهو ضربان.

الأول: أن يكون دخوله فى التأليف كخروجه منه لا يؤثر حسنا و لا قبحا .. فمن ذلك قول النابغة:

يقول رجال يجهلون خليفتىلعلّ زيادا لا أبا لك غافل فقوله- لا أبا لك- اعتراض لا فائدة فيه، و ليس مؤثرا فى هذا البيت حسنا و لا قبحا.

الضرب الثانى منه: و هو الذى يكون مؤثرا فى الكلام نقصا و فى المعنى فسادا. و منه قول بعضهم:

فقد و أبيك بيّن لى عشاءبوشك فراقهم صرد يصيح

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴۲

فإن فى هذا البيت من ردىء الاعتراض ما اذكره و هو الفصل بين- قد- و الفعل الذى هو- بيّن- و ذلك قبيح لقوة اتصال- قد- بما تدخل عليه من الافعال أ لا تراها تعدّ مع الفعل كالجزء منه، و لذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على- قد- فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ. و فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ .. و قول الشاعر و هو الفراء السلمى:

و قد أجمع رجلىّ بهاحذر الموت و إنى لغرور إلا أنه اذا فصل بين- قد- و الفعل بالقسم فإن ذلك لا بأس به نحو قولك- قد و اللّه كان ذلك. و قد «۱» فجاء هذا البيت لا خفاء بقبحه .. و من بديع الاعتراض قول المتنبى:

و يحتقر الدنيا احتقار مجرّب يرى أنّ ما فيها و حاشاك فانيا و هذا البيت حشوه يصلح أن يكون من باب الحشو، و يصلح أن يكون من باب الاحتراس.

قال المصنف عفا اللّه عنه: ذكر أسامة فى بديعه أن الحشو غير المفيد أن تأتى فى الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة مثل قول النابغة:

توهّمت آيات لها فعرفتهالستّة أعوام و ذا العام سابع - و قال آخر:

نأت سلمى فعاودنى صداع الرّأس و الوصب فقوله- الرأس- حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يكون إلا فى

---

(۱) بياض بالاصل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴۳

الرأس .. و فى الحماسة:

أنعى فتى لم تذرّ الشمس طالعةيوما من الدهر إلا ضرّ أو نفعا فقوله- طالعة- حشو لا فائدة فيه لأن قولهم ذرّت الشمس أى طلعت.

قال المصنف عفا اللّه عنه: و هذه الكلمات التى ذكرها ليست بزائدة بل لها معان. فقوله- لستة أعوام و ذا العام سابع- فليس بزائد، و قد ورد مثله فى القرآن و هو قوله تعالى: ثَلاثَةِ أَيّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ و انما قال ذلك الذى تقدم بيانه فى باب التتميم و هو رفع اللبس و تقرير المعنى فى النفس. و أما قوله- صداع الرأس- فهو من الإصابة و الشّق و مثل ذلك يتهيأ فى سائر الأعضاء. و أما قوله- تذر الشمس طالعة- فهما و إن كانا بمعنى واحد فالعرب من عادتها ان تكرر لفظين بمعنى واحد للتأكيد. كقول الشاعر:

و هند أتى من دونها النأى و البعد و منه قوله تعالى: فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً .. و الذى اقتضاه قول أسامة و غيره من العلماء أن الحشو على قسمين. قبيح و حسن.

فالقبيح ما أشار اليه أسامة. و الحسن ما أشار اليه غيره و اللّه أعلم.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴۴

القسم السابع الالتفات

و هو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى، و أرباب هذا الشأن فيه على ثلاثة مذاهب: ذهب قوم أنه على ثلاثة أقسام: الأول: الانتقال من الغيبة إلى الحضور، و من الحضور إلى الغيبة كقوله تعالى: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و عكسه الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ و لم يقل غير الذين غضبت عليهم.

و كذلك قوله تعالى: سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. و قوله تعالى: وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً. و قوله تعالى: وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا و مثله فى القرآن كثير، و لا يخلو شىء من ذلك من حكم جزئية تليق بذلك الكلام الخاص كما فى هذا الموضع، و أن القول إذا اشتمل على سوء أدب على عظيم كان الأولى التعبير عنه بلفظ الغائب، إذ الإقدام على ذلك إقدام الحاضر أفحش و أكثر جرأة و الجناب العظيم ينبغى أن يحاشى من ذلك.

يبين ذلك قوله تعالى:- و قالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدّا- ثم لما أن أراد توبيخهم على هذا القول عبّر عنه بالحضور، لأن توبيخ الحاضر أبلغ فى الاهانة .. الثانى: الالتفات من الماضى إلى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴۵

المضارع كقوله تعالى: قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ. و كذلك قوله تعالى: أُحِلَّتْ لَكُمْ

بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ .. الثالث: الالتفات من الماضى إلى المستقبل و بالعكس: كقوله تعالى: فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ. وقوله تعالى: وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ. و قوله تعالى: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ.

و قوله تعالى: وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً. و قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ. و قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ و لا يخلو هذا عن حكمة كما فى هذه الآية فإن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبّر عنه بالماضى ليفيد ذلك مع كونه باقيا أنه قد مضى عليه زمان، و لا كذلك الصد عن سبيل اللّه، فإن حكمه إنما يثبت حال حصوله نعنى بذلك فهو فى كل وقت كافر ما لم يأت بالايمان، و لا كذلك الصد عن سبيل اللّه، و مع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله- و يصدون عن سبيل اللّه- مشعرا بأنهم فى كل وقت كذلك. و لا كذلك لو قال و صدوا لأن ذلك يكون مشعرا بأن صدهم قد انقطع.

و ذهب قوم إلى أن الالتفات إذا انقطع الكلام يعقبه بجملة ملاقية اياه فى المعنى ليكون تتميما له على جهة المثل و الدعاء أو غيرهما كقوله تعالى: وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً و من هذا النوع قول جرير:

مجازيع عند البأس و الحرّ يصبر الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴۶

و ذهب قوم إلى أن الالتفات هو أن تذكر معنى فتتوهم أن السامع اعترضه شك فى ذلك أو فى سببه، أو علته فتذكر ما يزيل شكه كقول الاخطل:

تبين صلات الحرب منّا و منهمإذا ما التقينا و المسالم يأذن فتبيّن بقوله- و المسالم يأذن- كيفية ظهور المحارب منه، و الصحيح القول الأول و ما ذكره بعده يجوز أن يكون من أنواع الالتفات .. و من بديعه قوله تعالى: يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ خاطب يوسف بأعرض عن هذا و التفت الى زليخا. و منه أيضا قوله عز و جل حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ .. و من بديع ما جاء منه فى النظم قول امرئ القيس:

تطاول ليلك بالأثمدو نام الخليّ و لم ترقد

و بات و باتت له ليلةكليلة ذى العائر الأرمد

و ذلك عن خبر جاءنىو خبّرته عن أبى الأسود قال المصنف عفا اللّه عنه: ذكر ابن الاثير فى جامعه أن الالتفات على ثمانية أقسام: الاول الرجوع من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ إلى قوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و انما فعل ذلك لفوائد و هى انه لما ذكر الحقيق بالحمد و أجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة، و الملك الخاص فعلم المعلّم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالخضوع له و الاستعانة به فى المهمات، فخوطب ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات فقيل- إياك نعبد و إياك نستعين- يا من هذه صفاته.

و الفائدة الأخرى أن قوله- إياك نعبد و إياك نستعين- ليس العدول فيه اتساعا، و إنما عدل إليه لأن الحمد دون العبادة فإنك تحمد نظيرك

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۴۷

و لا تعبده، فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة فى الخبر فقال- الحمد للّه- و لم يقل لك و لما صار إلى العبادة التى هى أقصى الطاعات قال- إياك نعبد- تصريحا بها و تقربا منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدوده منها، و على نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال- صراط الذين أنعمت عليهم- فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال- غير المغضوب عليهم- و لم يقل غير

الـذين غضـبت عليهم، لأـن الاـول موضع التقرب إلى اللّه بـذكر النعمـة، فلما صار إلى ذكر الغضب قال- غير المغضوب عليهم- فجاء باللفظ منحرفا به عن ذكر الغضب فأسـند النعمـة إليه لفظا و زوى عنه لفظ الغضب تحننا و لطفا .. و من هذا الجنس قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً و شـبهه .. الثانى: الرجوع من الخطاب إلى الغيبـة كقوله عز و جل: هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها الآيـة صـرف الكلام هاهنا من خطاب المواجهة إلى الغيبة و انما فعل ذلك و هو أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم، و يستدعى منهم الإنكار عليهم و التقبيح لفعلهم و لو قال- حتى اذا كنتم فى الفلك و جرين بكم- و ساق الخطاب إلى آخر الآيـة لذهبت تلك الفائدة التى أنتجها خطاب الغيبة .. و من ذلك قوله تعالى: إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ الأصل أن يعطف على الفعل الاوّل الّا أنه صـرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين، و يقبّح عليهم ما فعلوه و يقول:

أ لا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين اللّه فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا، و ذلك مثل لاختلافهم فيه و تباينهم، ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوه ..

و مما ينخرط فى هذا السلك أيضا قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إلى

وَ كَلِماتِهِ الآية. فإنه انما قال: فَآمِنُوا بِاللَّهِ حيث قال أولا- إنى رسول اللّه اليكم- لكى تجرى عليه الصـفات التى أجريت عليه و ليعلم أن الـذى وجب الإيمـان به و الاتباع له هو هـذا الشـخص المسـتقبل بأنه النبى الأمى الـذى يؤمن باللّه و كلماته كائنا من كان أنا أو غيرى اضـطرارا للنصـفة و بعدا للتعصب لنفسه فقرر أولا فى صدر الآية بأنه رسول اللّه إلى الناس و أثبت ذلك فى أنفسهم، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى الغيبـة لغرضـين كبيرين قـد ذكرتهما. الأول: إجراء تلك الصـفات عليه. الثانى: الخروج من تهمة العصبية لنفسه فافهم ذلك.

الثـالث: الرجوع من الفعـل المسـتقبل إلى فعـل الأـمر فعـل ذلك تعظيما لمن أجرى عليه الفعل المسـتقبل و تفخيما لأمره و بالضـد من ذلـك فى حق من أجرى عليه فعل الأمر. فمما جاء من ذلك قوله تعالى: قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَ ما نَحْنُ بِتارِكِى آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَ مـا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إلى قوله: مِمَّا تُشْـرِكُونَ الآيـة. فـإنه انما قال- أشـهد اللّه و اشـهدوا- و لم يقل و أشـهدكم ليكون موازيا له و بمعناه لأن إشـهاد اللّه على البراءة من الشـرك صـحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيـد، و شـد معاقده و أما إشـهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم و دلالة على قلة المبالات بهم، و لذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما و جىء به على لفظ الأمر، كما تقول للرجل تهكما به و استهانة- اشهد علىّ أنى أحبك- و أمثال هذا كثير فاعرفه ..

الرابع: الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع، و من خطاب الجمع إلى خطاب الواحـد. فمن ذلـك قوله تعـالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ «۱» فإنه توسع فى هذا الخطاب فثنى، ثم جمع،

---

(۱) بهامش الاصل ما نصه .. لعله خطاب لهما و لهم كتبه أبو الوفا.

ثم وحـد فخـاطب موسـى و هـارون فى ذلـك عليهمـا السـلام بـالتبوء و الاختيـار فى ذلـك ممـا يفوّض إلىّ، ثم ساق الخطاب لهما و لقومهمـا باتخاذ المساجـد و إقامـة الصـلاة، لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسـى صـلّى اللّه عليه و سـلّم بالبشارة التى هى الغرض تعظيمـا له و تفخيما لأمره، لأنه الرسول على الحقيقـة .. و من هـذا النحو قوله تعالى: حكايـة عن حبيب النجار: وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هـذا عـدول عن خطـاب الواحـد إلى خطاب الجماعـة، و اتمام الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم، لأنه

أفرد الكلام لهم فى معرض المناصحة لنفسه، و هو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم و مداراتهم، فإن ذلك أدخل فى إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلّا ما يريد لنفسه، و قد وضع قوله- و ما لى لا أعبد الذى فطرنى- موضع قوله و ما لكم لا تعبدون الذى فطركم أ لا ترى إلى قوله: وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و لو لا أنه قصد ذلك لقال الذى فطرنى و إليه أرجع، و قد ساقه ذلك المساق إلى أن قال:

إِنِّى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ يريد فاسمعوا قولى و أطيعون فقد نبّهتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه لأن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبدؤكم و اليه ترجعون ..

الخامس: الاخبار عن الفعل الماضى بالمضارع، و هو قسم من الالتفات لطيف المأخذ دقيق المغزى.

اعلم: ان الفعل المضارع إذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى، و ذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها و يستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها و يشاهدها، و ليس كذلك الفعل الماضى. فمما جاء منه قوله تعالى: وَ اللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ فإنه انما قيل- تثير- مضارعا و ما قبله و ما بعده ماض لذلك المعنى الذى أشرنا إليه و هو حكاية الحال

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۰

الذى يقع فيها إثارة الريح للسحاب و استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة، و هكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز و خصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك .. و منه قول تأبط شرا:

لقيت الغول تهوى نحو وجهىبقفر كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرّتصريعا لليدين و للجران لانه قصد أن يصور صورة الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول، كأنه يبصرهم و يطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على ذلك الغول و ثباته عند تلك الشدة، و لو قال فضربتها لزالت تلك الفائدة التى ذكرناها و نبهنا عليها .. و من ذلك قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ أ لا ترى كيف عدل عن لفظ الماضى هاهنا إلى المضارع فقال- فتصبح الارض مخضرة- و ذلك لافادة بقاء المطر زمانا بعد زمان كما قال- أنعم علىّ فلان عام كذا فأروح و أغدو شاكرا- و لو قال: فرحت و غدوت شاكرا له، لم يقع ذلك الموقع فافهم ما أشرنا اليه ..

السادس: الاخبار بالفعل الماضى عن المضارع، و هو عكس ما تقدم ذكره، و فائدته أن الفعل الماضى اذا أخبر به عن الفعل المضارع الذى لم يوجد كان أبلغ و آكد و أعظم موقعا و أفخم شأنا، لان الفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان و وجد و حدث و صار من الأمور و المقطوع بكونها و حدوثها.

و الفرق بينه و بين الإخبار بالفعل المضارع عن الماضى هو أن الفعل الماضى يخبر به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التى لم توجد و الأمور المتعاظمة التى تحدث فيجعل عند ذلك مما قد كان و وجد و وقع الفراغ من كونه و حدوثه. و أما الفعل المضارع إذا أخبر به عن الفعل الماضى فإن الغرض بذلك شيئان هيئة الفعل و استحضار صورته

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۱

ليكون السامع كأنه يعاينها و يشاهدها ..

فمن الاخبار بالفعل الماضى عن المضارع قوله تعالى: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ فإنه إنما قال- ففزع- بلفظ الماضى بعد قوله- ينفخ- و هو مستقبل للاشعار بتحقق الفزع و ثبوته و أنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات و الأرض، لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل و كونه مقطوعا به .. و منه قوله تعالى: وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة و إنما جىء به بلفظ الماضى لأن ما أخبر اللّه به لصدقه و صحته كأنه قد كان و وجد. و مثل ذلك قوله عز و جل: أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ فإن- أتى- هاهنا بمعنى يأتى، و إنما حسن فيه لفظ الماضى لصدق اثبات الأمر، و دخوله فى جملة ما لا بد من حدوثه، و وقوعه فصار يأتى بمنزلة قد أتى و مضى ..

و كذلك قوله تعالى: وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً فإنه إنما قال- و حشرناهم- ماضيا بعد- نسير. و ترى- و هما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير و البروز، ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قال: و حشرناهم قبل ذلك ..

السابع: الإخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع، و إنما فعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضى، و قد سبق الكلام عليه .. فمن ذلك قوله تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ فإنه إنما آثر اسم المفعول هاهنا على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع، و أنه لا بد من أن يكون ميعاد مضروبا لجمع الناس، و أنه الموصوف بهذه الصفة، و إن شئت فوازن بينه و بين قوله تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ فإنك تعثر على صحة ما قلت ..

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۲

الثامن: عكس الظاهر و هو أن العرب قد توسعوا فى كلامهم و تجوّزوا إلى غاية فيذكرون كلاما يدل ظاهره على معنى، و هم يريدون به معنى آخر عكسه و خلافه، و الأصل فى ذلك أنك تذكر كلاما يعطى معناه أنه نفى لصفة شىء قد كان، و هو نفى الموصوف أنه ما كان أصلا فمن ذلك قول علىّ رضى اللّه عنه فى وصفه مجلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنه لا تنثى فلتاته أى لا تذاع، فظاهر ذلك أن ثم فلتات غير أنها لا تذاع، و ليس المراد ذلك، بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات أصلا فتذاع، و هذا مثل قول الشاعر:

لا ترى الضبّ بها ينجحر

أى ليس بها ضب فينجحر.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۳

القسم الثامن الحمل على المعنى

و ذلك كتأنيث المذكر، و تذكير المؤنث، و تصور معنى الواحد للجماعة، و الجماعة للواحد، و حمل الثانى على لفظ الأول أصلا، كان ذلك اللفظ أو فرعا أو غير ذلك. و قد ورد فى القرآن العظيم و فصيح الكلام منثورا و منظوما من ذلك كثير .. فأما تأنيث المذكر فكقوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ و المراد به آدم عليه السلام و أنّث ردّا إلى النفس و قرئ فى الشواذّ- من نفس واحد-، و منه قوله تعالى: وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ و القائل جبريل عليه السلام، و له نظائر كثيرة فى القرآن .. و منه قول الشاعر:

أبوك خليفة ولدته أخرىو أنت خليفة ذاك الكمال - و قال آخر:

طول اللّيالى أسرعت فى نقضى

- و قال آخر:

أ تهجر بيتا بالحجاز تلفّعتبه الخوف و الأعداء من كلّ جانب - و قال آخر:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۴ يا أيها الراكب المزجى مطيّتهسائل بنى أسد ما هذه الصّوت فإنه ذهب بالصوت إلى الاستغاثة، و ذهب الآخر بالخوف إلى المخافة .. و أما تذكير المؤنث فقد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف المذكر إذا كانت اضافته إلى مؤنث فكان المضاف بعض المضاف إليه، أو به، أو منه، و لذلك قرئ قوله تعالى: لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها بالتأنيث فأنث فعل الإيمان إذ كان من النفس و بها. و أمثال هذا كثير فى القرآن .. و منه قول الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعتسور المدينة و الجبال الخشّع - و قول الآخر:

كما شرقت صدر القناة من الدّم الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۵

القسم التاسع الزيادة فى البناء

و هو أن يقصد المتكلم معنى يعبر عنه لفظتان: إحداهما أزيد بناء من الأخرى فيذكر الكلمة التى تزيد حروفها عن الأخرى قصدا منه إلى الزيادة فى ذلك المعنى الذى عبر عنه، و لهذا ان اعشوشب و اخشوشن فى المعنى أكثر و أبلغ من خشن و أعشب، و لهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضا فإن ستّار أبلغ من ساتر، و غفّار أبلغ من غافر، و لهذا قال سبحانه و تعالى: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً. و منه قوله تعالى: وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً عدل عن قادر إلى مقتدر ليشعر بالزيادة على زيادة قدرة اللّه تعالى، و البيان عن عظم شأنه .. و من هذا المعنى قول أبى نواس:

فعفوت عنى عفو مقتدرأحلت له نعم فألغاها و العرب عادتها أن تزيد فى بناء الاسم ليشعر بزيادة المعنى الدال عليه ..

قال الزمخشرى رحمه اللّه: رأيت أعرابيا بالحجاز يسوق جملا- عليه شقذف فقلت ما اسم هذا فقال شقذف ثم مرّ علينا جمل عليه كجاوة فقلت ما اسم هذا فقال شقنذاف فزاد فيه لكون الكجاوة أكبر و أعلى فى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۶

القدر و القيمة. و قد رجح بعض أهل المعانى: «الرحمن على الرحيم» لما فيه من زيادة البناء و هو الألف. و مثل هذا فى كلام العرب كثير ليس هذا موضع استقصائه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۷

القسم العاشر الإطالة و الإسهاب. و يسمى الإطناب. و الكلام عليهما من وجوه

الاول: فى ذكر الغرض الذى أتى بهما من أجله. الثانى فى حقيقتهما و مجازهما. الثالث: فى اختلاف علماء البيان فيهما. الرابع: فيما يستحسن فيهما و ما يستقبح. الخامس: فى أقسامهما. السادس:

فى الفرق بينهما.

أما الاول: فإن العرب جرت سنتهم على ذلك فى خطبهم و مخاطباتهم و مفاخراتهم و مقاولاتهم يقصدون بذلك اظهار قدرتهم على الكلام و توسعهم فى النثر و النظام، فيوجزون تارة و يطيلون أخرى، هذا فى الحقيقة، و أما فى المجاز فمرادهم الدلالة على قوة مشاهدة المعنى المجازى ..

و قال ابن الاثير: أتى بالإطالة و الإطناب للمبالغة، و المبالغة تنقسم إلى أقسام كثيرة: و قد سبق ذكر شىء منها كالاخبار بالفعل الماضى عن المضارع، و بالمضارع عن الماضى، و من جملة أقسام المبالغة الإطناب و فائدته زيادة التصور للمعنى المقصود، إما حقيقة أو مجازا، و هو على الحقيقة ضرب من ضروب التأكيد.

و أما الثانى: فحقيقة الإطالة الامتداد و الاسترسال و أصله فى الاجرام. و أما الاطناب فحقيقته لغة الزيادة و المبالغة، و أما حقيقته

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۸

الصناعية فهو زيادة فى اللفظ لتقوية المعنى .. فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فقوله تعالى: ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ فإن الفائدة فى قوله- فى جوفه- كالفائدة فى قوله- القلوب التى فى الصدور- و ذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور المدلول عليه لأنه اذا سمع صوّر لنفسه جوفا يشتمل على قلبين، و كان ذلك أسرع إلى الإنكار .. و أما الذى جاء منه على سبيل المجاز فمنه، قوله تعالى:

فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ففائدة ذكر- الصدور- هاهنا أنه قد يعرف أن العمى على الحقيقة مكانه البصر و هو مصاب الحدقة بما يطمس نورها و استعماله فى القلب استعارة و مثل فلما أريد اثبات ما هو بخلاف المتعارف من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة و نفيه عن الأبصار احتاج هذا الأمر إلى زيادة تصوير و تعريف ليتقرر إن مكان العمى انما هو القلوب لا

الأبصار. و هذا نوع من أنواع البيان عظيم اللطائف كثير المحاسن.

و أما الثالث: فقد اختلف علماء البيان فيهما فقال المحققون، انهما متغايران .. و قال أبو هلال العسكرى: الاطالة و الاطناب سواء و هما عنده ضد الايجاز و وافقه جمهور الائمة. و قال أبو هلال أيضا فى كتابه الاطناب فى الكلام انما هو بيان و البيان لا يكون إلا بالاتساع، و أفضل الكلام أبينه، و الايجاز للخواص و الاطناب يشترك فيه الخواص و العوام، و لهذا أطنب فى الكتب السلطانية لافهام الرعايا. و كما أن الايجاز له مواضع، فكذلك الاطناب له مواضع، و الحاجة إلى الايجاز فى موضعه كالحاجة إلى الاطناب فى موضعه. قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- «خاطبوا النّاس على قدر عقولهم»- و من استعمل الايجاز فى موضع الإطناب، و الاطناب فى موضع الايجاز، فقد أخطأ فلا شك أن الكتب الصادرة عن السلطان فى الامور العظيمة فى الفتوح، و تفخيم مواقع النعم المتجددة، أو فى الترغيب فى الطاعة، و التحذير من العصيان،

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۵۹

و غير ذلك ينبغى أن تكون مشبعة مستقصاة.

و أما كتاب المهلب إلى الحجاج فى فتح الازارقة و هو- الحمد للّه الذى كفى الاسلام فقد ما سواه و جعل الحمد متصلا بنعمه و قضى أن لا يقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه، ثم إنا و عدوّنا على حالين مختلفين نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوؤنا و يرون فينا ما يسوؤهم أكثر مما يسرهم فلم يزل ذلك دأبنا و دأبهم ينصرنا اللّه و يخذلهم و يمحصنا و يمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد للّه رب العالمين- فإنما حسن هذا الكتاب لكونه فى موضعه.

و أما لو كتب إلى العامة و قد تطلعت نفوسهم إلى معرفة ذلك الفتح العظيم، و تصرفت بهم ظنونهم فى أمره لجاء فى أقبح صورة عندهم و أهجنها.

و اعلم أن الاطناب بلاغة و التطويل عىّ فإن الاطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة تحتوى على زيادة فائدة بما تأخذ النفس منه من اللذة و التطويل بمنزلة شكوك ما يبعد جهلا بما يفوت، فهذا حكاية كلام أبى هلال العسكرى .. و قد ذكر ابن الاثير فى جامعه على قول أبى هلال مأخذا فقال أما قول أبى هلال الاطناب فى الكلام إنما هو بيان، فإن البيان فى أصل اللغة هو الظهور و الوضوح فيكون الاطناب على قوله ظهورا فى الكلام و وضوحا لا غير، و يلزم على ذلك أن كل كلام ظاهر واضح إطنابا سواء كان ذلك الكلام ايجازا أو غيره من أصناف علم البيان، و هذا مما لم يذهب اليه أحد لأن أبا هلال قد جعل الاطناب وصفا من الاوصاف التى يشترك فيها جميع ضروب الكلام، و ذلك أن البيان وصف يعم كل كلام ظاهر واضح من ايجاز أو تطويل أو تكرير أو غير ذلك، و ليس الأمر كما وقع له بل الاطناب نوع واحد من أنواع

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۰

الكلام، فإن أصله فى وضع اللغة من أطنب فى الكلام إذا بالغ فيه كما تقدم.

الرابع: فيما يستحسن فيهما و ما يستقبح. أما الذى يستقبح منهما فهو أن يطنب فيما لا ينبغى فيه الإطناب و يطوّل فيما ينبغى فيه الايجاز أو يطول فيما ليس فى إطالته فائدة و لا فيه زيادة معنى كما روى أن رجلا استدعى لأداء شهادة على نكاح فقال: أشهد ان لا إلا إلا اللّه و أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون و أشهد أنى كنت فى يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا فى الدار الفلانية (و وصفها) من الحارة الفلانية (و وصفها) و سمى الساكنين بها من البلد الفلانى وقت كذا من النهار، و قد طرق الباب غلام و ذكر جنسه و أوصافه و حكاية تطول جدا .. و هذا النوع من الإطالة ليس فى القرآن العظيم منه شىء.

و أما الذى يستحسن منهما فهو إطالة الكلام و ترديده لتقوية المعنى فى النفس و تعظيمه و البيان قوة الملكة فى التلعّب بالكلام، أو لكون المخاطب لا يصل الكلام الموجز إلى فهمه فهو محتاج الى بسط الكلام و اتساعه حتى يفهم.

الخامس: فى أقسامهما. أما أقسام الاسهاب و الإطناب فقد اختلف فيه علماء علم البيان فقالوا: لا يخلو إما أن يكون فى جملة واحدة أو فى جمل. فأما الذى فى جملة واحدة فعلى قسمين: حقيقة و مجاز. أما الحقيقة فقد يكون معنى اللفظ الزائد هو معنى المذكور، و يكون مغايرا له. أما الأول: فكقوله تعالى: فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً. و كقوله تعالى: أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى و كقوله تعالى:

تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۱

و أما الثانى فكقوله تعالى: ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ. و كقوله تعالى: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ و كقوله تعالى: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ .. و أما المجاز فكقوله تعالى: فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ و استعمال هذا مجازا أحسن .. و أما الذى فى الجمل فأقسامه أربعة: الأول أن تذكر أشياء كل واحد منها يخص بما لولاه لكان المفهوم من الكل واحدا كقول أبى تمام:

من منّة مشهورة و صنيعةبكر و إحسان أغر محجل و لو قال- من منة و صنيعة و احسان- كان المعنى واحدا. و كذلك قوله:

ولىّ سجيّات تضيف ضيوفهو يرجى مرجيّه و يسأل سائله و كل هذه دلالة على زيادة كرمه .. و الثانى: الاثبات و المنفى: و هو أن يذكر الشيء اثباتا و نفيا مع زيادة لولاها لكان ذلك تكرارا و تناقضا كقوله تعالى: وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ. و كذلك قوله تعالى: لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ مع قوله: إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ .. الثالث: أن تذكر الشيء، ثم تضرب له أمثالا تشتهى كقول البحترى يصف امرأة:

ذات حسن لو استزادت من الحسن إليه لما أصابت مزيدا فهى كالشمس بهجة و القضيب اللّدن قدّا و الرّيم طرفا و جيدا- و كذلك قوله:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۲ تردّد فى حلّتى سؤددسماحا مرجّا و بأسا مهيبا

و كالسيف إن جئته صارخاو كالبحر إن جئته مستثيبا الرابع: الاستقصاء فى ذكر أوصاف الشيء للمدح، أو الذم و نحوهما.

كقول بعضهم:

لأعلا الورى قدرا و أوفرهم حجىو أرشدهم رأيا و أسمحهم يدا و أما الاطالة فهى على قسمين: حسنة. و قبيحة. كما تقدم .. فأما الحسنة فهى على قسمين. الأول منها ما يكون بسطا للكلام و اتساعا فيه كما ورد فى القرآن العظيم مثل قصة يوسف عليه الصلاة و السلام بطولها، و قصة أصحاب الكهف بذكر فروعها و أصولها، و قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة و السلام و كثرت فوائد محصولها، و قصة ذى القرنين بطول مقولها، و قصة موسى مع فرعون و كثرة فصولها.

الثانى: أن لا تكون الإطالة بسبب تكرار اللفظ و ها نحن نذكر أقسامه، و نبيّن إن شاء اللّه تعالى.

السادس: فى الفرق بينهما. و الفرق بينهما أن الإطناب على سائر أحواله بلاغة و التطويل بعضه عىّ و ركاكة .. و قال ابن الأثير: الاطناب للخواص، و الإطالة للعوام. و هذا يحتاج الى تفصيل و قد تقدم.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۳

القسم الحادى عشر التكرار و الكلام فيه من وجوه:

الأول: فى حقيقته. الثانى: فى ذكر الفائدة التى أتى به من أجلها. الثالث: فى أقسامه. الرابع: فى ذكر ما يتهيأ فيه التكرار الحسن منه و القبيح.

أما الأول: فحقيقة التكرار أن يأتى المتكلم بلفظ، ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتى بمعنى ثم يعيده، و هذا من شرطه اتفاق المعنى الأول، و الثانى: فإن كان متحد الألفاظ و المعانى فالفائدة فى اثباته تأكيد ذلك الأمر و تقريره فى النفس، و كذلك اذا كان المعنى متحدا. و إن كان اللفظان متفقان و المعنى مختلف فالفائدة فى الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين.

و أما الثالث: فأقسامه ثلاثة: الأول ما يتكرر لفظه و معناه متحد.

الثانى ما يتكرر لفظه و معناه مختلف. الثالث: ما يتكرر معنى لا لفظا.

أما ما يتكرر لفظه و معناه متحد فمنه قوله تعالى: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. و كقوله تعالى: أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ كرر- اولئك- و كذلك قوله تعالى: أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و كذلك قوله تعالى: فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۴

هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ، وَ ما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ كرر- أن- فى أربعة مواضع تأكيدا. و كذلك قوله تعالى:

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ و مثله فى القرآن كثير و من هذا النوع قول الشاعر:

ألا يا اسلمى ثم اسلمى ثمّت اسلمى

و الغرض من هذه المبالغة فى الدعاء لها بالسلامة. و قد يكرر القول طلبا لدوام تذكر الارهاب كما كرر فى سورة الرحمن: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ و قد يكرر اللفظ أيضا ليتصل أول الكلام بآخره اتصالا جيّدا كما فى قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. و من ذلك الآية التى قبل هذه الآية. و من ذلك قوله تعالى: إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ .. و أما ما تكرر لفظه و معناه مختلف فمنه قوله تعالى: وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ فإن المقصود بقوله- يحق الحق- بيان ارادته و بقوله- ليحق الحق- الثانية لقطع دابر الكافرين و نصر المؤمنين عليهم. و كذلك قوله تعالى: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ معناه لا أعبد فى المستقبل ما تعبدونه أنتم الآن، و لا أنتم تعبدون فى المستقبل ما أنا عابد له، و لا أعبد قط آلهتكم حتى أكون الآن عابدا لما تعبدون، و لا أنتم عبدتم قط إلهى حتى تكونوا له الآن عابدين ..

و من ذلك قوله تعالى: وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ إلى قوله فى الآية الأخرى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۵

التى بعدها: وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَ فكرر- بلغن- لاختلاف البلوغين .. و أما قوله تعالى: وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ثم قال: قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فقد قيل إنه من باب تكرير اللفظ و المعنى، و قيل هو من باب تكرير اللفظ لا المعنى لاختلاف الهبوطين، فإن الهبوط الأول كان من الجنة الى سماء الدنيا، و الهبوط الثانى كان من سماء الدنيا إلى الأرض، و فى القرآن العظيم من هذين القسمين كثير .. و أما تكرار المعنى دون اللفظ فهو إما أن يكون بين المعنيين مخالفة ما أو لا يكون كذلك. و الذى يكون بينهما مخالفة، إما أن يكون أحدهما أعمّ أو لا يكون كذلك. فأما ما يكون أحدهما أعمّ فكقوله تعالى: وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فإن الدعوى إلى الخير أعم من الأمر بالمعروف و كذلك قوله تعالى: فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ. و كذلك قوله تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى و مثاله فى الشعر كثير. قال الشاعر:

إذا أكلوا لحمى و فرت لحومهمو إن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

و إن ضيّعوا عهدى حفظت عهودهمو إن هم هووا عنى هويت لهم رشدا و الغرض بهذا زيادة تأكيد الخاص .. و أما الذى لا يكون أحد المعنيين أعم فكقول حاطب بن أبى بلتعة-: و اللّه يا رسول اللّه ما فعلت ذلك كفرا، و لا ارتدادا عن دين و لا رضى بالكفر بعد

الاسلام .. و أما الذى لا يكون بين المعنيين مخالفة فكقوله تعالى: وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. و كذلك قوله تعالى: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ .. و كذلك قول الشاعر:

نزلت على آل المهلّب شاتيابعيدا عن الأوطان فى زمن المحل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۶ فما زال بى إكرامهم و افتقادهمو إحسانهم حتى حسبتهم أهلى هذا ما يكون من التكرار لفائدة .. و قال ابن الاثير فى جامعه التكرار فى هذا المعنى على قسمين: مفيد. و غير مفيد. فالمفيد نوعان: الأول إذا كان التكرار فى المعنى يدل على معنيين مختلفين كدلالته على الجنس و العدد، و هو من باب التكرير مشكل لأنه يسبق الى الوهم أنه تكرير محض يدل على معنى واحد فقط و ليس كذلك .. فمما جاء منه قوله تعالى: وَ قالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ. أ لا ترى أن العرب انما جمعت بين العدد و المعدود فيما وراء الواحد و الاثنين فقالوا: عندى رجال ثلاثة و أفراس أربعة، لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد المخصوص. فأما رجل و رجلان و فرس و فرسان فمعدودات، فالفائدة اذا فى قوله- إلهين اثنين. و إله واحد- هو أن الاسم الحامل لمعنى الافراد و التثنية يدل على الجنسية، و العدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد منهما، و كان الذى يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على أن القصد إليه و العناية به، أ لا ترى أنك لو قلت- انما هو إله- و لم تؤكده بواحد لم يحسن، و خيّل أنك تثبت الإلهية لا- الوحدانية، و هذا باب من باب تكرير المعانى وعر المسلك دقيق المغزى، و به تحلّ مسائل مشكلات من التكرير فاعرفه .. و من هذا النحو إذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص و الآخر عام، كقوله تعالى:

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ الآية فإن الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير لأن الأمر بالمعروف خاص و الخير عام، فكل أمر بالمعروف خير، و ليس كل خير أمرا بالمعروف، لأن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۷

ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر الخاص هاهنا ذكر العام للتنبيه عليه لفضله كقوله تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى الآية. و أمثال ذلك كثيرة فاعرفها ..

و النوع الثانى من الضرب الأول من القسم الثانى إذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنى واحد، و قد سبق مثاله فى أول هذا الباب كقولك أطعنى، و لا تعصنى، لأن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية.

و الفائدة فى ذلك تثبيت الطاعة فى نفس المخاطب، و تقرير لها فى قلبه. و الكلام فى هذا الموضع من التكرير كالكلام فى الموضع الذى قبله من تكرير اللفظ و المعنى إذا كان المراد به غرضا واحدا فاعرفه ..

الضرب الثانى من القسم الثانى فى تكرير المعنى دون اللفظ و هو غير المفيد. فمن ذلك قول ابن هانئ المغربى:

سارت به صنع القصائد شرّدافكأنما كانت صبا و قبولا فكأنه قد قال- فكأنما كانت صبا صبا- لأن الصبا هى القبول.

و ليس ذلك مثل التكرير فى قوله تعالى- حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى- فيما يرجع إلى تكرير اللفظ و المعنى و لا مثل التكرير فى قوله تعالى- و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف- فيما يرجع إلى تكرير المعنى دون اللفظ لأن كل واحدة من هاتين الآيتين يشتمل على معنيين خاص و عام. و قول ابن هانئ- صبا و قبولا- لا يعطى إلا معنى واحدا لا غير و هذا لا يخفى على العارف بصناعة التأليف .. و من هذا النحو قول الصابئ فى كتاب- وصل كتابك بعد تأخير و ابطاء و انتظار له و استبطاء- فإن التأخير و الاستبطاء بمعنى واحد، و قد يكون لهذا وجه فى التجوز و هو التقرير فى نفس المخاطب لبعد الأمد و تطاول المدة فى انقطاع كتابه عنه و ذلك مما لا بأس به فى هذا الموضع. و أمثال هذا كثير فاعرفه ..

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۸

و أما الرابع: فالذى يتهيأ التكرار أسماء. و افعال. و حروف.

و معان. و قد تقدم الكلام على الأسماء و الأفعال و المعانى .. و أما الحروف فهى على قسمين: حسنة. و قبيحة .. فأما الحسنة فهى كما التزمه الحريرى فى رسالته السينية و الشينية كرر السين فى كل كلمة فى السينية، و الشين فى الشينية. و كما التزمه الحصرى فى أول معشّراته من حروف المعجم. و كما التزمه الفازازى فى عشرينياته. و انما حسن هذا النوع لأن فيه دليلا على قوة الملكة فى الكلام و القدرة على التلعب بحروفه فى النثر و النظام و هو من باب لزوم ما لا يلزم و سيأتى بيانه ..

و أما القبيحة فكتكرار حروف تكسب الكلام عجرفة و تكسوه قلقا حتى يصعب النطق به و يذهب رونق الكلام بسببه كقول الشاعر:

و قبر حرب بمكان قفرو ليس قرب قبر حرب قبر و أما الخامس: فى الحسن منه و القبيح .. فأما الحسن منه فقد تقدم .. و أما القبيح فهو التكرار العارى عن الفائدة، و هو لا يخلو إما أن يكون فى المعنى وحده أو فى المعنى و اللفظ معا. أما الأول فقد أعابه بعضهم مطلقا و بعضهم فصّل فأعابه على التأثر و على الناظم إذا فعله فى صدر البيت، و أما اذا فعله فى عجزه فليس ذلك بعيب إذ قد يضطر لأجل القافية و الوزن كقول المتنبى:

بحر تعوّد أن يذمّ لأهلهمن دهره و طوارق الحدثان و الدهر و طوارق الحدثان بمعنى واحد .. و كذلك قيل من قال:

إنى و إن كان ابن عمّى عائبالمصادق من خلفه و ورائه - و أما الثانى فقد اتفق على قبحه و هو كقول مروان:

سقى اللّه نجدا و السلام على نجدو يا حبذا نجد على النأى و البعد

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۶۹ نظرت إلى نجد و بغداد دونهالعلى أرى نجدا و هيهات من نجد - و كذلك قول أبى نواس:

أقمنا بها يوما و يوما و ثالثاو يوما له يوم الترحّل خامس - و كذلك قول المتنبى:

و لم أر مثل جيرانى و مثلىلمثلى عند مثلهم مقام - و أقبح من ذلك قوله:

و قلقلت بالهمّ الذى قلقل الحشىقلاقل عيس كلّهنّ قلاقل - و قال ابن الأثير قال الواحدى فى شرحه لشعر أبى الطيب المتنبى انه لا يلزمه من هذا عيب، و أنه قد جرت عادة الشعراء بمثل ذلك كقول أبى منصور الثعالبى:

و إذا البلابل أطربت بهديلهافانف البلابل باحتساء بلابل و الصحيح أنه مستثقل و أخطأ الواحدى فى الاعتذار عنه و فى تمثيله بيت الثعالبى و بيان ذلك أن بيت أبى الطيب قد ورد فيه ذكر القلقلة و القلاقل أربع مرات و هن دلالات على معنى واحد لا غير و هو الحركة يقول- و حرّكت بالهمّ الذى حرك الحشى نوقا سراع الحركة كلهن متحركات- و هذا من أقبح ما يكون من التكرير. و أما بيت الثعالبى الذى مثّله الواحدى ببيت أبى الطيب فليس مثالا لأن لفظه- البلابل- قد وردت فيه ثلاث مرات و كلّ منها دال على معنى غير الآخر، فالأول جمع بلبل و هو طائر حسن الصوت و الثانى جمع بلبلة و هى وساوس الصدور، و الثالث جمع بلبلة و هى مخرج الماء من الابريق فهو يقول- و إذا الأطيار من البلابل هدلت و غرّدت فانف البلابل من قلبك باحتساء الخمر من بلابل الأباريق- و هذا من أحسن ما يكون من التجنيس و من هاهنا وقع

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۰

السهو للواحدى و هو أن البلابل فى شعر الثعالبى يدل على معان مختلفة و القلاقل فى شعر أبى الطيب يدل على معنى واحد فاعرف ذلك، و قس عليه و مثل قول المتنبى فى القبح قوله أيضا:

و لم أر مثل جيرانى و مثلىلمثلى عند مثلهم مقام فهذا و مثله هو التكرار الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصا زائدا، أ لا ترى أنه يقول لم أر مثل جيرانى فى سوء الجوار و قلة المراعاة، و لا مثلى فى مصابرتهم و مقامى عندهم، لأنه قد كرّر هذا المعنى فى البيت مرتين.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۱

القسم الثانى عشر القسم

و هو أن يقسم فى كلامه بشىء لم يرد به تأكيد كلامه و لا تصديقه، و إنما يريد به بيان شرف المقسم به و علو قدره عنده. و منه قوله تعالى:

فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ. و قوله تعالى: وَ الطُّورِ وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ. و قوله تعالى: وَ النَّجْمِ إِذا هَوى. و قوله تعالى: وَ السَّماءِ وَ ما بَناها وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها. و قوله تعالى: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ أقسم بهذه الأشياء كلها لعظم خلقها و لشرفها عنده، و أقسم بحياة نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم ليعرف الناس عظمته عنده و مكانته لديه .. و منه قول الشاعر:

حلفت بمن سوّى السماء و شادها و من مرج البحرين يلتقيان

و من قام فى المعقول من غير ريبةبما شئت من إدراك كلّ عيان

لما خلقت كفّاك إلا لاربعةعقائل لم يعقل لهنّ ثوان

لتقبيل أفواه و إعطاء نائلو تقليب هندىّ و جذب عنان قال المصنف عفا اللّه عنه: القسم فى القرآن العظيم على قسمين: مظهر. و مضمر. فالمظهر كما تقدم. و المضمر على قسمين دلت لام القسم على حذفه كما فى قوله تعالى: لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ. و فى قوله تعالى: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. و القسم الثانى ما

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۲

دلّ عليه المعنى فى مثل قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا تقديره و اللّه إن منكم إلا واردها يدل على ذلك قوله صلّى اللّه عليه و سلّم- لن تمسه النار إلا تحلة القسم- و له فى القرآن نظائر.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۳

القسم الثالث عشر الاقتباس. و يسمى التضمين

و هو أن يأخذ المتكلم كلاما من كلام غيره يدرجه فى لفظه لتأكيد المعنى الذى أتى به، أو ترتيب فإن كان كلاما كثيرا أو بيتا من الشعر فهو تضمين، و إن كان كلاما قليلا أو نصف بيت فهو إيداع. و على هذا الحد ليس فى القرآن من هذا النوع شىء إلا ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة: قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ. و مثل ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ. و قولهم: قالُوا أَ نُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ. و قوله سبحانه و تعالى حكاية عن قول اليهود و النصارى: وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ و مثله فى القرآن كثير، و كذلك ما أودع فى القرآن من اللغات الأعجمية مثل قوله تعالى: إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ و هى لغة للحطب بالحبشية- و- كالقسطاس- و هو الميزان باللغة الرومية- و الفردوس- و هو البستان- و القنطار- و هو اثنا عشر ألف أوقية. و من اللغة المنسية: الكف. و الساق. و الفراش و الوزير. و القاضى. و الوكيل. و الشراب. و الحلال.

و الحرام. و الحسد. و الصواب. و البركة. و الخطأ. و الوسوسة.

و الكساد. و النطيحة. و الحط. و القلم. و اللهو. و الكرسى. و القفا.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۴

و الركاب. و الغاشية. و المشرق. و المغرب. و اللطيف- و من اللغة الفارسية المحكية: الابريق. و السندس. و الياقوت. و الزنجبيل.

و المسك. و الكافور-.

و هذه الكلمات كلها حكاها الثعالبى فى فقه اللغة و هى عند المحققين مختلف فيها فمنهم من قال انها أعجمية عربت، و منهم من

أنكر ذلك و قال: ليس فى القرآن لفظ أعجمى لقوله تعالى: بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ و هذه الألفاظ إنما هى عربية أصلية وافقت اللغة الاعجمية و الرومية. و انما الذى ورد فى القرآن بعض آيات و كلمات من التوراة و غيرها من كلام اللّه عز و جل فأشبه التضمين و الايداع. من ذلك قوله تعالى: وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ. و منها قوله تعالى فيما حكاه من صفة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه و ذلك قوله تعالى:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ إلى قوله ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين .. و أما التضمين فى الشعر فلا يخلو إما أن يكون البيت المضمن مشهورا أو غير مشهور، فإن كان مشهورا لم يحتج الى تنبيه عليه أنه من كلام غيره لأن شهرته تغنى عن ذلك، و إن كان غير مشهور فلا بد من تنبيه على أنه ليس من شعره مثل قول الشاعر:

ما على طيب ليال سلفتمن ليالى الوصل لو عادت لنا نبه عليه فى البيت الذى قبله بقوله:

فأنا من فرط و جدى منشدبيت شعر قاله من قبلنا و كذلك إذا كان المضمن نصف بيت كقول ابن اللبانة الأندلسى فى بيت من قصيدة له:

حبيب إلى قلبى حبيب لقولهعسى وطن يدنو بهم و لعلّما

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۵

- و من التضمين المشهور قول ابن عنين يصف بغلة له:

مرّت على علف فنامت فوقهجوعا و قالت و المدامع تسجم

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لىمتأخر عنه و لا متقدّم - و مثله قول آخر:

إنّ برذونى المدقع باللصقات «۱» فى لوعة يكابدها

رأى بغال الامير عابرةبالتبن يوما فظلّ ينشدها

قفا قليلا بها علىّ فلاأقل من نظرة أزوّدها و قد وقع التضمين فى الشعر فى بيت كما ذكرناه و فى بيتين. و منه ما قيل فى الحيص بيص حين قتل جريّا و هو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة و علق فى حلقها قصة و أطلقها عند باب الوزير فأخذت القصة من حلق الكلبة و أدخلت على الوزير فاذا فيها مكتوب هذه الأبيات:

يا أهل بغداد إنّ الحيص بيص أتىبخزية ألبسته العار فى البلد

أبدى شجاعته بالليل مجترئاعلى جرى ضعيف البطش و الجلد فأنشدت أمّه من بعد ما احتسبت دم الأبيلق عند الواحد الصمد

أقول للنفس تأساء و تعزيةإحدى يدىّ أصابتنى و لم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبههذا أخى حين أدعوه و ذا ولدى و هذان البيتان البيت الأخير و الذى قبله لامرأة من العرب قتل أخوها ابنا لها فقالت ذلك تسلية لنفسها و تثبيتا لقلبها .. و أما أنصاف الأبيات و الكلمات فكثير جدا .. فمن ذلك قول ابن المعتز:

عوّذ لمّا بتّ ضيفا لهاقراصه منّى بياسين

---

(۱) هكذا فى الاصل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۶ فبتّ و الأرض فراشى و قدغنّت قفا نبك مصارينى - و منه قول الضحاك: وقفت على باب الأمير كأننىقفا نبك من ذكرى حبيب و منزل - و قد أودعت جماعة من الشعراء و جلّة من الكتّاب الفضلاء فى أشعارهم و رسائلهم و أنواع فصاحتهم التى هى من جملة وسائلهم آيات من كتاب اللّه تعالى و سموه اقتباسا من القرآن، و هذا مما قد نهى عنه جلة العلماء و أفاضل الفقهاء الأتقياء، و كرهوا أن يضمن كلام اللّه تعالى شيئا من ذلك، أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم اليه- ثم جئت على قدر يا موسى- و أشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام اللّه عن وجهه و خروج

له عن المعنى الذى أريد به ..

فمن التضمين المنهى عنه قول عبد اللّه بن طاهر لابن السّدّى حين ملك مصر و قد ورد رسوله و هديته إليه- لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا، بل أنتم بهديتكم تفرحون- و قال لرسوله- ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها، و لنخرجنّهم منها أذلّة و هم صاغرون.

- و أوحش من ذلك و أعظم منه فى الشعر قول الشاعر:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جناه و انتهى عما اقترف

لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف - و قول الآخر:

قمت ليل الصدود إلّا قليلا ثم رتلت ذكرهم ترتيلا

و جعلت السهاد كحلا لعينى و هجرت الرقاد هجرا جميلا

كلّما ضمنا محلّ عتاب أخذتنا العيون أخذا وبيلا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۷

ضمن هذه القصيدة آخر كل آية من سورة المزمل .. هذا و ما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة و البلاغة و هو مما ينبغى أن تعاف النفوس مساغه و هو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الاجلال لكلام اللّه عز و جل و التعظيم، و كيف يليق أن يجزع بين المحدث و القديم، و قد رخص بعض أهل العلم فى تضمين بعض آيات القرآن فى خطبهم و مواعظهم و أكثر ما استعمل ذلك الشيخ ابن نباتة و ابن الجوزى، و قد استعمله كثير من الناس.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۸

القسم الرابع عشر التذييل و الكلام عليه من وجوه

الأول: فى حده، و المعنى الذى أتى به من أجله. الثانى: فى اشتقاقه. الثالث: فى أقسامه.

أما الأول: فقال علماء علم البيان انه تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام، و تلك الجملة على قسمين: قسم لا يزيد على المعنى الاول و إنما يؤتى به للتأكيد و التحقيق. و قسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله. مثال ما جاء من الكتاب العزيز متضمنا للقسمين معا قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ففى الآية الكريمة تذييلان. أحدهما قوله تعالى- وعدا عليه حقا- فإن الكلام تم قبل ذلك ثم أتى سبحانه و تعالى بتلك الجملة ليحقق بها ما قبلها. و الآخر قوله سبحانه- و من أوفى بعهده من اللّه- فأخرج هذا مخرج المثل السائر ليحقق ما تقدم و هو تذييل ثان للتذييل الاول، و منه قوله عز و جل: وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا. و كقوله تعالى: ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ و مثله فى القرآن كثير. و مثال ما جاء منه من السنة قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- «من همّ بحسنة و لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۷۹

عشرا، و من همّ بسيئة و لم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة و لا يهلك على اللّه إلّا هالك»- فقوله و لا يهلك على اللّه الا هالك تذييل فى غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل .. و مثال ما جاء من ذلك فى الشعر قول النابغة:

و لست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث أىّ الرجال المهذّب فقوله- أى الرجال المهذب- من أحسن تذييل وقع فى شعر ..

و منه قول الحطيئة:

نزور فتى يعطى على المدح ماله و من يعط أثمان المحامد يحمد فإن عجز البيت كله تذييل أخرج مخرج المثل، لأن صدر البيت كله

قد استقل بالمعنى .. و أما الحروف فستأتى أمثلته فى الكلام على أقسامه إن شاء اللّه تعالى.

و أما الثانى: فإن التذييل مصدر ذيل الشيء يذيله تذييلا إذا جعل له ذيلا مأخوذ من ذيل المرأة و هو ما يفضل عن قامتها و يزيد عليها فيبقى مجرورا على الأرض. قال الشاعر:

كتب القتل علينا و على الغانيات جرّ الذيول- و فى الحديث أنه صلّى اللّه عليه و سلّم سئل عن ذيل المرأة فقال:

«يطهره ما بعده» فكأنه شبه هذه الجملة لزيادتها، و كون المعنى يتم بدونها بالزائد من ذيل المرأة الذى ينجر على الارض.

و أما الثالث: فالتذييل على ثلاثة أقسام، قد تقدم منها قسمان، و الثالث هو أن تزيد إحدى الكلمتين على الأخرى بحرف فقط، إما من

آخرها و إما من أولها. فمثال الزائد فى آخر الكلمة قولهم: فلان حام حامل لاعباء الأمور كاف كافل بمصالح الجمهور. و كقول أبى تمام:

يمدّون من أيد عواص عواصم‌تصول بأسياف قواض قواضب - و مثال الزائد فى أولها قوله تعالى: وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ و منه قول الشاعر:

و كم سبقت منه إلىّ عوارف‌ثنائى على تلك العوارف وارف «۱»

و كم غرر من بره و لطائف‌لشكرى على تلك اللطائف طائف

---

(۱) فى هامش الاصل .. أى ممتد يقال ورف الظل إذا امتد.

القسم الخامس عشر المغالطة. و الكلام عليه من وجوه

الاول: فى حقيقتها. الثانى: فى اشتقاقها. الثالث: فى أقسامها.

أما الاول: فقال علماء علم البيان أن المغالطة ذكر الشيء، و ما يتوهم مقابلا له، و ليس كذلك.

و أما الثانى: فاشتقاقه من الغلط، و هو من باب المفاعلة من واحد مثل: طارقت النعل، و عاقبت اللص لأن فاعله يذكر شيئا يوقع به غيره فى الغلط، و يوهم ما ليس هو المراد، و هو المشار اليه فى الحديث المروى نهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن الغلوطات و هى شرار المسائل.

و أما أقسامها، فأربعة، الأول أن يذكر الشيء و ما يتوهم مقابلا له، و يسمى مغالطة النقيض و هو مثل قول الشاعر:

و ما أشياء نشريها بمالو إن نفقت فأكسد ما تكون أوهم بنفقت النفاق السوقى، و هو رواج السلعة و مراده الموت يقال: نفقت الدابة، إذا ماتت. و قد ورد منه عن العرب كثير. من ذلك ما روى أن حيّين من العرب اقتتلا فقتل من كل حى قتلى و أسر

أسرى، فقال أحد الحيين لأسير عندهم أرسل إلى قومك رسولا يقول لهم ليكرموا أسيرنا، فإننا لك مكرمون، فقال: ائتونى برسول منكم أرسله اليهم فجاءوا برجل فسأله عن أشياء فقال ما أراك إلّا عاقلا- أبلغ قومى السلام، و قل لهم ليكرموا فلانا فإن قومه لى مكرمون، و قال له: و قل لهم يخلوا عن ناقتى الحمراء و يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معكم حيسا، و سلوا الحارث عن خبرى فلما بلغهم الرسالة حلوا وثاق ذلك الرجل، و قالوا: و اللّه ما له ناقة حمراء و لا جمل أصهب، فلما انصرف الرسول استدعوا الحارث و قصوا عليه ما قال فقال: أشار بقوله حلوا عن ناقتى الحمراء و اركبوا جملى الاصهب ارتحلوا عن هذه الارض الدهناء و اصعدوا الجبل، و أشار بقوله بآية ما أكلت معكم حيسا إلى أن أخلاطا من الناس اتفقوا على أن يغيروا على حيكم ليلا، فإن الحيس يجمع السمن و

التمر و الأقط فارتحلوا عن تلك الأرض و صعدوا الجبل فأغار عليهم أعداؤهم فلم يجدوهم فى المكان الذى كانوا فيه فسلموا من اغتيال عدوهم لهم. و قد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

حلوا عن الناقة الحمراء أرحلكمو البازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

إنّ الذئاب قد اخضرّت براثنهاو النّاس كلهم بكر اذا شبعوا و مثل هذا عن العرب كثير .. الثانى أن يذكر مع الشىء مثله، و يسمى مغالطة المثل كقول المتنبى:

يشلّهم بكلّ أقبّ نهدلفارسه على الخيل الخيار

و كلّ أصمّ يعسل جانباهعلى الكعبين منه دم ممار

يغادر كلّ ملتفت اليهو لبّته لثعلبه و جار - و الثعلب- الحيوان و طرف السنان- و الوجار- بيت ذلك الحيوان ..

و كقول الشاعر:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۸۳ برغم شبيب فارق السيف كفّهو كانا على العلّات يضطجعان

كأنّ رقاب الناس قالت لسيفهرفيقك قيسىّ و أنت يمانى - فالسيف- يقال له يمان إذا كان صارما- و شبيب- من قيس و كان بين قيس و يمن محاربة .. و منه أيضا:

و خلطتم بعض القرآن ببعضهفجعلتم الشعراء فى الأنعام - فالشعراء- جمع شاعر و اسم سورة- و الأنعام- الابل و البقر و الغنم و اسم سورة أيضا، و سبب حسن هذا الفن ما يحصل للنفس من الالتذاذ بفهم ما فيه غموض و الأول أحسن لزيادة غموضه .. الثالث من المغالطات الألغاز. و اللغز الطريق المنحرف و سمى به هذا لانحرافه عن نمط الكلام، و يسمى أيضا أحجيّة لأن الحجى هو العقل و هذا النمط يقوى العقل عند التمرن و الارتياض بالاكثار من حله، و إعمال الفكر فيه، و يسمى أيضا المعمّى لما فيه من الخفاء. و من النوع فى أشعار العرب و المخضرمين و الاسلاميين و هو فى أشعار المتأخرين منهم أكثر .. و منه فى القرآن العزيز ما جاء فى أوائل السور من الحروف المفردة و المركبة التى دقّ معناها و بعد غور مغزاها و حارت العقول فى معانيها. و منها قوله تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام حين سئل لما كسّر الأصنام و قيل له:

أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا قابلهم بهذه المغالطة ليقيم عليهم الحجة و يوضح لهم المحجة .. و من ذلك قوله تعالى حكاية عن النمرود لما جادل إبراهيم عليه الصلاة و السلام حين قال إبراهيم: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ حكى أنه أتى باثنين فقتل أحدهما و أرسل الآخر، و كان ذلك من النمرود مغالطة لابراهيم عليه الصلاة و السلام لأن إبراهيم عليه السلام أراد إنّ اللّه

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۸۴

يحيى الميت و يميت الحى بغير آلة لا يحيى و يميت كذلك الّا هو .. و منه قول أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه لما سئل عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حين خرجا من مكة أعزها اللّه تعالى فقال: إنه رجل يهدينى الطريق .. و منه قول إبراهيم عليه الصلاة و السلام لما سأله الجبار عن زوجته سارة قال هى أختى أراد أخوة الدين، و مثله كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۸۵

القسم السادس عشر الاشارة. و تسمى الوحى أيضا. و الكلام عليها من وجوه

الاول: فى حدها. الثانى: فى أقسامها. الثالث: فى الفرق بينها و بين الكناية.

أما الاول: فقد قال علماء البيان الاشارة أن تطلق لفظا جليا تريد به معنى خفيا، و ذلك من ملح الكلام، و جواهر النثر و النظام. و منه قوله تعالى: فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍ أشار بذلك إلى بر الوالدين و ترك التعرض اليهما بيسير من الإيلام فضلا عن كثيره. و منه قوله تعالى:

فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ إشارة إلى عفافهن. و منه قوله تعالى:

وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ اشار إلى نساء كرام. و من هذا النوع فلان طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إشارة بقوله- طويل النجاد- إلى تمام خلقته و بقوله- رفيع العماد- إلى أن بيته مرتفع يعرفه الاضياف و الطرّاق و بقوله- كثير الرماد- إلى كثرة قراه الاضياف .. و يقولون أيضا فلان جبان الكلب مهزول الفصيل أشاروا بقولهم- جبان الكلب- الى أنه لكثرة طراقه أنست كلابه الطراق و صارت تلوى رقابها و تحرك أذنابها فرحا بهم و أشاروا بقولهم- مهزول الفصيل- إلى كثرة سقيه الألبان و مداومة حلب مواشيه، فتقل بذلك ألبانها فيهزل الفصيل بسبب ذلك. الاشارات فى القرآن كثيرة خصوصا على ما يراه أرباب الحقائق، و بعض أرباب هذه الصناعة

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۸۶

يسمى هذا النوع الايماء.

- و منه قول الشاعر:

بعيدة مهوى القرط إما لنهشل أبوها و إما عبد شمس و هاشم أشار بقوله- بعيدة مهوى القرط- إلى طول عنقها .. و منه قول امرئ القيس:

كأنّ المدام و صوب الغمامو ريح الخزامى و نشر العطر

يعلّ به برد أنيابهاإذا غرّد الطائر المستجر أشار إلى طيب رائحة فيها وقت السحر، و هو وقت تغير الأفواه.

و أما الثانى: فأقسامها أربعة. الأول ما قدمناه. و الثانى أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكبير. و منه قوله تعالى: فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ جمع ما تميل إليه النفوس من الشهوات و تلذه الأعين من المرئيات. و منه قوله تعالى: فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى. و الثالث من أنواع الاشارة عمل أرباب هذه الصناعة المعميات و الالغاز و قد تقدم بيانهما. الرابع من أقسامها التورية، و هى أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها و يهمل الآخر، و مراده ما أهمله لا ما استعمله، و لهذا مواضع نبينها و أملتها فيه إن شاء اللّه تعالى.

و أما الثالث: فالفرق بينها و بين الكناية أن الاشارة فى الحسن و الكناية فى القبيح، و سيأتى بيانه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۸۷

القسم السابع عشر فى الكناية. و الكلام عليها من وجوه

الاول: فى حدها. الثانى: فى المعنى الذى أتى بها من أجله.

الثالث: فى أقسامها.

أما الاول: فقد قال علماء علم البيان إن الكناية هى اطلاق لفظ حسن يشير إلى معنى قبيح كقوله تعالى: وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها أراد بالارض الثانية نساءهم اللاتى كن محل وطئهم وجهة استمتاعهم .. و منه قوله تعالى: وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ يريدون أنه يتغوّط فكنوا عن التغوّط بأكل الطعام لأنه سببه .. و منه قوله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَ كنى بالرفث عن الحديث فى الجماع و باللباس عن الوطء نفسه .. و منه قوله تعالى:

وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ أى هيأناها للولادة بعد الكبر. و منه قوله تعالى:

وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ أى حاضت .. قال بعض المتأخرين من الحذاق فى هذا الفن الكناية فى اللغة الستر، و فى الصناعة أن تقصد مجازا بعيدا مناسبا للحقيقة مع ضمنه أى ارادتها و اذا استعمل اللفظ فى ذلك كان ضربا من الاستعارة و تقع الكناية فى المفرد و المؤلف و سيأتى بيانه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۸۸

و أما الثانى: فالمعنى الذى أتى بها من أجله هو الإجمال فى الخطاب و الدفع بالتى هى أحسن و التجنب للهجر من القول إذا هو أرسخ فى الالفة و أمكن. قال اللّه تعالى: ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.

و أما الثالث: فقد اختلفت عبارات أهل هذه الصناعة فيها و آثرها ما ذكره ابن الاثير فى جامعه قال: إن الكناية على قسمين: قسم يحسن استعماله. و قسم لا يحسن استعماله. فأما الضرب الأول و هو الذى يحسن استعماله فينقسم إلى أربعة أقسام: الأول: التمثيل و هو التشبيه على سبيل الكناية، و ذلك أن تراد الاشارة إلى معنى فتوضع ألفاظ على معنى آخر، و تكون تلك لألفاظ، و ذلك المعنى مثالا للمعنى الذى قصدت الاشارة إليه، و العبارة عنه كقولنا- فلان نقى الثوب- أى منزّه عن العيوب، و للكلام بهذا فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه الخاص به، و ذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه، لأنه إذا صور فى نفسه مثال ما خوطب به كان ذلك أسرع إلى الرغبة فيه أو الرغبة عنه. فمن بديع التمثيل قوله تعالى: أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فانه مثل الاغتياب يأكل الانسان لحم انسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم لأخ، و لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعله ميتا ثم جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، فهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له مناسبة مطابقة للمعنى الذى وردت لأجله.

فأما تمثيل الاغتياب بأكل لحم انسان آخر مثله، فشديد المناسبة جدا، و ذلك لأن الاغتياب إنما هو ذكر مثالب الناس و تمزيق أعراضهم، و تمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه لأن أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة، و أما قوله لحم أخيه، فلما فى الاغتياب من الكراهة، لأن أرباب العقل و الشرع قد أجمعوا على استكراهه و أمروا بتركه و البعد

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۸۹

عنه. و لما كان كذلك كان بمنزلة لحم الأخ فى كراهته، و من المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر مثله، الّا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه، و هذا القول مبالغة فى الاستكراه لا أمد فوقها.

و أما قوله- ميتا- فلأجل ان المغتاب لا يشعر بغيبته و لا يحس بها .. و أما جعله ما هو فى الغاية من الكراهة. موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة و الشهوة لها مع العلم بأنها من أذم الحلال، و مكروه الافعال عند اللّه عز و جل و الناس.

و من هذا القسم قوله تعالى: وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فمثل البخل بأحسن تمثيل لأن البخيل لا يمد يده بالعطية كالمغلول الذى لا يستطيع أن يمد يده و إنما قال- و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك- و لم يقل و لا تجعل يدك مغلولة من غير ذكر العنق لأنه قد قال تعالى- و لا تبسطها كل البسط- فناب ذكر العنق عن قوله كل الغل، لأن غل اليدين إلى العنق هى اقصى الغايات التى جرت العادة بغل اليد إليها .. و من امثال العرب- اياك و عقيلة الملح- و ذلك تمثيل للمرأة الحسناء فى المنبت السوء لأن عقيلة الملح هى الذرة ..

و من التمثيل قول ابن الدّمينة:

أبينى أ فى يمنى يديك تركتنىفأفرح أم صيرتنى فى شمالكى أى ابينى أ منزلتى كريمة عندك أم هينة عليك فذكر اليمين و جعلها مثالا لإكرام المنزلة، و ذكر الشمال و جعلها مثالا لهوان المنزلة، لأن اليمين اشرف مكانة من الشمال و أكرم محلا، و فى القرآن العظيم ما يدل على ذلك و هو قوله تعالى: وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ إلى قوله: وَ ماءٍ مَسْكُوبٍ فلما جاء إلى ذكر الشمال قال تعالى: وَ أَصْحابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمالِ فِى سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۰

وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ فاعرف ذلك.

الثانى: الارداف و هو اسم سماه قدامة بن جعفر الكاتب قال: اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا الأرداف فى التمثيل، و فى الفرق بينهما اشكال و دقة فأما التمثيل فقد سبق الاعلام به، و هو أن يراد الإشارة إلى معنى فتوضع الالفاظ على معنى آخر فتكون

تلك الالفاظ، و ذلك المعنى مثالا للمعنى الذى قصدت الإشارة اليه، و العبارة عنه كقولنا- فلان نقى الثوب- أى منزه عن العيوب. و أما الأرداف فهو أن يراد الاشارة إلى معنى فيترك اللفظ الدال عليه، و يؤتى بما هو دليل عليه و رادف له كقولنا- فلان طويل النجاد- و المراد طويل القامة إلّا أنه لم يتلفظه بطول القامة الذى هو الغرض، و لكن ذكر ما هو دليل على طول القامة، و ليس نقاء الثوب بدليل على النزاهة عن العيوب و إنما هو تمثيل لها فاعرف ذلك.

و اعلم أن الأرداف يتفرع إلى خمسة فروع .. الأول: فعل البداهة كقوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أى انه سفيه الرأى بمعنى أنه لم يتوقف فى كلامه وقت ما سمعه، و لم يفعل كما تفعل المراجيح العقول المتثبتون فى الاشياء، فإن من سفاهتهم إذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبرا أن لا يستعملوا فيه الروية و تأنوا فى تدبره إلى أن يصح لهم صدقه أو كذبه. أ لا ترى أن معنى قوله- كذّب بالحق لما جاءه- أى انه ضعيف العقل عازب الرأى فعدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه و رادف له و ذلك آكد و أبلغ.

و من ذلك قوله تعالى: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ و مثله فى القرآن كثير.

الثانى: من الأرداف باب المثل و هو ان العرب تأتى بمثل فى هذا توكيدا للكلام و تشييدا من أمره يقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبح-

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۱

مثلى لا يفعل هذا- أى أنا لا أفعله فنفى ذلك عن مثله و هو يريد نفيه عن نفسه قصدا للمبالغة فيسلك به طرق الكناية لأنه إذا نفاه عن مثله و مشابهه فقد نفاه عنه لا محالة. كذلك قولهم أيضا- مثلك إذا سئل أعطى- أى أنت كذلك. و هو كثير فى الشعر القديم و المولد و فى الكلام المنثور .. و سبب توكيد هذه المواضع بمثل انه يراد أن يجعل نفسه من جماعة هذه أوصافهم تثبيتا للامر و توكيدا له و لو كان فيه وحده لقلق منه موضعه و لم ترتب فيه قدمه. مثل ذلك قولهم لانسان- أنت من القوم الكرام- أى لك فى هذا الفعل سابقة و أنت حقيق به و لست دخيلا فيه ..

و من هذا الباب فى القرآن كثير كقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و هذا كقولك- مثلى لا يفعل كذا- فينفون البخل عن مثله و هم يريدون نفيه عن ذلك قصدا للمبالغة لأنهم إذا نفوه عن من يسد مسدّه و هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه. و نظير ذلك قولك للعربى- العرب لا تخفر الذمم- و هذا أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذمم، و ليس فرق بين قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و بين قوله ليس كاللّه شىء إلا من الجهة التى نبهنا عليها فاعرفها ..

الثالث: من الأرداف ما يأتى فى جواب الشرط، و ذلك من ألطف الكنايات و احسنها. فمن ذلك قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ كناية عن بطلان قولهم و كذبهم فيما ادعوه و ذلك رادف له. و نظيره قولك:

كنت تنكر حضور زيد فها هو أى فأنت كاذب، و هذا من دقائق الكناية ..

الرابع: من الأرداف الاستثناء من غير موجب و ذلك من غرائب الكناية كقوله تعالى: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ الآية.-

و الضريع- نبت ذو شوك تسميه قريش الشبرق فى حال خضرته و طراوته فإذا يبس سمته الضريع، و الإبل ترعاه طريا و لا تقربه يابسا. و المعنى ليس

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۲

لهم طعام أصلا لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس، و هذا مثل قولك- ليس لفلان ظل الّا الشمس- تريد بذلك نفى الظل عنه على التوكيد، و ذلك رادف لانتفاء الظل عنه كما ذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام .. و على نحو من هذا جاء قول بعضهم:

و تفرّدوا بالمكرمات فلم يكن‌لسواهم منها سوى الحرمان فالمراد نفى المكرمات عن سواهم لأنهم إذا كان لهم الحرمان من المكرمات، فما لهم منها شيء ..

الخامس: من الارداف و ليس مما تقدم بشيء، و ذلك نحو قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ و المراد به اذا خوطب بمثل هذا غير النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنك أخطأت و بئس ما فعلت فقوله- لم أذنت لهم- بيان لما كنى عنه بالعفو أى مالك أذنت لهم و هلا- استأنيت فذكر العفو دليل، و رادف له و ان لم يذكر. و كذلك قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ قيل لهم ان استندتم إلى العجز فاتركوا العناد فوضع قوله- فاتقوا النار- موضعه لأن اتقاء النار لصيقة و ضميمة من حيث أنه من نتائجه و روادفه، لأن من اتقى النار ترك المعاندة. و نظيره أن يقول الملك لحشمه- إن أردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى- يريد فأطيعونى و أطيعوا أمرى و احذروا ما هو نتيجة حذر السخط و روادفه ..

و من هذا الباب قوله تعالى: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا أ لا ترى إلى لطافة هذه الكناية فإنها أفادت تكذيب دعواهم و دفع ما انتحلوه و فائدتها هاهنا أنه روعى فى تكذيبهم أدب حسن لم يصرح بلفظه، فلم يقل كذبتم لأن فيه نوع استقباح فى الخطاب فوضع قوله- قل لم تؤمنوا- الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه لأن ذلك رادف له .. و مما يجرى هذا المجرى قوله تعالى: قالَ الْمَلَأُ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۳

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ أثبت العلم بارساله و انه من الأمور الظاهرة المسلمة التى لا يدخلها ريب، و لا يعتريها شك، لكن عدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه، و رادف له و هو الايمان به أعنى صالحا إنما صح عنهم بعد ثبوته عندهم، و العلم بإرساله إليهم فالإيمان به أدنى دليل على العلم بأنه نبى مرسل، و هذا من دقائق الأرداف و لطائفه. و أمثال ذلك كثيرة كقول الاعرابية فى حديث أم زرع تصف زوجها له إبل قليلات المسارح كثيرات المبارك، إذا سمعن صوت المزاهر أيقنّ أنهنّ هوالك .. فإن الظاهر من هذا القول أن إبله يبركن عند بيته بفنائه، و لا- تبرح ليقرب عليه نحرها للأضياف فاذا هزت المزاهر للغناء نحرها لضيوفه، فقد اعتادت هذه الحالة و أيقنتها و غرض الأعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها بالجود و الكرم، و لكنها لم تذكر ذلك بلفظه الدال عليه، و إنما أتت بمعان دلت على ذلك من غير تصريح بمرادها .. و كذلك قال بعضهم:

وددت و ما تغنى الودادة أننى‌بما فى ضمير الحاجريّة عالم

فإن كان خيرا سرّنى و علمته‌و إن كان شرّا لم تلمنى اللوائم أى أهجرها فأضرب عن ذلك جانبا، و لم يذكر ذلك اللفظ المختص به، لكنه ذكر ما هو دليل عليه و رادف له .. الثالث من الكناية و هو المجاورة، و ذلك أن يريد المؤلف ذكر شيء فيترك ذكره جانبا إلى ما جاوره فيقتصر عليه اكتفاء بدلالته على المعنى المقصود كقول عنترة:

فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه‌ليس الكريم على القنا بمحرّم أراد- بالثياب- هنا نفسه لأنه وصف المشكوك بالكرم، و لا توصف

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۴

الثياب به فثبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب، و فى ذلك من الحسن ما لا ينكره العارف بهذه الصناعة و قال أيضا:

بزجاجة صفراء ذات أشعة‌قرنت بأزهر فى الشمال مفدّم - الصفراء- هاهنا هى الخمرة، و الذكر للزجاجة حيث هى مجاورة لها و مشتملة عليها. و ذهب بعض المفسرين فى قوله تعالى: وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ انه أراد بالثياب القلب أو الجسد أى و قلبك فطهر أو جسدك .. و منه قول امرئ القيس:

فإن تك قد ساءتك منى خليقةفسلى ثيابى من ثيابك تنسلى الرابع: من الكناية ما ليس بتمثيل و لا ارداف و لا مجاورة كقوله تعالى: أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَ هُوَ فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ فكنى بأنهم يتزينون فى الحلية أى الزينة و النعمة و هو اذا احتاج إلى مجاراة الخصوم

كان- غير مبين- أى ليس عنده بيان و لا برهان يحاج به من خاصمه، و ذلك لضعف عقول النساء و نقصانهن عن فطرة الرجال ..

و من هذا الباب قال أبى نواس:

تقول التى من بيتها خفّ محملىعزيز علينا أن نراك تسير أ لا ترى ما أحسن هذه الكناية فإنه أضرب عن ذكر امرأته بقوله- من بيتها خف مركبى- فإنه من ألطف الكناية مذهبا .. و كذلك قول نصيب:

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهلهو لو سكتوا أثنت عليك الحقائب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۵

و قال الجاحظ نحن قوم نسحر بالبيان و نموه بالقول .. الثانى من التقسيم الأول من الكناية و هو الذى يقبح ذكره، و لا يحسن استعماله كقول أبى الطيب المتنبى:

إنى على شغفى بما فى خمرهالأعفّ عمّا فى سراويلاتها فإنّ هذه كناية عن النزاهة و العفة و علم اللّه أن الفجور لا حسن منها .. و قد ذكر الشريف الرضى هذا المعنى فأبرزه فى أجمل صورة فقال:

أحنّ إلى ما يضمن الخمر و الحلىو أصدف عما فى ضمان المآزر أ لا ترى إلى هذه الكناية ما الطفها و المعنيان سواء. و بهذا يعرف فضل الشاعرين أحدهما على الآخر، و ذلك إذا أخذا معنى واحدا فصاغه أحدهما أحسن صياغة تميزه عن صياغة الآخر.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۶

القسم الثامن عشر التعريض

و قد اختلف فيه مذاهب بعض علماء هذا الشأن، فذهب بعضهم إلى أن الكناية و التعريض بمعنى واحد و بعضهم فرق بينهما .. قال ابن الاثير فى جامعه فى الكناية و التعريض إن لهذا النوع من الكلام موقعا شريفا و محلا كريما و هو مقصور على الميل مع المعنى و ترك اللفظ جانبا، و ذلك نوع من علم البيان لطيف، و قد تكلم جماعة من المؤلفين فى هذا الفن و خلطوا الكناية بالتعريض و لم يفرقوا بينهما، بل أوردوا لهما من النظم و النثر و أدخلوا أحد القسمين بالآخر و ذكروا للكناية أمثلة من التعريض، و للتعريض أمثلة من الكناية فمنهم أبو محمد بن سنان الخفاجى و أبو هلال العسكرى و الغانمى، فأما ابن سنان فإنه ذكر فى كتابه قول امرئ القيس:

و صرنا الى الحسنى و رقّ كلامناو رضت فذلت صعبة أىّ إذلال و هذا مثال ضربه للكناية عن المباضعة، و هو مثال للتعريض.

و سنورد لك أيها الناظر فى كتابنا هذا فرقا بين الكناية و التعريض، و نميز أحدهما عن الآخر فنقول و باللّه التوفيق: إن الكناية هى أن يذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له كما كنى اللّه عز و جل عن الجماع بالمس فإن حقيقة المس هى الملامسة يقال مسست الشىء اذا لمسته و لما كان

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۷

الجماع ملامسة بالابدان و زيادة أمر آخر أطلق عليه اسم المس مجازا و ضد الكناية التصريح. و أما التعريض فهو أن يذكر شيئا يدل به على شىء لم يذكره و أصله التلويح عن عرض الشىء و هو جانبه و بيت امرئ القيس ضربه مثالا للكناية، و هو عين التعريض فان غرضه من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لما استقبح ذكره لم يذكره، بل ذكر كلاما آخر و دل به عليه، لأن المصير إلى الحسنى ورقة الكلام يفهم منها ما أراده امرؤ القيس من المعنى و ذلك مما لا خفاء به، و حيث تبين الفرق نشرع فى أقسام كل واحد من الكناية و التعريض فنقول .. إن الكناية هى على قسمين. أحدهما ما يحسن استعماله و هو الذى نحن بصدد ذكره هاهنا و الآخر ما لا يحسن استعماله و قد تقدم بيانهما. و أما التعريض فقد ميزه اللّه تعالى فى خطبة النساء فقال جل من قائل: وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ قال المفسرون التعريض بالخطبة أن يقول لها و هى فى عدّة الوفاة انك لجميلة و أنك لحسنة، و إنى إليك لشيق، و إن قدر اللّه شيئا فهو يكون، و ما أشبه ذلك. و مما هو من التعريض قوله حكاية عن عبدة الأصنام حين كسرها إبراهيم عليه السلام: أَ أَنْتَ

فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ يعنى أن كبير الاصنام غضب ان تعبد هذه الاصنام الصغار معه فكسرها، فغرض إبراهيم صلوات اللّه عليه و سلامه من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم، لأنه قال- فسألوهم إن كانوا ينطقون- هذا على سبيل الاستهزاء بهم. و هذا من رموز الكلام و القصد فيه أن إبراهيم عليه السلام لم يكن القصد الصادر عنه إلى الصنم إنما قصد تقريره لنفسه و اثباته لها على أنه أسلوب من الفصاحة آخر يقتضى أن يبلغ فيه غرضه من إلزام الحجة عليهم و تبكيتهم و الاستهزاء بهم، و من بديع التعريض قوله تعالى: فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا إلى قوله: بَلْ نَظُنُّكُمْ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۸

كاذِبِينَ فقوله- ما نراك إلا بشرا مثلنا- تعريض أنهم أحق بالنبوة منه و أن اللّه لو أراد أن يجعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هب أنك واحد من الملائكة و موازن لهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم بها، أ لا ترى إلى قوله تعالى حكاية عنهم- و ما نرى لكم علينا من فضل-. و من مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه قال: حكت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبى صلى اللّه عليه و سلم خرج ذات يوم و هو محتضن أحدا بنى ابنته و هو يقول: «و اللّه إنّكم، لتجبنون و تبخلون و تجهلون و إنّكم لمن ريحان اللّه و إنّ آخر وطئة وطئها اللّه بوج».

اعلم أن- وج- واد بالطائف، و المراد غزاة حنين، واد قبل وج، لأنها آخر غزاة وقع بها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على المشركين، و أما غزوتا الطائف و تبوك اللتان كانتا بعد حنين، فلم يكن فيهما وطأة اى قتال، و إنما كانتا مجرد مخروج إلى الغزاة حسب من غير ملاقاة العدو أعنى، و لا قتال لهم، و وجه عطف هذا الكلام و هو قوله- و ان آخر وطأة وطئها اللّه بوج- على ما قبله من الحديث و هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لأن غزوة حنين كانت فى شوال سنة ثمان، و وفاته كانت فى ربيع الاول من سنة احدى عشرة و بينهما سنتان و نصف، و كأنه قال- و إنكم من ريحان اللّه- أى من رزق اللّه، و أنا مفارقكم عن قريب إلا انه صانع عن قوله و أنا مفارقكم عن قريب بقوله- و ان آخر وطأة وطئها اللّه بوج- فكان ذلك تعريضا لما أراده و قصده من قرب وفاته و مفارقته إياهم يعنى أولاده، و هذا من أغرب التعريضات و أعجبها. و من هذا الباب قول الشميدر الحارثى:

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعد مادفنتم بصحراء الغمير القوافيا فإن ليس قصده الشعر، بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضع من

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۱۹۹

الغلبة لهم و القوة عليهم إلا انه لم يذكر ذلك، بل ذكر الشعر و دفنه تعريضا أى لا تفخرون بعد ذلك الواقعة التى جرت لنا و لكم بذلك المكان. و من أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن سعد إلى المأمون فى حق بعض أصحابه: أما بعد فقد استشفع فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين و فى ابتدائه بذلك بعد عن طاعته، فوقع المأمون فى كتابه قد عرفنا نصيحتك له و تعريضك لنفسك و أجبناك اليهما.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۰

القسم التاسع عشر الاستطراد

و هو التعريض بعيب انسان بذكر عيب غيره لمتعلق أو نفى عيب عن نفسه بذكر عيب غيره، مثل قوله تعالى: وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ. و مثل قوله تعالى:

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ. و مثل قوله تعالى: أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ و مثل هذا فى القرآن كثير .. و منه فى الشعر قول السموأل بن عاديا:

إنا لقوم لا نرى القتل سبّةإذا ما رأته عامر و سلول

يقرّب حبّ الموت آجالنا لناو تكرهه آجالهم فتطول - و قال آخر:

و لا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام و أنّا لا نخطّ على الرّمل يريد أنا لسنا مجوس فإن المجوس كانت تزعم ان الرجل منهم إذا تزوج أخته، أو ابنته فجاءت منه بولد إن ذلك الولد إذا خط بيده على داء النملة ابرأه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۱

القسم العشرون فى التورية

و هو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردها بعينها و يعلقها بمعنى آخر و هو فى القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى: حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ الآية، الجلالة الأولى مضاف إليها، و الثانية مبتدأ بها. و قوله تعالى: وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا. و مثله قوله تعالى: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۲

القسم الحادى و العشرون الاحتجاج النظرى

و بعض أهل هذا الشأن يسميه المذهب الكلام .. و هو أن يذكر التكلم معنى يستدل عليه بضرب من المعقول. و منه قوله تعالى: أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ. و قوله عز و جل: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا. و قوله تعالى: قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ .. و منه قول الشاعر:

جرى القضاء بما فيه فلا تلمو لا ملام على ما خطّ بالقلم - و قيل إنّ الاحتجاج أن يخرج الكلام على طريقة الجدل كقول النابغة:

ملوك و اخوان إذا ما أتيتهمأحكّم فى أموالهم و أقرّب

كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهمفلم ترهم فى شكر ذلك أذنبوا يقول لا تلمنى فى مدح آل جفنة، و قد أحسنوا لى، كما أحسنت إلى قوم فشكروك فلم تر ذلك ذنبا.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۳

القسم الثانى و العشرون حسن المطالع و المبادى. و يقال فيه حسن الافتتاح

قال علماء علم البيان .. و من ضروب هذا العلم حسن المطالع و الفواتح، و ذلك دليل على جودة البيان و بلوغ المعانى إلى الاذهان فإنه أول شىء يدخل الأذن، و أول معنى يصل إلى القلب، و أول ميدان يجول فيه تدبر العقل، و هو فى القرآن العظيم على قسمين: جلى و خفى. أما الجلى فكقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ. و كقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ. و قوله: تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و أكثر مطالع سور القرآن على هذا النمط. و أما الخفى فمثل قوله تعالى: الم ذلِكَ الْكِتابُ. و قوله: الم اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. و قوله: المص. و قوله: حم. و قوله: ق وَ الْقُرْآنِ. و قوله: ن وَ الْقَلَمِ و ما يجرى مجرى ذلك من السور التى افتتحت بالحروف المفردة و المركبة، و سيأتى الكلام عليها فى فصل مفرد.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۴

القسم الثالث و العشرون حسن المقطع

و هو عند أرباب هذا الشأن أن يختم المتكلم كلامه بكلام حسن السبك بديع المعنى، فانه آخر ما يبقى فى الذهن، و لأنه ربما حفظ

من دون سائر الكلام فيتعين أن يجتهد فى رشاقته و حلاوته و جزالته و جميع خواتم سور القرآن فى غاية الحسن و نهاية الكمال لأنها بين: أدعية.

و وصايا. و فرائض. و قضايا. و تحميد. و تهليل إلى غير ذلك من الخواتم التى لا يبقى للنفوس بعدها تطلع، و لا إلى ما يعقبها تشوف- كالدعاء- التى ختمت به سورة البقرة- و الوصايا- التى ختمت بها سورة آل عمران- و الفرائض- التى ختمت بها سورة النساء- و التبجيل، و التعظيم- اللذين ختمت بهما سورة المائدة- و الوعد. و الوعيد- اللذين ختمت بهما سورة الأنعام. و التحريض- على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به سورة الاعراف. و الحض على الجهاد. وصلة الرحم- التى ختمت بهما سورة الأنفال. و وصف رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و مدحه و تسليته و وصيته بالتهليل التى ختمت به سورة براءة.

و تسليته التى ختمت بها سورة يونس، و مثلها خاتمة سورة هود. و وصف القرآن و مدحه اللذين ختمت بهما سورة يوسف. و الرد على من كذب الرسول صلى اللّه عليه و سلم الذى ختمت به سورة الرعد. و مدح القرآن و ذكر فائدته و العلة فى إنزاله التى ختمت به سورة إبراهيم. و وصية

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۵

الرسول التى ختمت بها سورة الحجر. و تسليته صلى اللّه عليه و سلم و طمأنينته و وعد اللّه سبحانه الذى ختمت به سورة النحل. و التحميد الذى ختمت به سورة سبحان. و تحضيض الرسول صلى اللّه عليه و سلم على الإبلاغ و الإقرار بالبشرية و الأمر بالتوحيد الذى ختمت به سورة الكهف. و ما ذكر فى نصف القرآن مثل لمن نظر فى بقيته الى غير ذلك من فواصل القرآن.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۶

القسم الرابع و العشرون فى براعة الاستهلال

و هو أن يذكر الانسان فى أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاما دالا على الغرض الذى يقصده ليكون ابتداء كلامه دالا على انتهائه، كما قيل لكاتب أكتب إلى الامير و عرفه بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الانسان فكتب. أما بعد حمد اللّه الذى خلق الأنام فى بطون الانعام.

و منه قوله تعالى: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. و منه قوله تعالى: بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. و منه فى القرآن كثير .. و شرطه أن لا يبتدأ بشىء يتطير منه كقوله الاخطل:

اذا متّ مات الجود و انقطع النّدىو لم يبق إلّا من قليل مصرّد - و ان يجتنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير:

و تقول بوزع قد دنيت لغيرناهلّا هويت لغيرنا يا بوزع «۱» - بل يبتدئ بالمديح مثل قول أبزون العمانى:

---

(۱) هكذا فى الاصل و المحفوظ:

و تقول بوزع قد دببت على العصاهلا هزئت بغيرنا يا بوزع

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۷ على منبر العلياء جدك يخطبو للبلدة العذراء سيفك يخطب و فى التهانى بمثل قول المتنبى:

المجد عوفى إذ عوفيت و الكرمو زال عنك إلى اعدائك الالم - و قول الآخر:

أبشر فقد جاء ما تريدو باد أعداءك المبيد - و فى التشبيب كمثل قوله:

زمّوا الجمال فقل للعاذل الجانىلا عاصم اليوم من مدرار أجفانى - و فى المراثى بمثل قول أوس:

أيتها النفس اجملى جزعاإنّ الّذى تحذرين قد وقعا قال المصنف: عفا اللّه عنه هذا النوع، قد قدمناه فى فصل حسن المطلع، لكن

الزنجانى رحمه اللّه أفرد له بابا فأفردناه على حكم ما أفرده، و كان فى فصل حسن المطلع زيادات يحتاج إليها فذكرناها هاهنا، و هذه الزيادة التى اقتضت افراده.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۸

القسم الخامس و العشرون الانتقال من فن إلى فن. و يسمى التخلص. و الكلام عليه من وجوه

الاول: فى حقيقته. الثانى: فى شرطه. الثالث: فى الفرق بينه و بين الاقتضاب. الرابع: فى المعنى الذى جىء به من أجله.

الخامس: فى ذكر من هو أحق باستعماله.

أما الاول: فقال علماء علم البيان التخلص هو أن يأخذ المؤلف فى معنى من المعانى فبينما هو فيه اذ أخذ فى معنى آخر غيره، و جعل الأول سببا اليه فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه و يستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا.

و أما الثانى: فمن شرطه أن يكون انتقاله من فن إلى فن ببديع و حسن رصف و وجازة لفظ و رشاقة معنى ليكون الذى انتقل إليه أقرب إلى القلب و أعلق بالنفس من المعنى الذى انتقل عنه.

و أما الثالث: فالفرق بينه و بين الاقتضاب أن التخلص لا يكون إلا لعلاقة بينه و بين ما تخلص منه. و أما الاقتضاب فليس شرطه أن يكون بينه و بين ما قبله علاقة، بل يكون كلاما مستأنفا منقطعا عن الاول.

و أما الرابع: فالمعنى الذى جىء به من أجله شيئان: أحدهما معرفة حذق المتكلم، و قوة ملكته فى التلعب بالكلام، و تصرفه فيه

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۰۹

و طول باعه و اتساع قدرته فى الفصاحة و البلاغة. و الثانى التفنن بحصول ملاذ كثيرة و تكون لذته بأمور اقتضاها اعمال الفكرة فيما يتخلص به من بديع المعنى و وشيق اللفظ و حسن النسق.

و أما الخامس: فالأحق باستعماله الشاعر، فإن الشاعر تحصره القوافى و الأوزان، فيضيق عليه النطاق إذا اقتصر على معنى واحد فتدعو حاجته إلى الخروج من فن إلى فن و من معنى إلى معنى ليتسع نطاقه و يتحقق ارفاقه بخلاف الناثر فانه مطلق العنان ممدود الباع منبسط البنان يمضى حيث شاء و يتفنن فى الانشاء ..

و قد ورد فى القرآن العظيم من هذا النوع آيات كثيرة. منها قوله تعالى: قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم الى ذكر صفات اللّه عز و جل قال- إن أولئك أعداء لى الّا اللّه- فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل، و هو خير من غيره من الكلام، و مثله فى القرآن كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۰

القسم السادس و العشرون فى الاقتضاب. و الكلام عليه من وجوه

الاول: فى حقيقته. الثانى: فى المعنى الذى أتى به من أجله.

الثالث: فى أقسامه. الرابع: فى أدواته. الخامس: فى الفرق بينه و بين التخلص. السادس: فى ذكر اختلاف الأئمة فى الأبلغ منهما.

أما الأول: فقال علماء علم البيان ان الاقتضاب ضد التخلص، و ذلك أن يقطع الناظم كلامه الذى هو فيه، و يستأنف كلاما آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك، و لا يكون للثانى علاقة بالأول، و لا تلفيق بينه و بينه، و هو مذهب القدماء، و لذلك قال أبو العلاء محمد بن غانم الغانمى: إن كتاب اللّه العزيز خال من الاقتضاب و التخلص.

و هذا القول فاسد لأن حقيقة التخلص إنما هى الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تناسب بين الكلام الذى خرج منه و الكلام الذى خرج اليه، و فى القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ و التذكير و الانذار و البشارة بالجنة إلى امر و نهى و وعد، و وعيد، و من محكم إلى متشابه، و من صفة لنبى و نبإ منزل إلى ذم شيطان مريد و جبار عنيد بلطائف دقيقة و معان آخذة بالقلب أنيقة .. فمما جاء من التخلص فى القرآن الكريم قوله تعالى: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ قالَ هَلْ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۱

يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ إلى قوله: فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الآيات. هذا كلام يذهل العقول و يحيّر الالباب، و فيه كفاية لطالب البلاغة و المنتصب لهذه الصناعة فإنه متى أنعم فيه النظر و تدبر أنباءه و مطاوى حكمته علم أن فى ذلك غنى لمن تصفح الكتب المؤلفة فى هذا الفن. أ لا ترى أيها المتأمل ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه الصلاة و السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا- سؤال مستفهم، ثم أنحى إلى آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر و لا تنفع و لا تبصر، و لا تسمع، و إلى تقليد آبائهم الأقدمين فكشفه و أخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذى لا تجب العبادة إلّا له، و لا ينبغى الرجوع و الإنابة إلا إليه، فصور المسألة فى نفسه دونهم لقوله- فإنهم عدوّ لى إلّا ربّ العالمين- على معنى أنى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة العدوّ و هو الشيطان، فاجتنبتها و آثرت عبادة من الخير كله منه و أراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، فيكون ذلك ادعى لهم إلى القبول، و أبعث على الاستماع منه، و لو قال- فانهم عدوّ لكم- لم تكن بتلك المثابة فتخلص عند تصويره المسألة فى نفسه إلى ذكر اللّه تعالى، و أجرى تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه و تعديد نعمه من لدن خلقه و إنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجو فى الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة و واجب على الخلق الخضوع له و الاستكانة من عظمته، ثم خرج من ذلك إلى أدعية مناسبة فدعا اللّه بدعوات المخلصين و ابتهل إليه ابتهال الأوابين، لأن الطالب من مولاه و الراغب اليه اذا قدّم قبل سؤاله و ضراعته الاعتراف بالنعمة و الاقرار بالاحسان كان ذلك أسرع بالاجابة و أنجح لحصول القصد و الطلبة، ثم أدرج فى ضمن دعائه ذكر البعث يوم القيامة و مجازات اللّه تعالى لمن آمن به باثابة الجنة، و لمن ضل عن

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۲

عبادته بالنار فجمع بين الترغيب فى طاعته و الترهيب من معصيته، ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون من الأصنام سؤال موبخ لهم مستهزئ بهم و ذكر ما يدفعون إليه عند ذلك من الندم و الحسرة على ما كانوا فيه من الضلال و تمنى العودة ليؤمنوا .. فانظر أيها المتأمل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على لطيفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد و خرج من ذكر الأصنام و تقريره لأبيه و قومه من عبادتهم إياها مع ما هى عليه من التعرى عن صفات الإلهية حيث لا تضر و لا تنفع و لا تبصر و لا تسمع الى ذكر اللّه تعالى فوصفه بصفات الالوهية و عظّم شأنه و عدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الّا له ثم خرج من هذا الى دعائه إياه و خضوعه له، ثم خرج منه إلى ذكر يوم القيامة و ثواب اللّه عز و جل و عقابه، فتدبر هذه التخليصات اللطيفة و ضم هذا إلى غيره من تضمين هذا الكلام بأنواع من صناعة التأليف و هى الايجاز و الكناية، و التقديم و التأخير، ثم إنابة الفعل الماضى عن الفعل المضارع.

فأما الإيجاز فلا خفاء به على العارف بما أشرنا اليه فى بابه الذى سبق ذكره أولا، و إن من جملة قوله تعالى: وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ فإنه جمع الترغيب فى طاعته، و الترهيب من معصيته مع عظمهما و فخامة شأنهما فى هذه الكلمات اليسيرة.

و أما الكناية فقوله- و برّزت الجحيم للغاوين- و الغاوون هنا كناية عن أبيه و قومه، و يدل على ذلك قوله: و قيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون اللّه- لأن كلامه فى الأول كان معهم فى عبادتهم للأصنام. و أما التقديم و التأخير فإنه ذكر إبراهيم النعمة تعديد الاحسان قبل الدعاء و طلب الحاجة. و أما انابة الفعل الماضى عن المضارع فقوله- و أزلفت الجنة للمتقين و برزت الجحيم للغاوين، و

قيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون اللّه- بعد قوله- و لا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا من

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۳

أتى اللّه بقلب سليم- و فى ذلك من الفائدة ما أشرنا إليه فى بابه، و قد سبق ذكره.

و أما الثانى: فالمعنى الذى أتى به من أجله تشوف النفس بعد قطع الكلام الأول إلى الكلام الثانى الذى بعده، و لا سيما اذا لم يكن بفاصلة فإنه يدل على تمكن المتكلم فى البلاغة و قوة ملكته فى التلعب بالكلام، و جودة فكرة المؤلف، و حسن فطرة السامع و صحة ذهنه.

و أما الثالث: فقال علماء البيان هو على قسمين: منه ما يكون بفاصلة. و منه ما لا يكون بفاصلة، و هو بالفاصلة أحسن لأن بها تتشوف النفس إلى المعنى الثانى، فتكون له لذاذة أشد مما إذا ورد بغتة.

و أما الرابع: فأدواته فواصله و هى- أما بعد- و قيل إنّ أول من تكلم بها رسول اللّه ثم تداولها الناس بعده- و هذا. و هذه- و قد يذكر لهما خبر كقوله تعالى: هذا ذِكْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ و قد لا يذكر لهما خبر كقوله تعالى: هذا وَ إِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ و كما قال الشاعر:

هذا و كم لى بالجنينة سكرةأنا من بقايا شربها مخمور و قد قال ابن الأثير فى جامعه فى قوله تعالى: وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِى الْأَيْدِى وَ الْأَبْصارِ إلى قوله: جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ أ لا ترى ما ذكر قبل هذا ذكر من ذكر من الأنبياء، و أراد أن يذكر بعده بابا آخر غيره، و هو ذكر الجنة و أهلها فقال- هذا ذكر- ثم قال- و إنّ للمتقين لحسن مآب- و يدلّ عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة، و أراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال- هذا و إنّ للطاغين لشرّ مآب- و ذلك من فصل الخطاب الذى هو ألطف موقعا من التخلص فاعرفه .. و من بديع الاقتضاب قوله تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ إلى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۴

قوله: لِرَبِّ الْعالَمِينَ ثم اقتضب فقال: كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِى عِلِّيِّينَ .. و هو فى القرآن كثير جدا و أكثر ما يرد فى ذكر القصص و هذا من النوع الاول من الاقتضاب لأنه بلا فاصلة .. و قال ابن الاثير و مما استطرف من هذا النوع قول ابن الزملكانى «۱»:

و ليل كموج البرقعيدىّ ظلمؤو برد أعانيه و طول قرونه

سريت و نومى فيه نوم مشرّدكعقل سليمان بن فهد و دينه على أولق فيه التفات كأنّه أبو جابر فى خبطه و جنونه

إلى أن بدا ضوء النهار كأنهسنا وجه قرواش و ضوء جبينه و قال: إن هذه الابيات لها حكاية، و ذلك أن هذا الممدوح كان جالسا فى ندمائه فى ليلة من ليالى الشتاء، و فى جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر، كان البرقعيدىّ مغنيا، و سليمان بن فهد وزيرا، و أبو جابر حاجبا فالتمس الممدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين و يمدحه.

قال المصنف عفا اللّه عنه: هذا الذى ذكره ابن الاثير قد أورده علماء علم البيان فى باب الاستطراد هو به أمسّ و أليق.

---

(۱) ابن الزملكانى هذا تصحيح منا اعتمادا على حفظنا، و فى الاصل ابن الزمكلفة .. و قد أورد الابيات التنوخى فى كتابه الاقصى القريب فى باب التخلص و الاقتضاب و لم يسم القائل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۵

القسم السابع و العشرون فى التطبيق و يسمى المطابقة و الطباق و التكافؤ و التضاد. و الكلام عليه من وجوه:

الاول: فى حقيقته. الثانى: فى اشتقاقه. الثالث: فى أقسامه.

أما الاول: فقال علماء علم البيان هو أن يجمع فى الكلام بين متضادين مع مراعاة التقابل بحيث لا يضم الاسم إلى الفعل، و لا الفعل

إلى الاسم، و هو كقوله تعالى: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً و قوله تعالى: وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ. و قوله تعالى: سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ.

و قوله تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إلى قوله:

وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ. و قوله تعالى: وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكى و مثله فى القرآن كثير. و من ذلك فى أشعار العرب و مخاطباتهم كثير .. فمن بديع أشعار العرب قول الحارث بن حلزة:

بأنّا نورد الرّايات بيضاو نصدرهنّ حمرا قد روينا جمع فى هذا البيت بين الطباق و المقابلة .. و أبدع منه قول بعض المتأخرين:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۶ فأوردها بيضا ظماء صدورهاو أصدرها بالرّىّ ألوانها حمر قال ابن الأثير: أجمع جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشىء و ضده، كالبياض و السواد و الليل و النهار، و خالفهم فى ذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فقال: المطابقة إيراد لفظتين متساويتين فى البناء و الصفة، مختلفتين فى المعنى، و هذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس بعينه غير أن الأسماء لا مشاحة فيها إلا إذا كانت مشتقة، و لننظر نحن فيما حمله على ذلك.

و الذى حمل قدامة على ذلك ما اقتضاه اشتقاق لفظ الطباق و سنبينه.

و أما الثانى: فاشتقاق الطباق و أصله فى اللغة من طابق البعير فى سيره، اذا وضع رجله موضع يده و هذا يقوى قول قدامة، لأن اليد غير الرجل لا ضدها، و الموضع الذى يقعان فيه واحد، فكذلك المعنيان يكونان مختلفين و اللفظ الذى يجمعهما واحدا .. و أما الجماعة فيحتمل أن يكونوا رأوا أن الرّجل مخالفة لليد فراعوا المخالفة و الضد مخالف للضد لا اجتماع لهما، و هذا عين التضاد.

و يجوز أن يكون الجماعة سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة تسمية مرتجلة لا اشتقاق لها و لا مناسبة، و هذا هو الظاهر من هذا الأمر إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم يطلع عليها غيرهم و الصحيح هو الأول، لأن بعضهم سماه التضاد و هذا دليل على مراعاة الاشتقاق و اما الثالث: فقد قسم أرباب علم البيان الطباق إلى قسمين:

لفظىّ و معنوىّ. أما اللفظى فهو على قسمين: الأول ما قدمناه. و الثانى أن يجمع بين شيئين موافقين و بين ضديهما، ثم إذا اشترطهما بشرط وجب أن يشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۷

وَ اتَّقى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى الآية. فكما جعل التيسير لليسرى مشترطا بالاعطاء و التقى و التصديق جعل ضده و هو العسر مشترطا بأضداد تلك الامور، و هى المنع و عدم الاتقاء و الاستغناء و التكذيب .. و أما المعنوى فعلى قسمين. الاول: أن يزاوج بين معينين فى الشرط و الجزاء كقول البحترى «۱».

و الثانى: فى النفى كقول البحترى أيضا:

يقيّض لى من حيث لا أعلم النوىو يسرى إلىّ الشوق من حيث أعلم - و الطباق فى القرآن كثير .. و منه فى السّنّة قوله صلى اللّه عليه و سلم- علم الانساب علم لا ينفع، و جهل لا يضر- و قوله صلى اللّه عليه و سلم فى مدح الأنصار- «إنّكم لتقلون عند الطمع و تكثرون عند الجزع» ..

و من الطباق البديع قول الشاعر:

إنّ هذا الرّبيع شىء عجيبتضحك الارض من بكاء السماء

---

(۱) بياض بالأصل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۸

القسم الثامن و العشرون المقابلة. و الكلام عليها من وجوه

الأول: فى حقيقتها. الثانى: فى اشتقاقها. الثالث: فى أقسامها.

الرابع: فى الفرق بينها و بين الطباق.

أما الأول: فقال جماعة من العلماء بهذا الشأن المقابلة ذكر الشىء مع ما يوازيه فى بعض صفاته و يخلفه فى بعضها .. و قال بعضهم المقابلة أن تضع معانى تريد الموافقة بينها و بين غيرها أو مخالفة فتأتى فى الموافق بما وافق و فى المخالف بما خالف و تشترط شروطا، و تعدد أحوالا فى أحد المعنيين، فيجب أن تأتى فى الثانى بما يوافقه بمثل ما شرطت و عدّدت، و فيما يخالفه بأضداد ذلك كقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى و كقول الشاعر:

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصحوفىّ و مطوىّ على الغلّ غادر قال المصنف عفا اللّه عنه: قال الإمام فخر الدين رحمه اللّه هذا النوع فى فصل الطباق و ذكره الزنجانى فى فصل المقابلة، و الذى اختاره العلماء المتقدمون فى هذا الفن أن المقابلة ذكر الشىء مع ما يوازيه فى بعض صفاته و يخالفه فى بعضها كما تقدم.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۱۹

و أما الثانى: فالمقابلة مصدر من قابل الشىء الشىء يقابله مقابلة إذا واجهه، و صار ماثلا أمامه، و هو من باب المفاعلة كالمضاربة و المقاتلة، و أصله فى الإجرام يقال: قابل الشخص الشخص، و الجبل الجبل إذا واجهه، و ناوحه، إذا صار موازيا له ماثلا أمامه، ثم توسع فيه حتى استعمل فى المعانى، و لما وضع المؤلف الكلمة بإزاء الكلمة الأخرى، و المعنى بإزاء المعنى الآخر حصلت المقابلة من جهة اللفظ تارة، و من جهة المعنى أخرى.

و أما الثالث: فأقسامها ثلاثة: مقابلة لفظية. و هى على قسمين، و قد تقدم. و مقابلة معنوية. و هى على قسمين أيضا. الأول أن يقابل معنى بمعنى مثل: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى وجه المقابلة فى هذه الآية أن- الجوع- هو خلوّ الباطن- و العرى- خلوّ الظاهر- و الظمأ- احتراق الباطن- و الضحى- احتراق الظاهر. فقابل الخلو بالخلو، و الاحتراق بالاحتراق. و الثانى أن يجىء فى السلب كقول الفرزدق: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان ۲۱۹ القسم الثامن و العشرون المقابلة. و الكلام عليها من وجوه ..... ص : ۲۱۸

الثالث المقابلة الفاسدة، و هو أن يقابل الشىء بما لا يوافقه، و لا يخالفه كقول الكميت:

لعمرى لئن قلّ الحصى فى رحالكم‌بنى نهشل ما لؤمكم بقليل

و قد رأين بها حورا منعّمةبيضا تكامل فيها الدّلّ و الشنب - و الشنب- لا يشاكل الدل. و هذان القسمان ذكرهما الزنجانى فى تكملته. و المقابلة قريب من الطباق للمشابهة من بعض الوجوه، و المخالفة من وجهين نذكرهما بعد هذا القسم.

و أما الرابع: فالفرق بين المقابلة و الطباق من وجهين. الأول أن

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۰

الطباق لا يكون إلا ضدين غالبا مثل قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ و أشباه ذلك. و المقابلة تكون غالبا بالجمع من أربعة أضداد. ضدين فى أصل الكلام. و ضدين فى عجزه. و تبلغ إلى الجمع من عشرة أضداد. خمسة فى الصدر. و خمسة فى العجز ..

الثانى لا يكون الطباق إلا بالاضداد، و المقابلة تكون بالاضداد و غيرها.

و قد ورد فى أشعار العرب و المتأخرين أبيات كثيرة يتضمن البيت منها مقابلتين و طباقين .. فمن ذلك قول الحارث بن حلزة.

بانّا نورد الرّايات بيضاو نصدرهنّ حمرا قد روينا - و من ذلك قول بعض المتأخرين:

فأوردها بيضا ظماء صدورهاو أصدرها بالرّى ألوانها حمر - قال ابن الاثير فى جامعه ان الطباق أحد أنواع المقابلة لأنه لا يخلو الحال فى ذلك من ثلاثة أقسام. اما أن يقابل الشىء بضده أو بغيره أو بمثله، و ليس لنا قسم رابع. فأما الاول و هو مقابلة الشىء بضده كالسواد و البياض، و ما أشبه ذلك كقوله تعالى: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً أ لا ترى إلى صحة هذه المقابلة البديعة حيث قابل الضحك بالبكاء، و القليل بالكثير. و كذلك قوله تعالى: لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ و هذا أحسن ما يجىء فى هذا الباب. و قد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم- خير المال عين ساهرة لعين نائمة- و من هذا قول بعضهم فى السحاب:

و له بلا حزن و لا فرحضحك يراوح بينه و بكا فقابل الضحك بالبكاء و الحزن بالسرور فى بيت واحد الّا أن فى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۱

ذلك نظرا من حيث ترتيب التفسير، لا من حيث المقابلة، لأن ترتيب التفسير يقتضى أن كان قال- بلا حزن و لا مسرّة بكاء يراوح بينه و ضحك- و هذا لا كبير عيب فيه. و إنما الأولى و الأليق ما أشرنا إليه فاعرفه .. و قال آخر:

فلا الجود يفنى المال و الجدّ مقبلو لا البخل يبقى المال و الجدّ مدبر - و مثله قوله البحترى:

و أمة كأن قبح الجور يسخطهادهرا فأصبح حسن العدل يرضيها فقابل القبح بالحسن، و الجور بالعدل، و السخط بالرضا و ذلك بديع فى بابه فاعرفه. و أما القسم الثانى و هو مقابلة الشىء بغيره فهو ضربان. أحدهما ما كان بين المقابل و المقابل له مناسبة و تقارب كقول بعضهم:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةو من إساءة أهل السوء إحسانا و الظلم ليس ضد المغفرة، و انما هو ضد العدل، الّا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة بينها و بين الظلم، و أمثال هذا كثير. و أما القسم الثانى أن يقابل الشىء بالشىء و بينهما بعد و لا يناسبه بحال من الأحوال. أقول و ذلك لا يحسن استعماله فى التأليف .. و مما جاء منه قول بعضهم:

أم هل ظعائن بالعلياء رافعةو ان تكامل منها الدّل و الشنب فإن ذلك غير مناسب لأنه إنما كان يحسن أن يكون مع الدل الغنج، أو ما قاربه، و مع الشنب اللعس، أو ما يجرى مجراه من أوصاف الثغر و الفم. و أما الثالث فهو أن يقابل الشىء بمثله و هو ضربان. أحدهما التقابل فى اللفظ و المعنى. و الآخر التقابل فى المعنى دون اللفظ، و أما التقابل فى اللفظ و المعنى فكقوله تعالى: وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنا مَكْراً. و قوله تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ. و أما

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۲

التقابل فى المعنى دون اللفظ فهى مقابلة الجملة لمثالها مستقبلة كانت أو ماضية، فإن كانت ماضية قوبلت بالماضية، و ان كانت مستقبلة قوبلت بالمستقبلة، و ربما قوبل الماضى بالمستقبل، و المستقبل بالماضى، و ذلك إذا كان أحدهما فى معنى الآخر. فمن ذلك قوله تعالى: قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي فإن هذا تقابل من جهة المعنى، و لو كان التقابل من جهة اللفظ لقال:

و إن اهتديت فإنما اهتديت لها .. و بيان مقابل هذا الكلام من جهة المعنى أن النفس كلما هو عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها و ضار لها، فهو بسببها، و منها لأنها أمّارة بالسوء، و كل ما هو لها مما ينفعها فبهداية ربها و توفيقه إياها، و هذا حكم عام لكل مكلف و انما أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أن يسند إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع علو محله و سداد طريقته كان غيره أولى به.

و من هذا الضرب قوله تعالى: أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فإنه لم يراع التقابل فى قوله- ليسكنوا فيه فيه. و مبصرا- لأن القياس يقتضى أن يكون و النهار ليبصروا فيه، و إنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة

اللفظ، و هكذا النظم المطبوع الغير المتكلف، لأن معنى قوله مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب فى الحاجات.

و من مقابلة الشيء بمثله أنه إذا ذكر المؤلف ألفاظا تقتضى جوابا فالمرضى عندنا أن يأتى بتلك الألفاظ فى الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها، مما هو فى معناها. فمن ذلك قوله تعالى: وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها و مما عيب فى هذا الباب قول بعضهم من اقترف ذنبا عامدا أو اكتسب جرما قاصدا لزمه ما جناه و حاق به ما توخاه. و الأليق إن كان قال لزمه ما اقترف و حاق به ما اكتسب ليكون أحسن طباقا، و إن كان ذلك جائزا فى الكلام من حيث أن معناه صوابا لكنه عدول عن الأليق،

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۳

و الاولى فى هذا الباب و أمثاله كثيرة فاعرفها .. و اعلم ان فى تقابل المعانى بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل و زيادة نظر و تدبر، و هو يختص بالفواصل من الكلام المنثور، و بالإعجاز من أبيات الشعر ..

فمما جاء من ذلك قوله تعالى فى حق المنافقين: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إلى قوله: وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ. و قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ قالُوا إلى قوله: وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ أ لا ترى كيف فصل الآية الأخيرة بيعلمون، و الآية التى قبلها بيشعرون، و إنما فعل ذلك لأن أمر الديانة و الوقوف على أن المؤمنين على الحق و هم على الباطل يحتاج إلى نظر و استدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة و العلم، و لذلك قال- و لكن لا يشعرون- و أما النفاق و ما فيه من المعنى المؤدى إلى الفتنة و الفساد فى الأرض فأمر دنيوىّ مبنىّ على العادات معلوم عند الناس، خصوصا عند العرب، و ما كان فيهم من التجارب و التعاون فهو كالمحسوس عندهم، فلذلك قال- يعلمون- و أيضا فإنه لما ذكر السفه فى الآية الأخيرة، و هو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقا فقال- لا يعلمون- و آيات القرآن العظيم جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. و قوله: لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. و كقوله: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ وَ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ فإنه إنما فصلت الآية بلطيف خبير، لأن ذلك فى موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث، و إخراج النبات من الأرض، و لأنه خبير بمنفعتهم و مضرتهم فى انزال الغيث و غيره. و أما الآية الثانية فإنما فصلت بغنى حميد لأنه له ما فى السموات، و ما فى الأرض، فعرف الناس أن جميع ما فى السموات و ما فى الأرض له لا لحاجة، بل غنى عنها جواد بها لأنّ ليس غنىّ نافعا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۴

بغناه إلّا إذا كان جوادا منعما، و إذا جاد و أنعم حمده المنعم عليه، و استحق عليه الحمد فذكر- الحميد- ليدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه.

و أما الآية الثالثة فإنها فصلت- برءوف رحيم- لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما فى الأرض لهم و اجراء الفلك فى البحر لهم و تسييرهم فى ذلك الهول العظيم، و جعله السماء فوقهم و امساكه اياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله- رءوف رحيم.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۵

القسم التاسع و العشرون الاحتراس

و هو أن يذكر لفظا ظاهره الدعاء بالخير و النفع، و ذلك بما فى ضمنه مما يوهم الشر، فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم، و تدفع ذلك الوهن مثل قوله تعالى: يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا و كان فى العادة أن من تكلم فى المهد لا يعيش و لا يتمادى به العمر، فحصل الاحتراس بقوله تعالى- و كهلا- يريد أنه ليس يموت عاجلا كأمثاله ممن تكلم فى المهد بل يعيش الى أن يبلغ الكهولة. و منه قوله تعالى:

وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أزال بقوله- من غير سوء- توهم أن بياض اليد من برص و غيره .. و قد ورد فى أشعار العرب من هذا كثير. من ذلك قول بعضهم:

فسقا ديارك غير مفسدهاصوب الرّبيع و ديمة تهمى فاحترس بقوله- غير مفسدها- لأن تكرار الماء على الديار مما يوجب الدمار .. و قال آخر:

ألا فاسلمى يا دار مى على البلاو لا زال مهلا بجرعائك القطر فاحترس بقوله- ألا فاسلمى- و مثله فى القرآن و الشعر كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۶

القسم الموفى ثلاثين الاختصاص

و هو عند الأصوليين التخصيص، و اختلفت فيه عبارات أهل العلم .. فقال بعضهم: هو اخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به، لو لا التخصيص، و هو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما فى اللبس، و من حيث أن كل واحد منهما يقتضى اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ إلا أنهما يفترقان من وجوه خمسة:

الأول أن الناسخ أبدا لا يكون إلا متأخرا عن المنسوخ، كذا وقع فى جميع ما نسخ من الكتاب و السنة إلا فى آيتين. احداهما قوله تعالى: مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ فإنها منسوخة بما قبلها و هو قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً و هذا على خلاف الأصل، و قد يعتذر عن هذا بأن آية الحول إنما نسخت بالسنة، لكن لا يتأتى هذا إلّا على قول من يقول إن السنة تنسخ الكتاب.

و أما على قول انها لا تنسخه فلا يتأتى هذا. و قد يقال إن آية الحول نزلت قبل آية الأشهر و لكن آية الأشهر أثبتت فى الصحف قبلها، فكان آية الحول متقدمة فى النزول متأخرة فى التلاوة.

الثانى: إن النسخ لا يكون الّا بخطاب رفع به حكم الخطاب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۷

الأول و التخصيص قد يقع بقول و فعل و قياس و غير ذلك.

الثالث: أن نسخ الشىء لا يكون الّا بما هو مثله فى القوة، أو بما هو أقوى منه فى الرتبة و التخصيص جائز بما هو دون المخصوص فى الرتبة.

الرابع: أن التخصيص لا يقع فى حكم واحد و النسخ جائز فى مثله لا سيما على أصل من يبنى نسخ الشىء قبل وقته.

الخامس: ان التخصيص ما أخرج من الخطاب ما لم يرد به، و النسخ رافع ما أريد اثبات حكمه. و الذى اعتمد عليه المحققون أن التخصيص اخراج بعض ما تناوله اللفظ العام، أو ما يقوم مقامه بدليل منفصل فى الزمان إن كان المخصص لفظيا، أو بالحس إن كان عقليا قبل تقرير حكمه. فقولنا- أو ما يقوم مقامه- احتراز من المفهوم فإنه يدخله التخصيص. و قولنا- بالزمان- احتراز من المستثنى من الاستثناء.

و قولنا- بالحس- لأن العقلى المخصص مقارن. و قولنا- قبل تقرير حكمه- احتراز من أن يعمل بالعام فإن الإخراج بعد هذا يكون نسخا ..

و التخصيص يسميه أرباب علم البيان الاختصاص عندهم، و لا يحسن إلّا أن يكون اختصاص الشىء بمعنى ظاهر مثل قوله تعالى: وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى اختصها دون سائر النجوم لأنها عبدت. و قيل ان النجوم تقطع السماء طولا و هى تقطعها عرضا. و قيل لأن المنجمين بطلوعها يتكلمون على المغيبات و ما يحدثه اللّه فى ملكه من الكائنات و ينسبون ذلك الى طلوعها و إن هذه الحادثات فى كل عام من تأثيرها، فرد اللّه ذلك عليهم بإعلامنا بأنها مدبرة بتدبيره، مقدرة بتقديره متصرفة بمشيئته إذ هو ربها و ربّ كل شىء، و

هو على كل شيء قدير .. و من هذا النمط قوله تعالى: فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ و هذا لا يتأتى إلا على قول من

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۸

يقول: أن الرمان و الرطب فاكهة. و أما على قول من يقول أنهما ليسا من الفاكهة، فلا يكون من هذا النوع .. و من ذلك قوله: مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ أعاد اللّه ذكر جبريل و ميكال مع أنهما من الملائكة بلا خلاف لخصوصية فيهما إما لأمر اختص بعلمه بهما اقتضى تخصيصهما، أو لأن جبريل روح اللّه و أمينه على وحيه، و ميكال أمينه على خزائن فتحه و رحمته. و فى أشعار العرب كثير من ذلك نحو قول الخنساء أخت صخر:

يذكّرنى طلوع الشمس صخراو أندبه لكلّ غروب شمس و إنما خصت هذين الوقتين لأن طلوع الشمس يذكرها بغارته على أعدائه و غروبها يذكرها باقرائه ضيفانه، فاختصت لهذين الوقتين من بين سائر الاوقات لهذين المعنيين. و عبارات التخصيص ثلاثة: الأولى: إنما جاءنى زيد. الثانية: جاءنى زيد لا عمرو. و الثالثة: ما جاءنى إلّا زيد.

فيفهم من الأولى تخصيص مطلق المجيء أو تخصيص مجيء معين ظنه المخاطب مخصوصا بغيره، أو مشاركا غيره فيه فأفاد اثباته لزيد و نفيه عن غيره دفعة واحدة، و من الثانية فى دفعتين و الثالثة بأصل الوضع تفيد نفى التشريك، و لهذا لا يصح ما زيد إلّا قائم لا قاعد لأنك بقولك- إلا قائم- نفيت عنه كل صفة تنافى القيام فيندرج فيه نفى القعود فيقع- لا قاعد- تكرارا و يصح إنما زيد قائم لا قاعد فإن صيغة- إنما- موضوعة للتخصيص و يلزمه نفى الشركة، فليس له من القوة ما يدل عليه بالوضع، و لهذا يصح زيد هو الجائى لا عمرو فدلالة الأوليين على التخصيص أقوى، و دلالة الثالثة على نفى التشريك، و قد تذكر الثالثة فى مثل ما إذا ادعى واحد أنك قلت قولا، ثم قلت بخلافه فتقول ما قلت إلّا ما قلته قبل. و عليه قوله تعالى: حكاية عن عيسى عليه الصلاة و السلام: ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ ليس المعنى أنى لم أزد

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۲۹

على ما أمرتنى به أن أقوله شيئا، و لكن المعنى أنى لم أدع مما أمرتنى به أن أقوله شيئا، و لم يذكر ما يخالفه .. و حكم- غير- إذا وقع موقع- إلّا- حكم الّا .. و أما- انما- فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر، فإذا قلت إنما ضرب عمرا زيد، فالاختصاص فى الضارب كما قال سبحانه و تعالى: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ و إذا قلت إنما ضرب زيد عمرا فالاختصاص فى المضروب، و إذا قلت إنما هذا لك فالاختصاص فى- لك- بدليل أنك تقول بعده لا لغيرك و إذا قلت إنما لك هذا فالاختصاص فى- هذا- بدليل أنك تقول بعده لا ذاك.

قال اللّه تعالى: فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسابُ فإذا وقع بعدها الفعل فالمعنى أن ذلك الفعل لا يصح إلا من المذكور كقوله تعالى: إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ .. و قد يجمع معها حرف النفى إما متأخرا. كقولك إنما جاءنى زيد لا عمرو، و إما متقدما كقولك ما جاءنى زيد، و إنما جاءنى عمرو. فهناك لو لم تدخل- إنما- كان الكلام مع من ظن أيهما جاءك، و إن أدخلها كان الكلام مع من غلط فى الجائى، و لو قلت إن عمرا جاءنى فإن كانت المستغنى عنها فظهرت فائدة دخول- ما- على- إنّ- فى- انما- .. و اعلم أن موضوع- انما- أن يجيء فى أمر لا يدفع المخاطب صحته كقوله تعالى: إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ أو ينزل بعده منزلته كقول الشاعر:

إنما مصعب شهاب من اللّه تجلّت عن وجهه الظّلماء فادعى كونه بهذه الصفة مما لا ينكره أحد. و مثله قوله تعالى حكاية عن اليهود: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ الذى يدعون انهم مصلحون أمر ظاهر معلوم، فلذلك أكد الأمر فى الرد عليهم فجمع فيه بين- ألا- التى هى للتنبيه و- إن- التى هى للتحقيق- و هم- التى هى للتأكيد فقال: أَلا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۰

إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ .. و قال ابن الاثير و هم يرون بالتخصيص فى أعمال العام فى النفى و الخاص فى الاثبات مثال ذلك: الحيوانية و

الانسانيـة، فإن اثبات الانسانيـة يوجب اثبات الحيوانيـة و لا يوجب نفيها نفى الحيوانية، و كذلك نفى الحيوانية يوجب نفى الانسانية، و لا يجب من اثباتها اثبات الانسانيـة .. و مما يـدخل فى هـذا الباب الأسـماء المفردة الواقعـة على الجنس الـذى يكون الفرق بينها و بين واحـدها تاء التأنيث، فإنه متى أريـد النفى كان اسـتعمال واحـدها أبلغ، و متى أريد الإثبات كان اسـتعمالها فى الجنس أبلغ. فالأول هو الخاص و العام نحو قوله تعالى:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْـتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ و لم يقل بضوئهم، لأن ذكر النور فى حالـة النفى أبلغ من حيث أن الضوء فيه الدلالـة على النور و زيـادة، فلو قـال ذهب اللّه بضوئهم كـان المعنى يعطى نفى تلـك الزيادة، و بقاء ما يسـمى نورا، لأن الإضـاءة هى فرط الإنـارة دليله قوله تعـالى: هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِـياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً فكل ضوء نور، و ليس كل نور ضوأ. و الغرض من قوله- ذهب اللّه بنورهم- إنمـا هو ازالـة النور عنهم رأسا فهو إذا أزاله فقـد أزال الضوء. و كـذلك قوله تعالى: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ و لم يقل أذهب اللّه نورهم لأن كل من ذهب بشىء فقد أذهبه، و ليس كل من أذهب شيئا ذهب به، لأن الذهاب بالشىء هو استصحاب له و مضـى به، و فى ذلك نوع احتياز للمـذهوب به، و إمساك له عن الرجوع الى حالته، و العود إلى مكانه، و ليس كـذلك الإذهاب للشىء لزوال معنى الاحتياز، و هذا كلام دقيق يحتاج إلى زيادة تأمل و إنعام نظر، فافهمه و قس عليه ما أشبهه، و باللّه التوفيق.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۱

القسم الحادى و الثلاثون الاختراع

قال علماء علم البيان .. الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسـبق إليه، و اشـتقاقه من التليين و التسهيل يقال: بنت خرع إذا كان لينا فكـأن المتكلم سـهل طريقه حتى أخرجه من العـدم الى الوجود. و منه فى القرآن كثير .. من ذلـك قوله تعـالى: إِنَّ الَّذِينَ تَـدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْـلُبْهُمُ الذُّبابُ شَـيْئاً لا يَسْـتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَـعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ و لم يسـمع بمثل هذا التمثيـل البـديع لأحـد قبل نزول القرآن، و لو سـمع لكان القرآن سابقا، و لا يكون مثله، و لا قريبا منه، و كـذلك جميع أمثال القرآن، ليس لها أمثال .. و مثال ذلك من السـنة النبوية قوله صـلى اللّه عليه و سلم: «حمى الوطيس»- فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أول من تكلم بهذا حين قدّم المسلمون خالد بن الوليد فى غزوة مؤتة، حين حمل خالد فى العدوّ- و الوطيس- هو التنور فعبر بشدة حميه و وقوده عن شـدة الحرب و اتقادهـا، و اتقـاد نارهـا حين حمل خالـد بن الوليـد رضـى اللّه عنه. و من ذلك قوله صـلى اللّه عليه و سـلم: «السّعيد من وعـظ بغيره». و من ذلـك قوله صـلى اللّه عليه و سـلم أما بعـد- و مثل هـذه الكلمات فى السـنة كثير، و ليس هـذا موضع إحصائها و لا محل استقصائها.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۲

القسم الثانى و الثلاثون الهدم

و هو أن يأتى غيرك بكلام تضمن معنى، فتأتى أنت بضده، فكأنه قد هدم ما بناه المتكلم الأول كقول أبى تمام:

و بروحى القمر الذى بمحجّرأضحى مصونا للنوى مبذولا هدمه بعض الشعراء فقال:

و بروحى القمر الذى لم يبتذلبل حلّ وسط القلب لا بمحجّر - و قال البلاذرىّ:

و قد يرفع المرء اللئيم حجابهضعفة و دون العرف منه حجاب هدمه الآخر فقال:

ملـك أغرّ محجّبمعروفه لا يحجب و منه فى كتاب اللّه العزيز كثير .. من ذلك قوله تعالى: وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ هدمه اللّه تعالى بقوله: وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. و قوله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۳

إلهٍ. و قوله تعالى: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ تقديره إن كنتم فيما ادعيتم صادقين، فلم يعذبكم بذنوبكم. و منه قوله تعالى: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ هدمه اللّه عليهم بقوله: ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ. و قوله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ.

و منه قوله تعالى: إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ هدمه اللّه بقوله: وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ .. و مثله فى القرآن الكريم كثير، و فى الشعر هو كثير أيضا:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۴

القسم الثالث و الثلاثون الاستفهام

و هو على قسمين: استفهام العالم بالشيء مع علمه به. و مراده بذلك معان ستة.

الأول: التقرير و مرادك باستفهامك عن ذلك الشيء أن يقربه الفاعل كقوله تعالى حكاية عن قوم نمروذ: أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ و لا شبهة أنه ليس غرضهم أن يقر لهم بوجود كسر الاصنام، و لكن غرضهم أن يقرّ بأن ذلك منه لا من غيره.

الثانى: يراد به الإنكار و هو كقوله تعالى: أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ. و قوله تعالى: أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ و الانكار هاهنا فى نفس الفعل أنكر اللّه عليهم كونهم جعلوا الملائكة إناثا، و قالوا هم بنات اللّه تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا.

و كذلك قوله تعالى: آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ المقصود إنكار أصل الإذن لا انكار إنه كان من غير اللّه، و أضافوه إلى اللّه. و كذلك قوله تعالى: آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ تقديره لو وجدتم التحريم لكان محرما، إما ذا أو ذاك، ثم يستدل ببطلان الأصلين على بطلان القسمين على بطلان أصل التحريم. و مثله قولك للرجل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۵

الذى يدعى أمرا و أنت تنكره- متى كان هذا أ فى ليل أم نهار- و تقديره لو كان لكان إما فى ليل، و إما فى نهار، و لما لم يوجد فيهما ثبت أنه ليس بموجود أصلا. فكذلك تقول فى الآية فانها نفى لأصل الإذن لنفى أقسامه، و ذلك أبلغ فى النفى. و كذلك قوله تعالى: أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ حصل الانكار هاهنا بنفس الالزام .. و كذلك قول الشاعر:

أ تقتلنى و المشرفىّ مضاجعى

و اعلم أن الاستفهام بمعنى الانكار حاصله راجع إلى تثبيت السامع على فساد ذلك الشيء حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل و يرتد عنه، فعلى هذا لا- يتصور الّا بالمحال على سبيل أن يقال له- أنت فى دعواك كمن يدعى المحال- و على هذا جعل قوله تعالى: أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ و ليس اسماع الاسم مما يدعيه أحد فيكون لذلك الانكار، و إنما المعنى فيه تنزيل من يحاول اسماعهم منزلة من يحاول اسماع الصم، و إنما قدم الاسم فى هذه الآية و لم يقل- أ فتسمع الصم- لمعنى و هو اختصاصه صلى اللّه عليه و سلم كأنه تعالى قال له صلى اللّه عليه و سلم: أنت خصوصا تظن أنك تقدر على اسماعهم، فتكون بمنزلة من ظن أن لنفسه قدرة على اسماع الصم .. و اعلم أن حال المفعول فى ذلك كحال الفاعل فاذا قدّمت المفعول توجه الانكار إلى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل فإذا قلت- أ زيدا تضرب كان على هذا الحكم و لهذا قدّم- غير- فى قوله تعالى: قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا. و من ذلك قوله تعالى: أَ بَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ و قد تقدم بيانه فانهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع و يطاع ..

و اعلم أن صيغة المستقبل إما أن يكون الاسم مقدما أو الفعل فإن كان الإسم مقدما اقتضى شبيها بما اقتضاه فى الماضى بمطالبته من الاقرار بكونه فاعلا فالانكار لذلك.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۶

فمثال ذلك قوله تعالى: أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ.

الثالث: الاستفهام للمبالغة فى الاستحقار مثل قولك للرجل تستحقره- أنت تمنعنى أنت تضربنى- و منه قوله تعالى: أَ بَشَراً مِنَّا واحِداً

نَتَّبِعُهُ. و قوله تعالى: قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا.

الرابع: يأتى للمبالغة فى التعظيم كقولك- أ هو يسأل اللّه أ هو يمنعهم حقوقهم- و منه قوله تعالى: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً إلى قوله: أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ.

الخامس: يأتى للمبالغة فى بيان الخساسة كقولك- أ هو يسمع لهذا أو يرتاح إلى الجميل- و منه قوله تعالى: أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ.

السادس: يؤتى بالاستفهام ليقع فى النفس عذوبة المستفهم عنه، و استحلاؤه كقول الشاعر:

أيا ظبيـة الوعثاء بين جلاجلو بين النقا أ أنت أم أمّ سالم تقـديره أ أنت الظبية أم أمّ سالم. أتى بالاسـتفهام هاهنا ليوقع فى النفس موقعا عظيما من الحسن، و بـديع المحاسن حتى يشـكل حالها كمثل محاسـنها، فيبقى عند ناظرها من ذلك تخييل لا يفرق بسـببه بينها و بين الظبية. و هذا النوع يسمى عند أرباب الصناعة التجاهل:

- و من بديع التجاهل قول مهيار الديلمى:

أ أنت أمرت البدر أن يصدع الدّجىو علّمت غصن البان أن يتميّلا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۷

- و من بديعه أيضا قول الآخر:

و عقار عيش منعاقرها عيش أنيق

هى للزّهو نظامو إلى اللّهو طريق

قلت لمّا لاح لىمنها شعاع و بريق

أ شـقيق أم عقيقأم رحيق أم حريق - و أما القسم الثانى من الاسـتفهام، فهو أن يستفهم عن شىء لم يتقدم له به علم حتى يحصل له به علم. و منه فى القرآن العظيم و فى الشعر كثير، و هذا هو أصل الباب.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۸

القسم الرابع و الثلاثون المزلزل

و هو أن يكون فى الكلام لفظة لو غيّر وضعها أو إعرابها تغير المعنى. و منه فى القرآن العظيم كثير .. من ذلك قوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لو كسرت الكـاف لتغير المعنى. و من ذلـك قوله تعـالى: أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ لو ضـمّت لاختـل المعنى. و من ذلـك قوله تعـالى: فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. و من ذلك قوله تعالى: وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ. و قوله تعالى: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ لو غير اعراب إبراهيم و اعراب العلماء لاختل المعنى .. و منه فى الشعر قول الوطواط:

رسول اللّه كـذّبه الأعادىفويـل ثم ويل للمكـذّب إن كسـرت ذال المكـذب، كان حسـنا، و إن فتحت كان قبيحا و كفرا .. و من هـذا المعنى قوله تعالى: فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ نفتح الذال و لو كسرت الذال كان قبيحا و كفرا.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۳۹

القسم الخامس و الثلاثون التعجب

و منه فى القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى: فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ- ما- هاهنا تعجب و التقدير تعجبوا من صبرهم على النار، و قيـل هى الاسـتفهاميهٔ و التقـدير فـأىّ شـىء صبّرهم على النـار .. و من التعجب قوله تعـالى: يـا أَيُّهَـا الْإِنْسـانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ و الخلاف فيها كالخلاف فى الأولى .. و من ذلك قوله تعالى:

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ أى ما أشد كفره. و مثله فى القرآن كثير ..

و منه فى الشعر قول بعضهم:

أيا شمعا يضىء بلا انطفاءو يا بدرا يلوح بلا محاق

فأنت البدر ما سبب انتقاصىو أنت الشمع ما سبب احتراقى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۰

القسم السادس و الثلاثون السلب و الايجاب

قال علماء علم البيان: هو أن يوقع الكلام على اثبات شىء، و ينفيه فى كلام واحد و خطبة واحدة أو بيت واحد. و هو فى القرآن العظيم كثير .. و من ذلك قوله تعالى: هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ.

و قوله تعالى: هُوَ يُطْعِمُ وَ لا يُطْعَمُ .. و منه فى الشعر قول السموأل ابن عادياء اليهودى:

و تنكر إن شئنا على الناس قولهمو لا ينكرون القول حين نقول

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۱

القسم السابع و الثلاثون الهزل الذى يراد به الجد

و هو فى القرآن العظيم فى قوله تعالى: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ روى أن أهل الجنة يفتح لهم باب من النار فيقولون لمن كان يضحك منهم فى الدنيا من الكفار أ تدخلون الجنة فيقولون نعم، فيقولون لهم هلموا فيتبادرون إلى الجنة فيغلق الباب دونهم، و يضحك منهم المؤمنون، و يردون خائبين و ليس مراد المؤمنين بذلك القول الضحك منهم و إنما مرادهم بذلك تبكيتهم و تشديد الحزن عليهم .. و منه قوله تعالى: إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ يعنى يوم القيامة .. و منه فى السنة قوله صلى اللّه عليه و سلم للعجوز التى سألته عن دخولها الجنة فقال: «لا يدخل الجنة عجوز» هزل بها و صدق و قال حقا فإن اللّه تعالى أخبر عن أهل الجنة فقال: عُرُباً أَتْراباً لِأَصْحابِ الْيَمِينِ و ترب الانسان مساويه فى العمر أو مقاربه .. و منه فى الشعر قوله:

اذا ما تميمىّ أتاك مفاخرافقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضبّ - و أما قوله صلى اللّه عليه و سلم فى وصف القرآن، و هو الجد ليس بالهزل فالمراد به الهزل الذى لا يراد به الجد.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۲

القسم الثامن و الثلاثون التلميح

و هو أن يشير فى فحوى الخطاب إلى مثل سائر، أو شعر نادر، أو قصة مشهورة من غير أن يذكره كقول بشار بن عدى:

اليوم خمر و يبدو فى غد خبرو الدّهر ما بين إنعام و إبآس أشار به الى قول امرئ القيس- اليوم خمر و غدا أمر- حين بلغه قتل أخيه «۱» و هو يشرب فصار مثلا .. و كقول أبى بكر الخوارزمى:

كأنك لا تروين بيتا لشاعرسوى بيت من لا يظلم الناس يظلم - و كقول أبى فراس:

و لا خير فى دفع الأذى بمذلّةكما ردّها يوما بسوءته عمرو أشار بذلك إلى قصة عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه .. و قد يسمى أخذ بعض ألفاظ المثل اقتباسا،

---

(۱) ليس هو من قول امرئ القيس، و إنما هو من قول مهلهل حين بلغه قتل جساس أخاه كليبا.

و امرؤ القيس لم يقتل له أخ فإن كان قاله حين بلغه قتل بنى أسد أباه حجرا فربما اه، كتبه محمد بدر الدين.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۳

و إيراد المثل كما هو تضمينا .. و مما جاء من التلميح فى الكتاب العزيز قوله تعالى: وَ اذْكُرْ أَخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ. و قوله تعالى:

أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ. و قوله تعالى: صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ الآية .. و من ذلك قوله تعالى: أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي إلى قوله:

فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ. ثم قال: صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً. و من ذلك قوله تعالى: هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولى أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ثم قال: لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ .. و مثله فى القرآن كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۴

القسم التاسع و الثلاثون النسخ و السلخ و المسخ

فأما النسخ ففى القرآن العظيم كثير. و هو على ثلاثة أقسام: منه ما نسخ لفظه و حكمه. و منه ما نسخ لفظه و بقى حكمه. و منه ما نسخ حكمه و بقى لفظه .. أما ما نسخ لفظه و حكمه، فقد روى عن قتادة و غيره قالوا: كنّا نقرأ سورة على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم- الشيخ و الشيخة إذا زنيا فرجموهما البتة نكالا من اللّه و اللّه عزيز حكيم- و قالوا كنا نقرأ على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم- لو أعطى ابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، و يتوب اللّه على من تاب- .. و أما ما نسخ حكمه و بقى لفظه ففى القرآن العظيم منه كثير .. و أما السلخ و المسخ، فليس فى القرآن العظيم منهما شىء لأنه لم يسبق قبله كلام فيسلخ منه، و لم يتقدم معانيه فيقصر عنها فيمسخ لأنه الكلام القديم الذى لم يشبهه كلام، و لم يتقدم عليه نثر و لا نظام، و سنذكر فى القسم الذى ليس فى القرآن منه شىء ما قاله أهل هذه الصناعة فى السلخ و المسخ، إن شاء اللّه تعالى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۵

القسم الاربعون التعديد. و يسمى أيضا سياق الاعداد

هو ايقاع أسماء مفردة على سياق واحد، فإن روعى فى ذلك ازدواج أو لزوم تجنيس أو مطابقة أو نحوها، فذلك الغاية فى الحسن كقولهم وضعنا فى يده زمام الحل و العقد. و القبول و الرد. و الامر و النهى. و الاثبات و النفى. و البسط و القبض. و الابرام و النقض، و الهدم و البناء. و المنع و العطاء .. و منه قول المتنبى:

الخيل و الليل و البيداء تعرفنىو الحرب و الطعن و القرطاس و القلم و منه فى القرآن كثير .. من ذلك قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ. و من ذلك قوله تعالى: وَ أَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكى وَ أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَ أَحْيا وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرى وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنى وَ أَقْنى وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى وَ ثَمُودَ فَما أَبْقى وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغى .. و منه قوله: وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۶

القسم الحادى و الأربعون الموجّه

و هو أن يمدح بشىء يقتضى المدح لشىء آخر كقول المتنبى:

نهبت من الأعمار ما لو حويتهلهنئت الدّنيا بأنّك خالد أول البيت مدح بفرط الشجاعة و آخره بعلوّ الدرجة. و فى القرآن العظيم منه كثير .. و منه قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ مدحهم فى أول الآية بالشدة على الكفار، ثم بالرحمة بينهم، ثم بالخشوع و الخضوع، ثم بالتذلل و حسن المسألة، ثم حسن السيماء و صباحة الوجوه. و مثله قوله تعالى: التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ .. و من هذا النوع قوله تبارك و تعالى: وَ يَقُولُونَ طاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ يجوز ان تكون- تقول- راجعة إلى- الطائفة- و يجوز أن تكون عائدة على النبى صلى اللّه عليه و سلم.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۷

القسم الثانى و الأربعون المحتمل الضدين

و هو أن يكون الكلام محتملا للشىء و ضده. و منه فى القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى: وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً يحتمل أن يكون أراد بورائهم- أمامهم و يحتمل أن يكون- وراءهم- و هو يطلبهم و منه قوله تعالى: وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ- و القرء- يطلق على الحيض و الطهر. و مثل ذلك قوله تعالى: قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ قال المفسرون أراد سوداء.

و مثله فى الشعر قول الشاعر:

يغادر الجونة أن تغيبا

- و الجون- الأسود- و الجون- الأبيض و هو من الأضداد .. و منه قول بشار فى رجل خاط له قباء و كان الخياط أعور:

خاط لى زيد قباءليت عينيه سواء

فأحاجى الناس طرّاأ مديحا أم هجاء و كان سبب ذلك أن بشارا خاط له زيد قباء فقال هذا إن شئت لبسته على وجهه و إن شئت لبسته على بطانته فقال له بشار و أنا أقول فيك شعرا إن شئت جعلته مدحا و إن شئت جعلته ذمّا و أنشده البيتين .. و قد

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۸

أخذ المتنبى هذا المعنى فقال:

أيا ابن كروّس يا نصف أعمىو ان تفخر فيا نصف البصير و كان ابن كروّس أعور .. و ينخرط فى هذا السلك قوله تعالى:

إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ إذا جعل هذا من باب التهكم به و الإزراء عليه كان ذما. و لهذا قال بعض المفسرين أرادوا- إنّك لأنت الأحمق السفيه- و إن أريد به المدح فالتقدير- انك أنت الكامل الحليم الرشيد فكيف يبدو منك مثل هذا لأنه ذكر الحليم و الرشيد بالالف و اللام التى هى لاستغراق الجنس أو للعهد .. و مثله فى السنة قول النبى صلى اللّه عليه و سلم- من جعل قاضيا ذبح بغير سكين- فإن أريد به الذم يكون التقدير من جعل قاضيا فقد قتل بغير سكين لأنه ليس فى قدرته إقامة الحق على وجهه و اجراء الأحكام على القانون المستقيم، فيكون قد كلف ما لا طاقة به، و من كلف ما لا طاقة له به فهو فى ألم شديد يشبه ألم من ذبح بغير سكين، و من أراد المدح قال إنه لشدة تحرزه فى أحكامه و اجتهاده فى نقضه و ابرامه و إنعامه النظر فيما يحدث من الوقائع و يتجدد من خفايا الاحكام و النظر فى أمر الوصايا و مال الايتام إلى غير ذلك من الأمور المشقة يحصل له من الألم مقدار ألم من ذبح بغير سكين، بل أشد لأن من ذبح بغير سكين يقاسى الألم فى حال ذبحه، ثم يستريح، و الحاكم بهذه الأمور مستمر التعب دائم النكد مشتغل القلب منقسم الفكر دائم النظر، فنسأل اللّه اللطف بنا و به إنه على ما يشاء قدير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۴۹

القسم الثالث و الأربعون التجريد

و هو على قسمين .. الأول خطاب الغير، و المراد به المتكلم، و هو أولى باسم التجريد، و فائدته مع التوسع فى الكلام أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له، و ذلك قد يكون فضيلة كقول الحيص بيص:

إلام يراك المجد فى زيّ شاعرو قد نحلت شوقا فروع المنابر

و أنت نصبت الشعر علما و حكمةببعضهما ينقاد صعب المفاخر

أما و أبيك الخير انك فارس‌المقال و محيى الدّارسات الغوائر

و إنك أتعبت المسامع و النّهىبقولك عما فى بطون الدّفاتر - و قد تكون لنقيصه و لكن يؤثر إبداؤه إما لتشكّ كقول النابغة:

حننت إلى ريّا و نفسك باعدت مزارك من ريّا و شعبا كما معا

فما حسن أن تأتى الأمر طائعاو تجزع إن داعى الصبابة أسمعا

و أذكر أيام الحمى ثم انثنىعلى كبدى من خشية أن تقطّعا

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الرّباو ما أحسن المصطاف و المتربعا - أو يكون لغير التشكى و ذلك كالاعتذار كما قال المتنبى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۰ لا خيل عندك تهديها و لا مال‌فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

و اجز الأمير الّذى نعماه باديةبغير قول و نعمى القوم أقوال - القسم الثانى خطاب المتكلم لنفسه مخيلا لها أنّ معه غيره كما قيل:

أقول للنفس تأساء و تعزيةإحدى يدىّ أصابتنى و لم ترد و هذا النوع فى القرآن العظيم منه كثير و سنذكره فى فصل تلوين الخطاب إن شاء اللّه تعالى، و قد ذكرنا منه طرفا فى أنواع الالتفات، فانظره هناك فهو كثير:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۱

القسم الرابع و الأربعون الرجوع و الاستدراك

و هو من أنواع الاعتراض، و لكن علماء هذا الشأن أفردوا له بابا.

و هو على قسمين .. الأول أن تذكر شيئا و ترجع عنه كقولهم: و اللّه ما معه من العقل شىء، الّا مقدار ما يوجب الحجة عليه كقول زهير:

قف بالدّيار التى لم يعفها القدمبلى و غيرها الأرواح و الدّيم - القسم الثانى من الاستدراك: هو أن يبتدئ كلامه بما يوهم السامع أنه هجو، ثم يستدرك و يأخذ فى المدح كقول أبى مقاتل الضرير:

لا تقل بشرى و لكن بشريانغرّة الدّاعى و يوم المهرجان و هذا النوع غير مستحسن عند الحذاق، فإنّ السامع ربما يتطير من أول الكلام فيتأذى و لا يلتذ بما بعده، و الاستدراك فى الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى: بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ. و قوله تعالى: بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ. و قوله تعالى:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لكِنَّ الْبِرَّ على قراءة من خفف فرفع - البرّ - و قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ و قوله تعالى: قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى.

و فى القرآن كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۲

القسم الخامس و الأربعون السؤال و الجواب

و هو أن يحكى كلاما بقال، ثم يجيبه بقال أيضا. و هو فى القرآن العظيم كثير .. من ذلك قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ إلى قوله: فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ. و منه قوله تعالى:

قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. و فى الشعر منه كثير من ذلك قول امرئ القيس:

و يوم دخلت الخدر خدر عنيزةفقالت لك الويلات إنك مرجلى

فقلت لها سيرى و ارخى زمامهاو لا تمنعينا من جناك المعلّل و من بديعه قول بعض المتأخرين:

و كاملة الأوصاف وافرة الحياإذا افتخرت بالحسن اعجزها المثل

شكوت إليها ما أجنّ من الجوىفقالت إذا اشتدّ الجفا عذب الوصل

فقلت أصمّ العاذلون مسامعىفقالت إذا صحّ الهوى بطل العذل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۳ فقلت فما ذا عندكم لمدلّهفقالت له إما الحياة أو القتل

اذا شئت أن تحظى لدينا فكن لنافريدا فلا مال لديك و لا أهل

فكم هلكت فى حبّنا من معاشرو ما نهلوا صفو الحياة و لا علّوا

و لا ظفروا منا بأيسر طائلأ تطمع بالتفريط فى وصلنا جهل - و من ذلك قول الباخرزى:

قد قلت لها هجرتنى ما العلّهصدّت و تمايلت و قالت قل له قال علماء البيان: أحسن هذا النوع ما كثرت فيه القلقلة.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۴

القسم السادس و الأربعون التوهم. و يسمى الإيهام أيضا

و هو أن يجاء بكلمة توهم أخرى. و منه قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَ يوهم من لا يفهم أو يعلم العربية أن دينهم حقّ لأن دينهم اذا قرأها بالرفع من لا يفهم و لا يعلم العربية، اقتضى ذلك أن دينهم حق، و ليس كذلك. و منه قوله تعالى: قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَةِ من لا يفهم العربية و لا يفهم المعنى يعتقد أن ما نافية و أنه ليس عند اللّه خير من اللهو و من التجارة. و منه قوله تعالى:

إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ و من لا يعرف العربية إذا سمع هذه الآية اعتقد أن اللّه تعالى يخشى العلماء و العارف بالعربية و القراءة ينصب الجلالة، و يرفع العلماء فيظهر له أن العلماء هم الذين يخشون اللّه.

و منه قوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ من لا يعلم المعنى اعتقد أن الويل لاحق بالمصلين، و لهذا قال بعض الجهال:

ما قال ربك ويل للذين سهوابل قال ربّك ويل للمصلّينا - و قد يقع من ذلك فى الشعر كثير. و منه قول سحيم:

فجال على وحشيّه و تخالهعلى ظهره سبّا جديدا يمانيا فقوله- يمانيا- يوهم أنه شبّ بالشين. و كذلك قول المتنبى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۵

فإنّ الفئام الذى حوله لتحسد أرجلها الأرؤسا فقوله- أرجلها- يوهم أنه القيام بالقاف، و إنما هو بالفاء و الفئام الجماعات.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۶

القسم السابع و الأربعون التشعيب

و هو أن يكون فى صدر الكلام كلمة من عجزه مثل قوله تعالى:

قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ. و قوله تعالى: وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ.

و مثل قول الشيخ أبى العلاء:

قد أورقت عمد الخيام و أعشبتشعب الرحال و لون رأسى أغبر

و لقد سلوت عن الشباب كما سلاغيرى و لكنّ للحزين تذكّر - و قال آخر:

و ما هجرتك النفس يا عزّ أنّهاقتلتك و لكن قلّ منك نصيبها

و لكنّهم يا أحسن النّاس أولعوابقول إذا ما جئت هذا حبيبها

أهابك إجلالا و ما بك قدرةعلىّ و لكن ملء عين حبيبها

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۷

القسم الثامن و الأربعون الاستثناء

و هو أن يذكر شيئا ثم يرجع عنه، أو يدخل شيئا ثم يخرج منه بعضه. أما الاستثناء ففى القرآن منه كثير. فمنه قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ إلى قوله تعالى: إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ. و منه قوله تعالى: قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ. و مثله فى القرآن كثير. و أما الرجوع فلا ينبغى أن يكون فى القرآن منه شىء لأن المتكلم به لا يليق بجلاله أن يوصف بالرجوع عن شىء. و أما ما سوى القرآن ففيه منه كثير من ذلك فى الاستعمال قولهم- ليس له عقل الا ما تقوم عليه به الحجة- و أما فى الشعر فقد ورد فى أشعار كثيرة ..

منها:

أ ليس قليلا نظرة إن نظرتهاإليك و لكن ليس منك قليل - و منه قول الآخر:

و ما بى انتصار إن عدا الدّهر ظالماعلىّ بلى إن كان من عندك النّصر - و منه قول النابغة:

و لا عيب فيهم أنّ سيوفهم‌بهنّ فلول من قراع الكتائب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۸

القسم التاسع و الاربعون الغرابة .. و الظرافة .. و السهولة

أما الغرابة فقال ابن قدامة .. هى أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان فيقال ظريف و غريب، و إذا كان عديم المثال، أو قليله، و القرآن العظيم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة و معانيه نادرة و أسلوبه غريب قد مازجت القلوب عذوبته و حلت فى العيون طلاوته، وراق فى الأسماع سماعه، و استقر فى الطباع انطباعه، فلهذا لم يسأم على ترداده و لم تمله النفوس على دوام ايراده، فكل آية منه حسنة المساق، و كل كلمة منه عذبة المذاق، و كل معنى منه دقّ و رقّ .. و من هذا النوع فى أشعار العرب المخضرمين و المتأخرين كثير لا يحصى .. فمن ذلك قول بعض العرب:

هوى صاحبى ريح الشمال إذا جرتو أشفى لقلبى أن تهبّ جنوب

يقولون لو عزّيت قلبك لارعوىفقلت و هل للعاشقين قلوب - و قال آخر:

و لا تحسبنا هندا لها الغدر وحدهاسجية نفس كلّ غانية هند

فما خلف أجفانى شئون بخيلةو لا بين أضلاعى لها حجر صلد

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۵۹

- و قال آخر:

تقول نساء الحىّ تأمل أن تریمحاسن ليلى مت بداء المطامع

و كيف ترى ليلى بعين ترى بهاسواها و ما طهّرتها بالمدامع

و تلتذّ منها بالحديث و قد جریحديث سواها فى خروق المسامع - و قال آخر:

لا خير فى الحبّ وقفا لا تحركهعوارض اليأس أو يرتاحه الطمع

لو كان لى صبرها أو عندها جزعىلكنت أملك ما آتى و ما أدع

إذا دعى باسمها داع ليحزننىكادت له شعبة من مهجتى تقع

لا أحمل اللوم فيها و الغرام بهاما كلّف اللّه نفسا فوق ما تسع - و قال مسلم بن الوليد:

عينى لعينك حين تنظر «۱»لكنّ عينك سهم حتف مرسل

و من العجائب أنّ معنى واحداهو منك سهم و هو منى مقتل - و قال آخر:

و ما ذا عسى الواشون أن يتحدّثواسوى أن يقولوا إننى لك عاشق

نعم صدق الواشون أنت عزيزةعلىّ و إن لم تصف منك الخلائق - و قال أبو تمام:

أقول و قد قالوا استرحت بموتهامن الكرب روح الموت شرّ من الكرب

---

(۱) كذا فى الأصل و لم نقف عليه فى المطبوع من شعره.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۰

- و قوله أيضا:

و قالوا عزاء الموت للنّفس مدفعفقلت و لا للحزن مذ مات مدفع و من الغريب السهل الظريف قول أبى تمام فى قصيدته التى أولها:

ما فى وقوفك ساعة من بأستحيى بقايا الأربع الأدراس

إقدام عمرو فى سماحة حاتمفى حلم أحنف فى ذكاء إياس

لا تنكروا ضربى له من دونهمثلا شرودا فى الندى و البأس

فاللّه قد ضرب الأقلّ لنورهمثلا من المشكاة و النّبراس و هذه الأبيات على غاية من الغرابة، و على نهاية من الظرافة و الإطابة، أغرب ما فيها أن أبا تمام لما أنشد قوله:

إقدام عمرو فى سماحة حاتمفى حلم أحنف فى ذكاء إياس قال بعض من حضر فى مجلس الخلافة، شبه أمير المؤمنين بكل بوال على عقبيه، فأنشد فى الحال بديها:

لا تنكروا ضربى له من دونهالبيتين فقال له الخليفة تمنّ فقال تمنيت الموصل، فكأن الخليفة توقف عن ذلك فقال له حكيم عنده اعطها له فانه لا يصل إليها فإننى من قوة فكرته شممت رائحة كبده، فتوجه إليها فمات فى الطريق. و هذا النوع القرآن كله منه فإنه من غرابة الأسلوب و بداعة السياق و جودة الاتساق على غاية لا تدرك و طريقة لبعد مثالها لا تسلك .. و من هذا النوع قول زهير:

و ما كان من خير كبير فإنّماتوارثه آباء آبائهم قبل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۱ و هل ينبت الخطى الّا وشيجهو تغرس إلّا فى منابتها النخل

على مكثريهم حقّ من يعتريهمو عند المقلّين السماحة و البذل قال المصنف عفا اللّه عنه: هذا البيت قد ذكر أرباب هذه الصناعة أنه

أمدح بيت قالته العرب، و قد طعن عليه بعض الحذاق منهم، و ذكر فيه عيوبا منها أنهم لو كانوا كرماء ما كان فيهم مقل. و منها أنه جعل حق المعترى على المكثرين واجبا عليهم، و لم يوجبه على المقلين، فكان المكثرون عليهم إكرام الضيف واجبا، و لم يكن واجبا على المقلين، فاقتضى ذلك أن يكون إعطاء المكثرين عن كظم، و إعطاء المقلين عن كرم، فصار المقلون أحسن حالا من المكثرين و أكرم أنفسا، و عليه مآخذ غير هذه، و لسنا بصدد استيفائها، و هذا الباب واسع جدا، و ما ذكرناه فيه مقنع.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۲

القسم الموفى خمسين ما يوهم فسادا. و ليس بفساد

و هو أن يقرن الناظم أو الناثر كلاما بما ليس يناسبه، أو يقدم التشبيه على ذكر المشبه .. و منه فى القرآن كثير، و كذلك فى أشعار العرب .. أما القرآن. فمنه قوله تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى قرنها بقوله: وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَ الآية و اتبعها. بقوله:

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً الآية فليس قبلها و بعدها ما يناسبها. و منه قوله تعالى: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى الذى يقتضيه المعنى المناسب ظاهرا أن يقول أنّ لك أن لا تجوع فيها و لا تظمأ، و أنك لا تعرى فيها و لا تضحى.

و منه قوله تعالى: وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ و غير العالم المطلع على خفايا معانى القرآن العظيم يظن فى ذلك كله عدم المناسبة، و ليس الأمر كذلك بل ما ورد به القرآن العزيز هو الأحسن، و سنذكر إن شاء اللّه المناسبة فى ذلك .. فأما آية اليتامى فقد ذكر أئمة التفسير فى المناسبة وجوها. أحدها ما روى عن عائشة رضى اللّه عنها قالت هذا فى اليتيمة تكون عند وصيها فيعجبه حسنها و مالها فيمنعها عن الأزواج ليتزوجها بمهر دون مهر مثلها، و يحوز مالها فأعلم اللّه المؤمنين أن من خشى منهم أن يقع فى مثل ذلك مع اليتامى، فلينكح ما طاب له من النساء من غير اليتامى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۳

و قيل المعنى فإن كنتم من التقوى على حد تخشون أن تلوا مال اليتيم خشية عدم الاقساط، فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعنى اثنتين أو ثلاثا أو أربعا فإنّ من كان بهذه المثابة من خوف اللّه و التقوى لا يخشى عليه من الجور و الميل، و عدم العدل بين نسائه بدليل ما عقبه به من قوله: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً و قد ذكر أئمة التفسير فى الجمع غير ذلك اقتصرنا على هذا خشية التطويل. و أما آدم عليه السلام فقد تقدم فى المناسبة انها تارة يقصد فيها مناسبة اللفظ، و المعنى، و تارة يراعى فيها مناسبة اللفظ فقط و تارة يراعى فيها مناسبة المعنى، و هذه الآية منه و هو الذى أريد لأن- الجوع- خلو الباطن عن الغذاء- و التعرى- خلو الظاهر عن الثياب- و الظمأ- احتراق الباطن بالحرارة- و الضحى- احتراق الظاهر فظهرت المناسبة من حيث المعنى فيها .. و أما آية الصلوات و المحافظة عليها فقد سئل عنها بعض أجلة أهل العلم رضى اللّه عنهم فقال لما أمر اللّه تبارك و تعالى بالمحافظة على حقوق الخلق ذكر لهم حقوقه و هو الصلاة ليجمع لهم فى التعليم بين مراعاة حقوق الخلق و الحق، ليحصل لهم الكمال، ثم لما كانت حقوق الآدميين منها ما هو متعلق بالحياة، و قد ذكر ذلك قبلها ناسب أن يذكر الحقوق المتعلقة بالممات بعدها.

و قد ذكر أهل التفسير رضى اللّه عنهم فيها أجوبة كثيرة اقتصرنا على هذا منها. و قد وقع فى اشعار العرب الأقدمين و المتقدمين من الإسلاميين و المتأخرين من هذا النوع كثير. من ذلك قول امرئ القيس:

كأنى لم أركب جوادا للذة و لم اتبطّن كاعبا ذات خلخال

و لم أسبأ الزق الرّوىّ و لم أقل لخيلى كرّة بعد إجفال - قال بعض النقاد إن هذا فاسد لأنه جعل التغزل مجاورا للشجاعة فى البيتين و الأجود أن يجاور الشجاعة بالشجاعة، و الغزل بالغزل فيقول:

«كأنى لم أركب جوادا و لم أقل‌لخيلى كرّى كرّة بعد اجفال

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۴ و لم أسبأ الزّق الروى للذةو لم أتبطن كاعبا ذات خلخال - و من هذا النوع قول المتنبى:

وقفت و ما فى الموت شك لواقف‌كأنّك فى جفن الرّدى و هو نائم

تمرّ بك الابطال جرحى هزيمةو وجهك وضّاح و ثغرك باسم - و هذا الذى ذكره النقاد قد رده جماعة من الحذاق بما حكى أن سيف الدولة قال للمتنبى، هذا فاسد المجاورة، لأنك أتيت بالتشبيه قبل ذكر المشبه و الأجود أن تقول:

وقفت و ما فى الموت شك لواقفو وجهك وضاح و ثغرك باسم

تمرّ بك الابطال كلمى هزيمةكأنك فى جفن الرّدى و هو نائم - فقال المتنبى أيّد اللّه مولانا الأمير إن صح الذى استدرك صح الذى استدرك على امرئ القيس، و هو أعلم بالشعر منّى، فقد أخطأ امرؤ القيس و أسأت أنا و مولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزاز كمعرفة الناسج، لأن البزّاز يعرف جملته و الحائك يعرف جملته و تفاريقه لأنه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ..

و إنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة ركوب الخيل للصيد، و قرن السماحة فى سباء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الاعداء، و أنا ذكرت الموت فى أول البيت فأتبعته بذكر الردى، و هو الموت لتجانسهما، و لما كان الجريح المنهزم لا يخلو وجهه من أن يكون عبوسا و عينه من أن تكون باكية قلت- و وجهك وضّاح و ثغرك باسم- لأجمع بين الأضداد فى المعنى، و ان لم يتسع اللفظ لجمعهما فأعجب سيف الدولة بقوله و وصله بخمسين دينارا .. و من ذلك قول بعضهم:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۵ فإنّك إن تهجو تميما و ترتشىسرابيل قيس أو سحوق العمائم

كمهرق ماء فى الفلاة و غرّهسراب أذاعته رياح السمائم - و قال آخر:

إنى و تركى ندا الأكرمينو قدحى بكفّى زنادا شحاحا

كتاركة بيضها بالعراء و ملبسة بيض أخرى جناحا يجب ان يكون كل بيت من الأولين مع بيت من الآخرين، لأنه أجود و أنسب .. و من هذا النوع أيضا قول الشاعر:

فيا أيها الحيران فى ظلمة الدّجىو من خاف أن يلقاه بغى من العدا

تعال اليه تلق من نور وجههدليلا- و من كفّيه بحرا من النّدا قال النقّاد هذا فاسد التفسير، لأنه قابل البغى بالسماحة، و كان يجب أن يقابل بغير ذلك فيقول تنظر أسدا حاميا و ليثا مانعا. و قد قيل فى هذا البيت انه دل على الشجاعة بلازمها لأن الشجاع لا يكون بخيلا، و لذلك قال الشاعر:

لا تطلبنّ من البخيل شجاعةإنّ البخيل يخاف أسباب الرّدى

من لا يجود بماله يوم الندااأنّى يجود بنفسه يوم اللقا و قد تعسف لهذه الابيات وجوه من المعانى، و ضروب من التصحيح تخرج بها من أن تكون فاسدة، ليس هذا موضع استيفائها و فيما ذكرت كفاية و مقنع و اللّه الهادى و الموفق.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۶

القسم الحادى و الخمسون فى النادر و البارد

فأما البارد فليس فى القرآن العظيم منه شىء، و سيأتى بيانه فى الفن الثالث الذى ليس فى القرآن العظيم منه شىء .. و أما النادر فالقرآن مشحون به فإن أكثر ألفاظه نادرة الوجود و معانيه مستوفية للمقصود كل كلمة منه جامعة لمعان شتى، و كل آية تحتوى على معان لغير المتكلم به لا تتأتى، و كل سورة إحكام أحكامها لا ينحصر، و إعجاز إيجازها قد أعجز البشر، و فيه النادر الحسن و الأحسن .. فمن الآيات التى لم ينسج على منوالها و لا سمحت قريحة بمثالها قوله تعالى: فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ إلى قوله: وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ و لهذا انّ ابن المقفع لما عارض القرآن و وصل إلى هذه الآية قال هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، و ترك المعارضة و مزق ما كان اختلقه. و من ذلك أيضا قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ جمعت هذه الآية أمرين و نهيين و خبرين و وعدين .. و من هذا النوع فى القرآن كثير، بل القرآن كله حسن و أحسن، و ليس هذا موضع استقصاء الاحسن، و فى أشعار العرب من هذا كثير و قد تقدم بيانه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۷

القسم الثانى و الخمسون المساواة و التقصير

و هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزيد عليه و لا ينقص.

و القرآن العظيم جله بل كله على هذا النمط. و أما التقصير فليس فى القرآن منه شىء و سيأتى بيانه فى الفن الثالث.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۸

القسم الثالث و الخمسون التصريح بعد الإبهام. و يسمى التفسير

قال أئمة هذا الشأن المراد بالتفسير بعد الابهام تفخيم المبهم و اعظامه، لأنه هو الذى يطرق السمع أولا فيذهب السامع فيه كل مذهب كقوله تعالى:

وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ فسر ذلك الأمر بقوله- أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين- و فى ابهامه أولا و تفسيره بعد ذلك تفخيم للمبهم و تعظيم لشأنه فانه لو قال تعالى- و قضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين- لما كان بهذه المثابة من الفخامة فإنّ الابهام أولا يوقع السامع فى حيرة و تفكر و استعظام لما قرع سمعه فيتشوف إلى معرفة كنهه و الاطلاع عليه و على حقيقته .. و من هذا الباب قوله تعالى: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ لما جاء فى الاول من التنبيه و الاشعار بأن- الصراط المستقيم- هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول- هل أدلك على أكرم الناس و أفضلهم- ثم تقول- فلان- فيكون ذلك أبلغ فى وصفه بالكرم و الفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم و الأفضل لأنك بدأت بذكره مجملا ثم بينته مفصلا فجعلته علما فى الكرم و الفضل كأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين جميعا فعليه بفلان. و على نحو من هذا جاء قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ إلى قوله:

يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ أ لا- ترى كيف قال- أهدكم سبيل الرشاد- فأبهم سبيل الرشاد فلم يبين أى سبيل هو، ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بذم الدنيا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۶۹

و تصغير شأنها لأن الإخلاد اليها أصل الشر كله، ثم ثنى ذلك بتعظيم الآخرة و الاطلاع على حقيقتها و أنها هى الوطن المستقر، ثم ثلث بذكر الأعمال سيئها و حسنها و عاقبة كل منها ليثبط عما يتلف و ينشط لما يزلف، فكأنه قال: سبيل الرشاد هو الإعراض عن الدنيا و الرغبة فى الآخرة، و الامتناع عن الأعمال السيئة خوف المقابلة عليها، و المسارعة إلى الاعمال الصالحة رجاء المجازاة عليها .. و كذلك قوله تعالى: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ و لم يقل قواعد البيت لما فى ابهام القواعد، و لما فى تبيينها بعد ذلك من الإيضاح و تفخيم حال المبهم بما ليس فى الاضافة .. و من هذا الباب قوله تعالى:

وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً إلى قوله: فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى الآية لما أراد تفخيم ما التمس من بلوغه اسباب السموات أبهمها أولا ثم فسرها ثانيا، و لأنه لما كان بلوغهما أمرا عجيبا أراد أن يورده على صورة مشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب، فأبهمه لتتشوف اليه نفس هامان، ثم أوضحه بعد ذلك ..

و مما يدخل فى هذا الباب الابتداء بذكر الضمير، ثم الافصاح بذكر صاحبه وحده كقوله تعالى: وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ فإنه لما أتى بالضمير الذى هو منه قبل صاحبه الذى هو فى القرآن كان ذلك تفخيما له و تعظيما من أمره و لو قال- و ما تكون فى شأن و ما تتلو من قرآن- و لم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التى كانت له مع ذكر الضمير .. و مثل هذا قولهم الكريم العالم الفاضل- ثم يقال- فلان- و قد سبق الكلام عليه ..

و أما الابهام من غير تفسير فكثير شائع فى القرآن العزيز كقوله تعالى:

إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ أى الطريقة أو الحالة أو الملة التى هى أقومها و أشدها، و أىّ ذلك قدرت لم تجد له مع الافصاح ذوق البلاغة الذى تجده مع الإبهام، و ذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب و ايقاعه على محتملات كثيرة، و هذا لا يخفى على العالم برموز صناعة التأليف فاعرفه .. و مما يدخل فى هذا الباب الاستثناء العددى، و هو ضرب من التأليف لطيف المأخذ عجيب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۰

المغزى، و إنما يفعل ذلك طلبا للمبالغة لأن له تأثيرا شديدا فى القلب، و موقعا عظيما فى النفس و فائدته أنه أول ما يطرق سمع المخاطب ذكر العقد فى العدد فيكبر موقع ذلك عنده، و هو شبيه بما ذكرنا من الإبهام، ثم التفسير بعدهما يسوّى بينهما .. فمن ذلك قوله تعالى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فانه انما قال- ألف سنة إلا خمسين عاما- و لم يقل تسعمائة و خمسين عاما لفائدة حسنة و هى ذكر ما ابتلى به نوح عليه الصلاة و السلام من أمّته، و ما كابده من طول المقام ليكون ذلك تسلية لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و تنبيها له، فإن ذكر رأس العدد الذى هو منتهى العقود و أعظمها أوقع و أوصل إلى الغرض من استطالة السامع قوّة صبره، و ما لاقاه من قومه .. و من بديع التفسير بعد الابهام قوله تعالى: إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَ فُرادى و لو حذف- واحدة- كان الأمر كما ذكرنا و ذهبت تلك الفخامة التى فى الابهام و زال ما فيه من الغموض و انقطع شوق النفس إلى التفسير و فسر- الواحدة- بقوله أن تقوموا للّه مثنى و فرادى .. و منه قوله تعالى: وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى فَغَشَّاها ما غَشَّى. و منه قوله تعالى:

فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ. و منه وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ. و منه فى الاستعمال قولهم فؤاد فيه ما فيه .. و منه قول الشاعر فى وصف الخمر:

فقد مضى ما مضى من عقل شاربها و فى الزجاجة باق يطلب الباقى - و منه قول الآخر:

مضى ما مضى حتى علا الشيب رأسه فلمّا علاه قال للباطل ابعد - و قال آخر:

سأغسل عنى العار بالسّيف جالبا علىّ قضاء اللّه ما كان جالبا فاعرف ذلك و قس عليه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۱

القسم الرابع و الخمسون التعقيب المصدرى

و انما يعمد إلى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدّمه و الاشعار بتعظيم شأنه أو بالضد من ذلك .. مثال الأول قوله تعالى: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إلى قوله: هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فقوله- صنع اللّه- من المصادر المؤكدة لما قبلها و هو كقوله:

وَعَدَ اللَّهُ. و صِبْغَةَ اللَّهِ أ لا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم الدال على القدرة الباهرة من النفخ فى الصور و إحياء الموتى و الفزع و احضار الناس للحساب، و تسيير الجبال كالسحاب فى سرعتها، و هى عند الرؤية لها و المشاهدة كأنها جامدة عقّب ذلك بأن قال- صنع اللّه- أى هذا الأمر العجيب البديع صنع اللّه، و المعنى: و يوم ينفخ فى الصور، و كان كيت و كيت من الأشياء الباهرة و اثابة اللّه المحسنين، و معاقبة المجرمين، فجعل هذا الصنع من جملة الأمور التى هى أنفسها، و أتى بها على الحكمة و الصواب حيث قال- صنع

اللّه الذى أتقن كل شىء- يعنى أن مقابلة الحسنة بالثواب و السيئة بالعقاب من إحكام الاشياء و اتقانه لها و اجرائه اياها على الحكمة، أى انه عالم بما يفعل العباد، و بما سيرجعون إليه فيكافئهم على حسب أفعالهم، ثم لخص ذلك بقوله: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ إلى آخر الآيتين. فانظر أيها المتأمل إلى بداعة هذا الكلام و حسن نظمه و ترتيبه و مكانة ايجازه و فصاحة تفسيره، و أخذ بعضه برقاب بعض، كأنه أفرغ افراغا واحدا، و لأمر ما أعجز القوى و أخرس

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۲

الشقاشق.

و نحو هذا المصدر اذا جاء عقيب الكلام كان كالشاهد بصحته و المنادى على سداده، و أنه ما كان ينبغى أن يكون إلا ما قد كان أ لا ترى إلى قوله- صبغة اللّه. و صنع اللّه. و وعد اللّه. و فطرة اللّه- بعد ما وسمها باضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله- الذى أتقن كل شىء- .. و أما الثانى و هو ضد الأول و ذلك ما يراد به تصغير الشأن كقولهم إذا ذكر انسانا يريدون ذمه- قد ركب هواه. و استمر على غيه. و تمادى على جهله. و سحب ذيل عجبه- و ما أشبه ذلك ثم يقول- صنع الشيطان الذى غلب النفوس، و ميل الألباب- و مثل هذا كثير فاعرفه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۳

القسم الخامس و الخمسون النفى و الإثبات

و هو أعلى ضرب من البلاغة كثير الفوائد عذب الموارد. و قد تكلم فيه أرباب علم الكلام، و أرباب علم البيان، و قالوا إن نفى الخاص يدل على ثبوت العام، و لا يدل نفيه على نفيه. و قد بينا أن زيادة المفهوم فى اللفظ توجب زيادة الالتذاذ به لحصول جملة من الملاذ دفعة واحدة، و لذلك كان نفى العام أحسن من نفى الخاص و إثبات الخاص أحسن من اثبات العام. أما الأول فكقوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ و لم يقل بضوئهم لأن النور أعمّ من الضوء إذ يطلق على الكثير و القليل، و إنما يقال الضوء على القدر الكثير.

و لذلك قال تعالى: هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً و هاهنا دقيقة و هو أنه قال- ذهب بنورهم- و لم يقل أذهب نورهم لأن الإذهاب بالشىء لا يمنع من عود ذلك الشىء بخلاف الذهاب إذ يفهم من ذلك استصحابه فى الذهاب، و مقتضى ذلك منعه من الرجوع. و كذلك قوله تعالى: قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلالَةٌ معناه لا ضلالة واحدة بى و يلزم من ذلك أن لا يثبت له فرد من الضلال البتة و لا كذلك لو قال ليس بى ضلال، لأن اسم الجنس يقال على الكثير و القليل فيجوز أن يكون المنفى هو الكثير. و مما يشبه ذلك قوله تعالى:

فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍ فإن هذا يدل على النهى عن الضرب أيضا، لا على أن

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۴

التأفيف اعم، بل لأن المقصود من منع التأفيف هو الإكرام، و عدم الإهانة، و الإهانة بالضرب أكثر من الإهانة بالتأفيف.

الثانى كقوله تعالى: وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ و لم يقل طولها لأن العرض أنقص إذ كلما له عرض فله طول و لا ينعكس. و مما يتعلق بهذا انه إذا كان الشىء يشبه أشياء بعضها أتم فى التشبيه، أو أوفق من بعض فالأولى و الأهم الاقتصار على ما هو أتم و أوفق، فإن ذكر الكل فالأولى الابتداء بالأدنى، و الأضعف ليكون انتقال الذهن إلى الأعلى بتدريج، و لأن التشبيه بالأعلى ألذّ، و الانتقال من لذّة إلى ما هو دونها غير ملذّ و لا مستحسن فلذلك قال الأشتر النخعى:

حمى الحديد عليهم فكأنه‌لمعان برق أو شعاع شموس و إذا كان للشىء صفة يغنى ذكرها عن ذكر صفة أخرى، أو يدل عليها كان الاقتصار عليها أولى من ذكرهما، لأن ذكرهما كالتكرار و هو ممل، و إذا ذكر فالأولى تقديم المدلول عليها و تأخير الدالة حتى لا

تكون الآخرة قد تقدمت الدلالة عليها، و قد يخل بذلك لمقصود آخر كما فى قوله تعالى: وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا فإنه أخر نبيا لأجل السجع. و إذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه، كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر، فإن ذكرا فالأولى تأخير الدال، و قد يخل بذلك لمقصود كما فى قوله تعالى: ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها و على قياس ما قلنا ينبغى أن يقتصر على صغيرة، و إن ذكرت الكبيرة فلتذكر أولا. و مثله قوله تعالى:

فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما و على ذلك القياس يكتفى بقوله- و لا تقل لهما أف- و ان ذكرا فيقول- و لا تنهرهما و لا تقل لهما أفّ- .. و إذا تكررت الصفات فإن كان للمدح فالأولى الانتقال من الأدنى إلى الأعلى ليكون المديح مزيدا لتزايد الكلام، و إن كان للذم فقد قالوا ينبغى الابتداء بالأشد ذما، و هو مشكل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۵

و قد يجوز أن يستعمل نفى الخاص لنفى العام، و يسمى هذا عكس الظاهر، و هو من المجاز البديع. و مثاله قول على رضى اللّه عنه فى وصفه لمجلس رسول اللّه صلى الله عليه و سلم- إنه لا تنثى فلتاته- أى تذاع و المراد أنه لا فلتات له البتة، و إنما يعرف ذلك لأنه نكرة فى معرض المدح و انما يكون كذلك إذا كان المراد ما ذكرناه. و منه- ليس بها ضب فينجحر- و المراد أنه لا ضب بها .. و كذلك قول بعضهم:

تردين جلباب الحياء فلم يرىلذيولهنّ على الطريق غبار

و المراد انهن لا يخرجن و لا يمشينو هذا ينبغى أن يكون من باب تنسيق الصفات لكن فيه زيادة و اقتضت إفراده.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۶

القسم السادس و الخمسون فى الضمائر و ما يتعلق بها

اعلم وفقنا اللّه و اياك ان الضمير لا يخلو إما أن يكون معلوما أو لا يكون كذلك. فالأول تأكيده بضمير آخر، و عدم تأكيده بذلك سواء فى البلاغة كما فى قوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مع قوله تعالى:

تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ و ذلك لأن قدرة اللّه تعالى، و علمه معلومان فاستوى حذف الضمير المؤكد و ثباته معهما.

و الثانى الأولى فيه، و الأفصح تأكيد الضمير بضمير آخر، و ذلك إذا أريد تقوية المتعلق به، و حينئذ إما أن يكون الضميران متصلين أو منفصلين أو أحدهما متصل و الآخر منفصل. أما المتصلان فكقوله تعالى: قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً و إنما أكد هنا دون قصة السفينة لارادته فى قصة الغلام زيادة النكر ..

و أما المنفصلان فكقول المتنبى:

فإنّك أنت أنت و أنت منهمو جدّك بشر الملك الهمام و الغرض المبالغة فى زيادة المدح .. و أما إذا كان أحد الضميرين منفصلا و الآخر متصلا فكقوله تعالى: قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى و هاهنا دقائق. أحدهما الإتيان بلفظة- إنّ- المشددة لتفيد تأكيد ثبوت ما بعدها.

و ثانيها تكرير الضمير يدل على تأكيد ما يتعلق به. و ثالثها ذكر- الأعلى- معرّفا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۷

يدل على أن غيره لا يكون كذلك بخلاف عالى و أعلى. و رابعها أن- الأعلى- بصفة أفعل يشعر بزيادة العلو. و خامسها حذف لام العلة يفيد زيادة علة لعدم الخوف لأن قوله- لا تخف- علة لعدم الخوف لأنه نهى عنه و اشتقاقه بعد ذلك بقوله: إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى- منع أيضا من الخوف لأن الأعلى لا يخاف الأدنى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۸

القسم السابع و الخمسون الفصل و الوصل

اشارة

و هو العلم بمواضع العطف و الاستئناف و التهدى إلى كيفية ايقاع حروف العطف فى مواقعها، و هو من أعظم أركان البلاغة حتى قال بعضهم: حد البلاغة معرفة الفصل و الوصل .. و اعلم أن فائدة العطف التشريك بين المعطوف و المعطوف عليه، ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلّا هذا القدر، و هو الواو، و هو المراد بالذكر هاهنا و العطف و المعطوف عليه على ثلاثة أقسام: الأول: عطف مفرد على مفرد و هو يقتضى التشريك فيما يوجب الإعراب. الثانى: عطف الجمل التى فى قوة الإفراد و يقتضى التشريك أيضا.

الثالث: الجمل التى ليست فى قوة المفرد. و هى على قسمين: قسم يكون فيه معنى أحد الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الأخرى، كما إذا كانت كالتوكيد لها فلا يجوز إدخال العاطف، لأن التوكيد و الصفة متعلقان بالمؤكد و الموصوف لذاتيهما و التعلق الذاتى يغنى عن لفظ يدل عليه، فالتأكيد كقوله تعالى:

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. و كقوله تعالى: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً و لم يقل و كأن لأن المقصود من التشبيه بمن فى أذنيه وقر التشبيه بمن لا يسمع إلا أن الثانى أبلغ .. و كذلك قوله تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ. و قوله تعالى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى الاثبات فى الآيتين جميعا تأكيد لنفى ما نفى ..

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۷۹

و أما قوله تعالى: إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ فيحتمل أن يكون تأكيدا لقوله: ما هذا بَشَراً إذ المرتفع عن البشرية من المخلوقات إنما هو الملك، و لأن الناس إذا شاهدوا فى الانسان من الخلق الحسن و الخلق الجميل ما يعجبوا منه، قالوا: ما هذا بشر لأن غرضهم أن يقولوا أنه ملك، فلما كان ذلك مفهوما قبل التصريح به كان التصريح به تأكيدا، و يحتمل أن يكون صفة له فإن اخراجه عن جنس البشرية يتضمن دخوله تحت جنس آخر لا- تحت الملك على الخصوص، فإن القسمة غير محصورة فى النوعين، فجعله ملكا تعيين لذلك النوع و تمييز له عن غيره. الثانى أن لا يكون بين الجملتين تعلق ذاتىّ، فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العطف، و لذلك عابوا أبا تمام فى قوله:

لا و الذى هو عالم أنّ الهوىصبر و أنّ أبا الحسين كريم إذ لا مناسبة بين مرارة الهوى، و بين كرم أبى الحسين. ثم إن كان المحدث عنه فى الجملتين شيئين لغير المناسبة فى الذى أخبر بهما، و الذى أخبر عنهما و المراد بالمناسبة أن يكونا متشابهين كقولك: زيد كاتب و عمرو شاعر أو متضادين تضادا على الخصوص، كقولك: زيد طويل، و عمرو قصير، و كقولك العلم حسن، و الجهل قبيح. فلو قلت زيد طويل و الخليفة قصير أخلّ المعنى عند السامع إذ لم يكن لزيد تعلق بحديث الخليفة، و لو قلت زيد طويل، و عمرو شاعر اختل اللفظ، إذ لا مناسبة بين طول القامة و الشعر ..، و إن كان المحدث عنه فى الجملتين شيئا واحدا كقولك: فلان يقول: و يفعل فيجب الاتيان بالعاطف فإن الغرض جعله فاعلا- للأمرين، و ترك العاطف يوهم أن الثانى رجوع عن الأول و الاجتماع لزيادة الاشتراك كقولك العجب من إنك تنهى عن شىء و تأتى مثله. و كقول الشاعر:

لا تطمعوا أن تهينونا و نكرمكمو أن نكفّ الأذى عنكم و تؤذونا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۰

أى لا- تطمعوا أن تروا اكرامنا اياكم يوجد مع اهانتكم ايانا و يجامعها فى الحصول .. و العاطف تارة يجب اسقاطه، و تارة يجب

كإثباته، و تارة يخير بين اسقاطه و اثباته .. أما الذى يجب اسقاطه، فهو اذا كان اثباته يخل بالمعنى كقوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ فقوله- ألا انهم هم المفسدون- كلام مستأنف و هو إخبار من اللّه تعالى، فلو أتى بالواو العاطفة لكان اخبارا عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى و يتناقض الكلام .. و كذلك قوله تعالى: وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فهذا إخبار من اللّه تعالى، و فى الحقيقة جواب سؤال مقدر لأنه تعالى لما أخبر عنهم بأنهم قالوا: كيت و كيت تشوّف السامعون إلى العلم بمصير أمرهم، فكأنه قيل: فما ذا فعل اللّه بهم؟ فقال: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ .. و أما ما يجب اثبات العاطف فيه فقوله تعالى: يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ فان كل واحدة من الجملتين خبر من اللّه تعالى.

و مثله فى القرآن و اثباته لا يفيد معنى زائدا. و سيأتى بيان ذلك إن شاء اللّه تعالى.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۱

فصل يشتمل على ذكر جمل عطف بعضها على بعض بالواو. و الفاء. و ثم. و اختلاف معانيها

فمن ذلك قوله تعالى: هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَ الَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ عطف أولا- بالواو، لأن الاطعام و الاسقاء ليس فيهما ترتيب واجب مع أن تأخير الإسقاء أولى، و لذلك أخره فى الذكر، و عطف ثانيا بالفاء إذ لا مهلة بين المرض و الشفاء و عطف بثم لما بين الإماتة و الاحياء من المهلة، و مع ذلك نسب الموت الى اللّه لما فى ذلك من إظهار القدرة و القهر، و نسب المرض إلى نفسه، لأن الادب أن لا ينسب الى اللّه تعالى الّا ما يحمد و الموت، و إن كان مذموما لكنه عند قاتل هذا محمود لأنه على يقين من السعادة الأخروية.

و من ذلك قوله تعالى: فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ إنما عطف بالفاء مع أن بين مجيء المخاض و الحمل مهلة، لأن المهلة التى بين حملها و مخاضها كانت مدة يسيرة قيل كانت يوما، و قيل كانت ثلاث ساعات، و عليه أكثر المفسرين حتى يتميز حملها عن سائر النساء، و يكون ذلك كرامة لها. فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك .. و جميع أفعال المطاوعة إذا كانت على معانيها فإنما يعطف عليها بالفاء، لا الواو، و تقول دعوته: فأجاب و أعطيته فأخذ و لا يحسن أعطيته، و أخذ و لا دعوته و أجاب قال اللّه تعالى حكاية عن ابليس: وَ ما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۲

مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي و كذلك تقول كسرته فانكسر و لا تقول كسرته و انكسر. و أما إذا كان فعل المطاوعة على غير معناه فقد يحسن العطف عليه بالواو كما فى قوله تعالى: وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ. و من المعطوف بالواو أيضا قوله تعالى: وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ و لو قال لفى هدى، أو على ضلال لم يحسن لأن- على- تفيد الاستعلاء، و هو مناسب للحق- و فى- تفيد الوعاء و الكافر كأنه مغموس فى الضلال .. و من هذا النوع قوله تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ ما عدل عن اللام فى الأصناف الأخيرة الا لبيان أن تلك الأصناف أحق بالصدقات ينبغى أن توضع فيهم وضع الشىء فى الوعاء، و كرر فى البيان أن سبيل اللّه أولى بذلك فتأمله فهو كثير فى القرآن.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۳

القسم الثامن و الخمسون فى الوصف

و الوصف أصله الكشف و الاظهار من قولهم- وصف الثوب الجسم- إذا لم يستره و نم عليه .. و أحسنه ما يكاد يمثل الموصوف

عيانا، و لأجل ذلك قال بعضهم: أحسن الوصف ما قلب السمع بصرا .. و منه فى القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى فى وصف البقرة التى أمر بنو اسرائيل بذبحها لما سألوا أن توصف لهم بقولهم: ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ و قوله لما سألوه أن يصف لهم لونها: قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ و قوله لما سألوه بيان فعلها قال انه: يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها فجمع فى هذه الآية جميع الأحوال التى يضبط بها وصف الحيوان فإن الحيوان عند البيع و الإجارة و سائر وجوه التمليكات يحتاج فيه إلى معرفة سنه و لونه و عمله، ثم يفتقر فيه إلى معرفة عيوبه فنفى اللّه سبحانه و تعالى عن تلك البقرة كل عيب- بقوله- لا شية فيها- فجمع فى هذه الآية جميع وجوه الوصف فإنه فى الأول وصف سنها و فى الثانى وصف لونها، و فى الثالث وصف خلقها و عملها .. و من ذلك قوله تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ أى صفة الجنة التى وعد المتقون كيت و كيت. و منه قوله تعالى: مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا. و قوله تعالى: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ الآية. و قوله تعالى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۴

مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا الآية .. و من هذا الباب فى القرآن كثير لا يحصى، و كذلك فى السنة النبوية، و كذلك فى الشعر .. و من بديع ما ورد فى الشعر قول أبى تمام فى وصف سحابة:

ديمة سحت العهاد سكوب‌مستغيث بها الثرى المكروب

لو سعت بقعة لاـ عظام أخرىلسعى نحوها المكان الجديب - و الوصف قريب من التشبيه الّا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز و الوصف راجع إلى حقيقته و ذاته. و فى القرآن العظيم و الكلام الفصيح منه كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۵

القسم التاسع و الخمسون تنسيق الصفات بغير حرف نسق

و هو أن تصف الشيء بصفات عديدة متوالية، إما لتعظيمه، و إما لتحقيره، و إما لبيان خصوصية فيه. و منه فى الكتاب العزيز كثير .. أما فى التعظيم فمثل قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاـ إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ الى آخر السورة. و أما فى التحقير فكقوله تعالى: وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ.

و ما لبيان الخصوصية و اظهار الكرامة فكقوله تعالى: عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً الآية. و منه فى السنة النبوية قوله صلى اللّه عليهم و سلم-» أ لاـ أخبركم بأحبكم إلىّ و أقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا المؤطئون أكنافا الّذين يألفون و يؤلفون»- و من الذم- أ لا أخبركم بأبغضكم إلىّ و أبعدكم منى مجالس يوم القيامة أساوئكم أخلاقا الثرثارون المتفيهقون- .. و من هذا النوع فى الشعر كثير. من ذلك قول العباس يمدح رسول اللّه صلى عليه و سلم:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه‌ثمال اليتامى عصمة للأرامل - و قول حسان:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم‌شمّ الأنوف من الطراز الأوّل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۶

القسم الستون حسن النسق

و هو أن تأتى بكلمات من النثر أو النظم متتاليات و متعاقبات منسوقة بعضها على بعض بحرف العطف، كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنى مفرد مستقبل، و كل بيت إذا جرد من تلوه استقل معناه و لم يفتقر إلى غيره، و إن ضم إليه تلوه صارا كأنهما بيتا واحدا .. و منه فى الكتاب العزيز قوله تعالى: وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ

قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فأنت ترى هذه الجمل معطوفا بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة، لأنه سبحانه بدأ بالأهم إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها، و لا يتهيأ لذلك الّا بانكشاف الماء عن الأرض، فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالانقلاع، ثم علم سبحانه أن الأرض إذا ابتلعت ما عليها و لم تنقطع مادة السماء تأذّى بذلك اهل السفينة عند خروجهم منها، و ربما ينزل من السماء أكثر مما تبتلع الأرض فأمرها بالاقلاع بعد أن أمر الارض بالابتلاع، ثم أخبر بغيض الماء عند ما ذهب ما على الأرض، و انقطعت مادة السماء، و ذلك يقتضى أن تكون ثالثة الجملتين المتقدمتين، ثم قال تعالى- و قضى الامر- أى هلك من قدر هلاكه و نجى من قضيت نجاته و هذا كنه الآية و حقيقة المعجزة، و لا بد أن تكون معلومة لأهل السفينة، و لا يمكن علمهم بها إلّا بعد

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۷

خروجهم منها، و خروجهم موقوف على ما تقدم، و بذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل، و كذلك استواء السفينة على الجودى أى استقرارها على المكان الذى استقرت فيه استقرارا لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتى بعد أهلها، و ذلك يقتضى أن تكون بعد ما ذكرنا.

و قوله سبحانه و تعالى: وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ و هذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق فدعا اللّه سبحانه و تعالى على الهالكين و سماهم و وصفهم بالظلم احتراسا من هذا الاحتمال، و ذلك يقتضى أن يكون بعد كل ما تقدم و اللّه أعلم. فانظر إلى حسن هذا النسق كيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء .. و قد حكى أن ابن المقفع العبدى عارض آى القرآن، فلما بلغ إلى هذه الآية أمسك عن المعارضة و قال هذه الفصاحة التى لا تبارى، و البلاغة التى لا يسابق المتكلم بها و لا يجارى، و القول الفصل الذى لا يختلف فيه و لا يتمارى. و هذا فى الشعر كثير .. و من أحسنه قول ابن شرف القيروانى:

جور عليّا و لا تحفل بحادثةإذا ادّرعت فلا تسأل عن الأسل

سل عنه و انطق به و انظر إليه تجدملء المسامع و الأفواه و المقل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۸

القسم الحادى و الستون المدح و الذم

و فى كتاب اللّه تعالى منه كثير. المدح للمؤمنين. و الذم للكافرين.

و مدحه هو المدح على الحقيقة. و ذمه هو الذم على الحقيقة .. و قد مدح اللّه تعالى نفسه بقوله: اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. و قوله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ حتى قال بعض العلماء لكل أحد نسبة و نسبة اللّه تعالى- قل هو اللّه أحد- و مدح اللّه عز و جل نبيه بآيات كثيرة كقوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً و مدح نبيه صلى اللّه عليه و سلم و المؤمنين فى آيات كثيرة. منها قوله تعالى:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً و مدح المؤمنين بقوله تعالى: التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ.

ذم سبحانه و تعالى الكافرين بآيات كثيرة. منها قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ الآية. و ذم المنافقين بقوله: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۸۹

أَلِيمٌ .. و أما مدح الناس بعضهم بعضا فينبغى لمن أراد أن يمدحه بألفاظ حسنة مستعذبة واضحة المعنى رائقة اللفظ غير حوشية و لا قلقة، و أن تكون القصيدة أو الرسالة حسنة المطلع بديعة التخلص عذبة المقطع، و أن يكثر فى وصف الممدوح و نشر مآثره و تعديد

مكارمه و نحو ذلك ..

و قد قال قدامة الأوصاف التى يمدح بها اربعة، الاول: العقل و يدخل فيه الحياء و الثبات و السياسة و الكفاءة و ثقافة الرأى و الصدع بالحجة و الحلم عن سفاهة السفهاء و أمثال ذلك. الثانى: الشجاعة و يدخل فيها المهابة و الحماية و الدفاع و الاخذ بالثأر و النكاية فى العدو، و قتل الأقران، و السير فى المهامة و أشباه ذلك. الثالث: العفة و يدخل فيها القناعة و قلة الشره و طهارة الإزار و نحو ذلك. الرابع: العدل و يدخل فيه السماحة و الإطلاق و التبرع بالنائل و اجابة السائل و قراء الضيف. و يحدث من تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش، و الغيرة على الحريم.

و مع العدل الإتلاف و ترك الخلاف. و يحدث من تركيب العفة مع العدل الإسعاف بالقوة و الإيثار على النفس و نحو ذلك .. و استوعب زهير الأقسام الأربعة فقال:

أخى ثقة لا تهلك الخمر ماله‌و لكنّه قد يهلك المال نائله وصفه بالعفة لقلة إمعانه فى اللذات و بالسخاء و وصفه بالشجاعة و العقل فقال:

و من مثل حصن فى الحروب و مثله‌لإذهاب ضيم أو لخصيم يجادله

و أما قوله- أخى ثقة- فهو وصف‌بالوفاء، و هو داخل فيما ذكرناه .. و فى الذم يأتى بأضداد ما تقدم. و قيل أحسن الهجاء ما لا تستحى العذراء من انشاده. و قيل فى الذم أن تأتى بالألفاظ المنكية، و المعانى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۰

المشجية و المقاصد المؤلمة المبكية، و يتوخى أقبح معايب المهجوّ و أعظم وجوه الازدراء به، و لهذا المعنى حرّمه اللّه و رسوله و عم بالذم و الانكار كل من يحفظه أو يقوله.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۱

القسم الثانى و الستون الحمد و الشكر

و قد اختلف العلماء فيهما، فقال قوم و هم الجمهور: الحمد هو ذكر ما فى الانسان من المآثر الحسنة و الصفات المستحسنة و الشكر ثناء يقصد به مجازاة المنعم .. و قال بعض أهل العلم ان الحمد وصف الحلال كقول الخنساء أخت صخر:

و ما بلغت كفّ امرئ متناولامن المجد إلّا و الّذى نلت أطول

و ما بلغ المهدون للناس مدحةو إن أطنبوا إلا التى فيك أفضل و الشكر وصف الأفعال كقول الشاعر:

و انكم بقية حىّ قيس‌و هضبته التى فوق النصاب

تبارون الرياح إذا تبارت‌و تمتّون أفعال السحاب

يذكرنى مقامى فى ذراكم‌مقامى أمس فى ظلّ الشباب و قيل ان الحمد و الشكر سواء. و قال أهل اللغة- حمدت الرجل- اذا شكرت له صنيعه- و أحمدته- إذا وجدته محمودا .. و قال ابن الانبارى- حمد- مقلوب مدح، و قد قيل كيف يكون الحمد و الشكر سواء و الحمد نقيضه الذم و الشكر نقيضه الكفران، و الذى أختاره أن الحمد أعمّ من الشكر، و انه قد يحمد الشخص على ما فيه من الأخلاق الجليلة و الصفات الجميلة، و يحمد على حسن خلقه من الصباحة و الجمال

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۲

و الكمال و يحمد على ما فيه من الفصاحة و البلاغة و النجابة، و يحمد على كثرة انعامه و احسانه و الشكر، إنما يكون للمنعم عليك فقط، فإذا حمدت أحدا إن نويت بالحمد الشكر له على ما اسدى إليك من الانعام و الإحسان، كان هذا الحمد هو الشكر لأنه مجازاة لصنيع و مكافأة لاحسان فقد اتيت بأعلى درجات الشكر هو الذى أشار إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بقوله الحمد رأس الشكر،

و هو الذى يجوز إطلاقه على الشكر، و إطلاق الشكر عليه، و إن أردت بالحمد الثناء على صفاته الجميلة الكاملة التى خلقه اللّه عليها، فهذا اخو المدح، و هو اعلاه و يجوز إطلاقه على المدح و حسن الشيم و الخلال و الثناء عليه بما أسدى إليك و إلى غيرك من الانعام و الإفضال، فهذا هو الحمد الكامل، و لا يجوز أن يطلق عليه الشكر و المدح، فهذا هو الحق .. و قد تكلم المفسرون فى الحمد و الشكر و الفرق و الجمع بينهما و بين المدح، و من علم ما ذكرته هنا سهل عليه الاختلاف و الائتلاف، و اللّه الموفق للصواب لا رب غيره.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۳

القسم الثالث و الستون تأكيد المدح بما يشبه الذم

و هو كقولهم: بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم .. و منه قول بديع الزمان:

هو البدر إلّا أنه البحر زاخراسوى انه الضرغام لكنّه الوبل و هذا من نوع الغلوّ و الإغراق، و سيأتى بيانه عقيب هذا القسم ان شاء اللّه تعالى. و هذا النوع فى القرآن كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۴

القسم الرابع و الستون المبالغة و تسمى الافراط و الغلوّ و الايغال و معنى هذه الاسماء متقاربة و بعضها أرفع من بعض

قال علماء علم البيان: المبالغة الزيادة على التمام، و سميت مبالغة لبلوغها إلى زيادة على المعنى لو أزيلت تلك الزيادة و أسقطت كان المعنى تاما دونها، لكن الغرض بها تأكيد ذلك المعنى فى النفس و تقريره .. و فى القرآن العظيم و الكلام الفصيح و الأشعار منه كثير ..

أما الكتاب العزيز فقوله تعالى: إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا.

و منه قوله تعالى: وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ و قد قيل إن هذه الآية ليست من باب المبالغة بل حكاية عما وقع.

و منه قوله تعالى: تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا. و قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى الآية .. و أما الكلام الفصيح فقد روى عن العرب أنهم قالوا فلان يهدّ الجبال و يصرع الطير و يفزّع الجن و يزوى الماء ..

و قال بعض العرب فى فرسه- يحضر ما وجد أرضا، و إن الوابل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۵

ليصيب عجزه و لا يبلغ معرفته حتى أنال حاجتى-. و ذم اعرابى رجلا فقال- يكاد يعدى لؤمه من تسمى باسمه-. و قالت سكينة- ما لبست بنتى الدرّ إلّا لتفضحه- و منه فى الشعر كثير .. فمن ذلك:

أضاءت لهم أحسابهم و وجوههمدجى اللّيل حتى نظّم الجزع ثاقبه و قال المتنبى:

لقيت الرّوابى و الشناخيب دونهوجبت هجيرا يترك الماء صاديا و قال آخر:

لو كان يقعد فوق النّجم من كرمقوم لقيل اقعدوا يا آل عباس و قال آخر:

فكنت إذا جئت ليلى بأرضهاأرى الأرض تطوى لى و يدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسهااذا ما مضت أحدوثة لو تعيدها

و كيف يودّ القلب من لا يودّهبلى قد تريد النفس من لا يريدها - و قال آخر:

و حديثها السحر الحلال لو انهلم يجن قتل المسلم المتحرّز

إن طال لم يملل و ان هى أوجزتودّ المحدّث أنها لم توجز

شرك النفوس و نزهة ما مثلهاللمطمئنّ و عقلة المستوفز و الاشعار فى هذا الباب كثيرة لا تحصى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۶

القسم الخامس و الستون الرثاء و التعزية

فأما الرثاء فهو مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة و المحاسن المأثورة. و منه قوله تعالى فى حق إبراهيم عليه الصلاة و السلام: وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. و قوله تعالى: إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. و قوله تعالى فى حق نوح عليه الصلاة و السلام. وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ .. و أما التعزية فهو ان يذكر ما يتوصل به الى تسلية مخلفى الميت و تصبيرهم و اطفاء نار ثكلهم. و فى القرآن من ذلك كثير و هى كثيرة فى أشعار المتقدمين و المتأخرين .. أما القرآن فقوله تعالى: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ.

و قوله تعالى: وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا. و قوله تعالى: أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ و قوله تعالى:

الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ. و قوله تعالى: وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ و أما الأشعار فقد ورد منها فى هذا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۷

كثير لا يحصى .. فمن أحسن ذلك قول بعضهم:

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرقو لا مغرب إلا له فيه مادح

و ما كنت أدرى ما فواضل كفّهعلى النّاس حتى غيّبته الصفائح

و أصبح فى لحد من الأرض مفرداو كانت به حيا تضيق الصحاصح

لئن عظمت فيه و حسنهالقد عظمت من قبل فيه المدائح - و من بديع التعزية قول بعضهم:

أيتها النفس أجملى جزعاإن الذى تحذرين قد وقعا - و قول بعضهم:

قسمة الموت قسمة لا تجوركلّ حىّ بكاسها مخمور - و قول الخنساء:

يذكّرنى طلوع الشّمس صخراو أندبه لكل غروب شمس

و لو لا كثرة الباكين حولىعلى إخوانهم لقلت نفسى

و ما يبكون مثل أخى و لكنأسلّى النّفس عنه بالتأسّى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۸

القسم السادس و الستون فى الشكاية

و هى فى القرآن على قسمين: ملفوظ بها. و غير ملفوظ بها .. أما الملفوظ بها ففى قوله تعالى: إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ ..

و من الشعر قول بعضهم:

إلى اللّه أشكو لا إلى النّاس أننى‌أرى الأرض تطوى و الأخلّاء تذهب - و قال آخر:

و لا خير فى شكوى إلى غير مشتكى‌و لا بدّ من شكوى إذا لم يكن صبر - و أما غير الملفوظ بها ففى القرآن منه كثير. من ذلك قوله تعالى:

قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِى. و قوله تعالى حكايهٔ عن نوح عليه الصلاهٔ و السلام: قالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَ نَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِى إِلَّا فِراراً إلى قوله: وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً.

و قوله تعالى: وَ أُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ و مثله فى القرآن كثير و فى الشعر كثير .. فمن بديعه قول الشاعر:

يا إلهى قد أثقلتنى الذنوب‌فاعف عنى فالعفو منك قريب

و تجاوز عن مذنب بخطاياه عن الخير قلبه محجوب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۲۹۹ كل يوم يمضى عليه و يدرى‌إنّه من حياته محسوب

و هو فى غفلهٔ بعيد من الخير قريب منه الخطا و الذنوب - و من بديعه أيضا قول بعضهم:

يا من يناجى بالضمير فيسمع‌أنت المعدّ لكلّ ما يتوقع

يا من يناجى للشدائد كلّهايا من إليه المشتكى و المفزع

يا من خزائن جوده فى قول كن‌امنن فإن الفضل عندك أجمع

ما لى سوى قرعى لبابك حيلهٔفإذا رددت فأىّ باب أقرع

و من الذى أدعو و اهتف باسمه‌إن كان برّك عن فقيرك يمنع

حاشى لجودك أن يقنط راجيهاالفضل أجزل و المواهب أوسع - و فى هذا الباب أشعار كثيرهٔ لا تحصى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۰

القسم السابع و الستون الحكايهٔ

و هو ان يحكى كلام المتكلم، اما بلفظه أو بمعناه و القرآن العظيم مشحون بذلك. و هو على قسمين: ظاهر. و مقدر .. أما الظاهر فكما حكاه اللّه سبحانه و تعالى من قول الملائكهٔ: قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ. و منه قوله تعالى: وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى و كذلك كل ما حكاه اللّه تعالى من أقوال القرون الخاليهٔ و الأمم الماضيهٔ.

و أما المقدر فكقوله تعالى: ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَهٔ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَهٔ فَمِنْ نَفْسِكَ التقدير يقولون- ما أصابك من حسنهٔ فمن اللّه و ما أصابك من سيئهٔ فمن نفسك- دليل ذلك انه ردّ عليهم بقوله: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً و مثله فى القرآن العظيم كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۱

القسم الثامن و الستون الاقتضاء

و هو طلب الموعود بالوعد السالف. و هو على ضربين: حسن و خشن. فالحسن مرغوب فيه، لأنه يحصل المقصود و ينجز الموعود .. و أما المذموم فهو سبب الحرمان و حسم لمادهٔ الاحسان. و قد وقع منه فى الكتاب العزيز القسمان .. أما الحسن فمثل قوله تعالى: رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَهِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ. و قوله تعالى: قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ. و قوله تبارك و تعالى: رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ استنجزوا وعده الكريم و هو

قوله تعالى:

وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ .. و أما الخشن فورد منه فى القرآن كثير أيضا. فمنه قوله تعالى: وَ إِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ الآيـة. و قوله تعالى: وَ قالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ. و قوله تبارك و تعالى: فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. و فى الشعر منه كثير:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۲

القسم التاسع و الستون التذكير

و هو التنبيه لمن غفل أو سهى عن شكر نعمة أسديت إليه، و منن أزلفت لديه نسيها أو تناساها لتقوم عليه حجة المنعم، و ليوقظ من نوم غفلته فى ليل نسيانه أو تناسيه المظلم. و فى الكتاب العزيز منه كثير من ذلك قوله تعالى: يا بَنِى إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ. اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ. و قوله تعالى:

فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى و معناه لعله يتذكر سترنا له و انعامنا عليه فى أمر النيل إذ تضرع الينا، فأجرينا له النيل لما التمس قومه منه إجراء النيل، أو يخشى انتقامنا منه فى الدنيا بالغرق و فى الآخرة بالنار و الحرق .. و الفرق بين الاقتضاء و التذكير أن التقاضى لاستبعاد حصول المطلوب لطول مدة انتظار المرغوب. و التذكار إنما يكون عن غفلة أو نسيان كقول بعضهم:

جئتك للأذكار مستحرضالا لتقاضيك و حوشيتا

و لست بالمهمل لكنّمالكثرة الأشغال أنسيتا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۳

القسم الموفى السبعين الوعد و الوعيد

أما الوعد فهو اطماع بإحسان فى المستقبل، و هو على قسمين متحقق الوقوع، و هو وعد اللّه سبحانه و تعالى لقوله تعالى: وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ. و قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ و وعد مرجو وقوعه، و هو وعد العباد. و الوعد يكون فى الخير و الشر، لكن استعماله فى الخير أكثر قال اللّه تعالى: جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا. و قال تعالى: الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا. و فى هذه الآية شاهد للمعنيين. و قد ورد فى القرآن العظيم و فى الشعر منه كثير. أما القرآن فمنه ما قدمناه. و منه قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً. و قوله تعالى: وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها. و قوله تعالى: رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ ..

و أما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة فى المستقبل تحذيرا من الوقوع فى المخالفات. و فى القرآن العظيم منه كثير. فمن ذلك قوله تعالى: آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. و قوله تعالى: وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۴

فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً. و قوله تعالى:

وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ. و قوله تعالى: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ إلى قوله:

وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۵

القسم الحادى و السبعون العتاب و الانذار

و هو دليل بقاء المودة و دوام عقد الالفة و الصحبة. و الغرض به إزالة ما فى النفوس من الوحشة، لأن بجريانه يظهر ما فى القلوب من آثار الجناية، و يبدو ما فى البواطن من تأكيد أسباب العناية إذ لو لا بقاء المودة الخفية لحلت القطيعة بالكلية، و لم يحتج إلى عتاب، و لم يرغب فى الأعتاب و لهذا قيل:

و يبقى الودّ ما بقى العتاب

و منه فى القرآن العظيم كثير .. فمن ذلك قوله عز و جل: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ. و قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ. و قوله تعالى: عَبَسَ وَ تَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى.

و قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ إلى قوله: وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .. و فى القرآن من جميل العتاب شىء كثير ..

و أما الانذار ففى القرآن منه كثير لا يحصى. فمنه قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۶

و منه قوله تعالى: وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ الآية. و قوله تعالى: وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۷

القسم الثانى و السبعون الاعتاب

و هو رجوع الانسان عما عتبت عليه بسببه يقال: عتبته فاستعتب أى أرجعته فارتجع. و منه قوله تعالى: فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ. و فى الحديث: «اما محسنا فيزداد و إمّا مسيئا فيستعتب» .. و منه قول الشاعر:

عتبت عليه فما أعتباو عنه اعتذرت و قد أذنبا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۸

القسم الثالث و السبعون الاعتذار

و هو التوسل إلى محو الذنب و إزالة أثر الجرم مأخوذ من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست .. و منه قوله تعالى: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا الآية. و قوله تعالى: وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. و قوله تعالى: تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۰۹

القسم الرابع و السبعون تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل

يفعل ذلك لضرب من المبالغة. و فى القرآن العظيم منه كثير ..

فمن بديع ما جاء منه قوله تعالى: قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قولهم- يا موسى إما أن تلقى- تخيير منهم

له، و حسن أدب راعوه معه، كما يفعل أرباب الصناعات إذا تلاقوا فى تقديم بعضهم على بعض، كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا فى الجدال، و إنما قالوا- و إما أن نكون نحن الملقين- و لم يقولوا و إما أن نلقى كما قالوا- يا موسى إما أن تلقى- لرغبتهم فى أن يلقوا قبله و تشوفهم إلى التقدم عليه، و ذلك لما فيه من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل .. و مما يجرى على هذا المنهاج قوله عز و جل: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى فتوكيد الضمير هاهنا فى قوله- لا تخف انك أنت الأعلى- نفى الخوف من قلب موسى، و أثبت فى نفسه الغلبة و القهر و لو قال: لا تخف إنك الأعلى أو- و أنت الاعلى- لم يكن فى التأكيد لنفى الخوف من قلب موسى كما له من القوة فى تقرير الغلبة، و نفى الخوف بقوله- إنك أنت الأعلى- و ذلك لأن فى هذه الثلاث كلمات و هى قوله تعالى: إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلى ست فوائد. الاولى إنّ المشددة التى من شأنها التأكيد لما يأتى بعدها كقولك: زيد قائم، ثم تقول إنّ زيدا قائم ففى قولك إن زيدا قائم من الإثبات لقيام زيد،

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۰

و التقرير له ما ليس فى قولك زيد قائم. الثانية تكرير الضمير فى قوله تعالى- انك أنت- و لو قال فأنت الأعلى لما كان بهذه المثابة من التقرير لغلبة موسى و الإثبات لقهره. الثالثة: لام التعريف فى قوله- الأعلى- فلو قال إنك أنت أعلى فنكّره و كان صالحا لكل واحد من جنسه كقولك رجل فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال و اذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف و جعلته علما فيهم.

و كذلك قوله- إنك أنت الاعلى- أى أنت الأعلى دون غيرك.

الرابعة: لفظ أفعل الذى هو من شأنه التفضيل، و لم يقل العالى.

الخامسة: اثبات الغلبة من عال. السادسة: الاستئناف فى قوله- انك أنت الاعلى- و لم يقل لأنك أنت الاعلى، لأنه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه، لأنه عال و إنما نفى الخوف عنه أولا بقوله- لا تخف- ثم استأنف الكلام بقوله- إنك أنت الاعلى- فكان ذلك أبلغ فى تقرير الغلبة لموسى عليه الصلاة و السلام و اثبات ذلك فى قلبه و نفسه. فهذه ست فوائد فى هذه الكلمات الثلاث فانظر أيها المتأمل إلى هذه البلاغة العجيبة التى تحيّر العقول و تذهب الألباب و معجز هذا الكلام العزيز الذى أعجز البلغاء و أفحم الفصحاء و رجّل فرسان الكلام.

فإن قيل: لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر اللّه تعالى نفسه فى كتابه حيث هو أحق بما هو أبلغ من الكلام، و قد رأينا فى الكتاب العزيز مواضع تختص بذكر اللّه تعالى و قد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فما الموجب لذلك ان كان تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ فى بابه من الاقتصار على أحدهما دون الآخر، فقد كان يجب عند ذكر اللّه تعالى نفسه، لأنه أحق بالأبلغ من العلاء، و إن كان الأمر بخلاف

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۱

ذلك فكيف قلنا أن توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ؟

الجواب: عن ذلك انا نقول: توكيد المتصل بالمنفصل إنما يرد فى الكلام لتقرير المعنى و اثباته فى الذهن و ما يختص باللّه تعالى لا يفتقر إلى تقرير و لا اثبات، لأنه إذا قيل عنه انه على كل شىء قدير، لم يحتج فى ذلك إلى توكيد حتى يتحقق و يتبين أنه على كل شىء قدير، بل علم و عرف أنه على كل شىء قدير، و أن قدرته جارية على كل مخلوق، فصار هذا من الأمر المعروف الذى لا يعتريه شك، و لا يعترضه ريب، و ما هذا سبيله فى الوضوح و البيان فلا حاجة فيه إلى التوكيد إذ كان التوكيد من شأنه التقرير للمعنى المراد اثباته فى النفس، و كون اللّه سبحانه على كل شىء قدير ثابت فى النفوس، فلم يحتج إلى تقرير و اثبات.

فإن قيل: فقد ورد فى القرآن العزيز عند ذكر اللّه تعالى نفسه التأكيد بالضمير المنفصل للضمير المتصل كقوله تعالى: وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ إلى قوله: إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ كما انك على كل شيء قدير.

فما السبب في هذا، و هلا كان الجميع شرعا واحدا؟

فالجواب على ذلك: إنا نقول توكيد الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا ينقص علينا ما أشرنا اليه أولا، لأنه إن وقع الاقتصار على أحدهما دون الآخر، فإن القول في ذلك ما تقدم في الآية الأولى، و إن جيء بهما معا، فإن ذلك أبلغ في بابه و آكد، و اللّه تعالى أحق بما هو أبلغ من الكلام و آكد. و لنمثل لك في استعمال الضميرين معا و الاقتصار على أحدهما دون الآخر مثالا تتبعه فنقول: إذا كان المعنى المقصود أمرا معلوما قد ثبت في النفس و رسخ في الالباب، فأنت بالخيار بين أن توكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه، و بين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر، لأنك إن وكدت الكلام فيه أعطيت المعنى حقه، و إن لم

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۲

توكد فإنه لا يحتاج إلى تأكيد لبيانه و ظهوره، فإن كان المعنى المقصود خفيا ليس بظاهر و لا معلوم فالأولى توكيد أحد الضميرين بالآخر لتقرره و تكسبه وضوحا و بيانا. أ لا ترى إلى قوله لموسى عليه السلام- قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى- فإنه كان ظهور موسى عليه السلام على السحرة و قهره لهم أمرا مستقرا في ضمن الغيب لا يعلم و لا يعرف، و أراد اللّه عز و جل أن يخبره بذلك ليذهب عنه الخوف و الحذر بالأبلغ من الكلام، ليكون ذلك أثبت في نفس موسى و أقوى دليلا عنده في انتفاء الخوف عنه، فوكد الضمير المتصل بالمنفصل، فجاء المعنى كما ترى، و لو لم يؤكد كان ذلك أيضا اخبارا لموسى عليه الصلاة و السلام بنفي الخوف عنه و استظهاره على السحرة، و لكن ليس له من التقرير في نفس موسى عليه الصلاة و السلام ما لقوله إنك أنت الاعلى فاعرف.

و على نحو من ذلك قوله تعالى- قالوا يا موسى إما أن تلقى، و إما أن نكون نحن الملقين- فإن إرادة الإلقاء قبل موسى لم يكن معلوما عنده، لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقالة خطابهم لموسى إلى ما هو توكيد ما هو لهم بالضميرين علم أنهم يريدون التقدم عليه، و الإلقاء قبله لأن من شأن مقابلة خطابهم لموسى عليه الصلاة و السلام بمثله أن يقولوا: إما أن تلقى، و إما أن نلقى لتكون الجملتان متقابلتين، فحيث قالوا عن أنفسهم- و إما أن نكون نحن الملقين- استدل بذلك على إرادتهم الإلقاء قبله فهذه معان لطيفة و رموز غامضة، لا ينتبه لها إلّا الفطن اللبيب فاعرفها.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۳

القسم الخامس و السبعون الخطاب بالجملة الفعلية و الخطاب بالجملة الاسمية المؤكدة بأنّ المشددة و تفضيل إحداهما على الأخرى

و ذلك كقولنا قام زيد و ان زيدا قائم، فقولنا قام زيد معناه الإخبار عن زيد بالقيام، و قولنا إن زيدا قائم إخبار عن زيد بالقيام أيضا إلّا أن في الثانية زيادة ليست في الأولى، و هي توكيده بأن المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها من الكلام .. و من هذا النحو قوله تعالى:

وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ فإنهم انما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية و شياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بأن المشددة فقالوا في خطاب المؤمنين- آمنا- و لاخوانهم- إنا معكم- لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أجروا به عن أنفسهم من اثبات على اعتقاد الكفر، و البعد من أن ينزلوا عنه على صدق و رغبة و وفور نشاط، و كان ذلك متقبلا منهم و رائجا عند اخوانهم و ما قالوه للمؤمنين، فإنما قالوه تكلفا و اظهارا لايمان خزيا و مداجاة، و كانوا يعلمون أنهم لو قالوا بأوكد لفظ و أشده لما راج لهم عندهم إلّا رواجا ظاهرا لا باطنا، و لأنهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوىّ على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة، فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين بخلاف ما قالوه في خطاب اخوانهم، و صرّحوا في كلامهم لإخوانهم أن ما خاطبوا به

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۴

المؤمنين إنما هو هزء فقالوا: إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ .. و هذه نكت دقيقة و لطائف خفية لا توجد فى نوع من الكلام العربى الّا فى القرآن الكريم، و ما أكثر ذلك و أمثاله فى آياته و أوفره مودعا فى غضونه فاعرفه و قس عليه ترشد.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۵

القسم السادس و السبعون فى لام التأكيد

اعلم وفقنا اللّه و إياك أن علماء علم البيان و علماء العربية اتفقوا على أن هذه اللام تدخل فى الكلام لنوع من المبالغة و ذلك أنهم اذا عبروا عن أمر يعز وجوده أو يعظم أمر إحداثه و وقوعه جيء بها محققة لذلك و شاهدة .. فمن ذلك قوله تعالى: أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً. و قوله تعالى:

أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ أ لا ترى كيف دخلت اللام فى آية المطعوم دون آية المشروب، و إنما جاءت كذلك لأن جعل الماء العذب ملحا ليس بعظيم، و لأن كثيرا ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضى المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة و المرارة، فلم يحتج فى جعل الماء العذب ملحا، إلى زيادة تأكيد، فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق، و أما المطعوم فإن جعله صعب، فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة فى تحقيق، و أما المطعوم فإن جعله صعب، فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة فى تحقيق أمره، و تقرير ايجاده. و كونه هكذا يفعل بكل كلام فيه نوع خصوصية.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۶

القسم السابع و السبعون فى الاقتصاد و الإفراط و التفريط

قال ابن الاثير رحمه اللّه: الاقتصاد أن يكون المعنى المضمن فى العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه فى منزلته .. و أما التفريط و الإفراط فهو أن يكون المعنى المضمن فى العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه، إمّا لانحطاطه دونها و هو التفريط، و إمّا تجاوزا عنها و هو الإفراط لأن أصل التفريط فى وضع اللغة من فرط فى الأمر إذا قصر فيه و ضيعه، و أصل الافراط فى وضع اللغة من أفرط فى الأمر إذا تجاوز عنه .. و التفريط عيب فى الكلام فاحش كقول الأعشى:

و ما مزبد من خليج الفرات جون غواربه تلتطم

بأجود منه بماعونهإذا ما سماؤهم لم تغم فإنه قد مدح ملكا يجود بماعونه- و الماعون- هو كل ما يستعمل من قدوم، أو فاس أو قصيعة، أو قدر، و ما أشبه ذلك فلا سبيل إلى جعله مدحا البتة، بل هو إلى الذم أقرب منه إلى المدح، فهذا من أقبح التفريط فاعرفه. و أما الإفراط فهو بمنزلة ما روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم، و ذلك أن رجلا جاءه فكلمه فقال ما شاء اللّه و شئت فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أ جعلتنى للّه ندّا، قل ما شاء اللّه وحده .. و من هذا الباب قول عنترة:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۷ و أنا المتيّة فى المواطن كلّهاو الطعن منى سابق الآجال فإن الطعن لا يسبق الأجل، لأن الأجل لا يتقدم و لا يتأخر بالياء باثنتين من تحتها و هو أقرب أمرا من كونه بالباء الموحدة غير أن كليهما افراط .. و اعلم أن علماء علم البيان فى استعمال الإفراط على ثلاثة أضرب. فمنهم من يكرهه و لا يراه صوابا كأبى عثمان الجاحظ فيما روى عنه، و منهم من يختاره و يؤثر كقدامة بن جعفر الكاتب، فإنه كان يقول الغلوّ عندى أجود المذهبين فإن أحسن الشعر أكذبه. و منهم من يذهب إلى التوسط بين الغلوّ و التفريط و هو الاقتصاد، و ذلك أن يجعل الغلوّ و هو الافراط مثلا، ثم يستثنى فيه بأو، أو يكاد أو ما جرى هذا المجرى، فيدرك مراده و يسلم من عيب عائب أو طعن طاعن، و ذلك كقول بعضهم فى مدح الحسين:

يكاد يمسكه عرفان راحتهركن الحطيم إذا ما جاء يستلم - و كقول أبى عبادة البحترى:

و لو أنّ مشتاقا تكلّف فوق مافى وسعه لسعى إليك المنبر و هذا المذهب المتوسط أليق المذاهب الثلاثة و أدخلها فى الصنعة فاعرفه.

قال المصنف عفا اللّه عنه: أما الاقتصاد و الافراط فقد ورد فى الكتاب العزيز منه شىء كثير، و قد تقدم بيانه، و أما التفريط فليس فى القرآن منه شىء.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۸

القسم الثامن و السبعون الغزل

و هو من محاسن النظم، و الغزل التصابى، و الاشتهار بمودة النساء، و لهذا قال بعضهم:

أيّام تدعوننى الشيطان من غزلو كن يهوينى إذ كنت شيطانا و اشتقاقه من الرقة لأن المتغزل يرقق ألفاظه حتى يستميل بها القلوب و يعدها للرسائل، و الوسائل بين المحب و المحبوب. و ينبغى أن تكون ألفاظه مستعذبة و معانيه ملهية مطربة. و ينبغى أن يكثر فيه من ذكر الأجرع و الحمى. و لعلع. و التقى. و طويلع. و قبا. و العقيق. و حاجز.

و المنحنى و ما أشبه من الألفاظ مثل ذكر المنازل التى تترشف ذكرها القلوب، و تصبو إليها النفوس من غير أن تراها، و كذلك يكثر فيه من ذكر الحنين و التشويق و التحزين. و قد يحتاج فى بعض المواضع إلى ذكر الكرم و الشجاعة و الفصاحة و البراعة ليميل بذلك قلب المحبوب، و يكون مدعاة إلى نيل المطلوب أ لا ترى إلى قول بعض الشعراء:

يودّ بأن يمسى عليلا لعلّهاإذا سمعت منه بشكوى تراسله

و يهتزّ للمعروف فى طلب العلىلتحمد يوما عند سلمى شمائله - و مثل قول المتنبى:

أيقنت أنّ سعيدا آخذ بدمىلمّا بصرت به بالرّمح معتقلا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۱۹

اراد انها اذا رأته على هذه الصورة المليحة هويته، فنالها من هواه كما نال المتنبى من هواها، فكأنه أخذ بثأره .. و منه قوله فى هذه القصيدة أيضا:

علّ الأمير يرى ذلّى فيشفع لىإلى التى جعلتنى فى الهوى مثار يشير إلى أنها إذا أحبت الامير علمت مقدار المحبة و عززت من يحبها كما قيل:

إنّما يرحم المحبّ المحبّون و يحنو على المشوق المشوق و القرآن العظيم من جملة إعجازه كثرة الشجا، و ترقيقه للقلوب و استمالته للنفوس بحيث أنه لا يسمعه أحد الّا و مال إليه قلبه و امتلأت به جوانحه و انطوت على مثل جمر الغضا ضلوعه و جرت على صفحات خده دموعه، و فيه من وصف الجنة و نعيمها و منازل الزلفى و طيب رسومها ما يشوق القلوب إلى لقائها، و يسوق النفوس إلى الحلول بفنائها مثل قوله تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَ لَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ. و قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ. و قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ و قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً إلى آخر السورة. و قوله تعالى: وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ذَواتا أَفْنانٍ إلى آخر السورة.

و فى القرآن العظيم من هذا النوع كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۰

القسم التاسع و السبعون فى التشبيب

و هو اللفظ الدال على محاسن النساء، و محاسن أخلاقهن، و تصرف أحوال الهوى معهن، و يدخل فيه الشوق و التذكر لمعاهد الأحبة و تغيرها بالرياح الهابّة و البروق اللامعة و أمثالها .. و من محاسن التشبيب قول بعضهم.

لو جادهنّ غداة رمن رواحاغيث كدمعى ما أردن براحا

ماتت بفقد الظاعنين ديارهمفكأنّهم كانوا لها أرواحا

النائيات النافذات نواظراو النّافذين أسنّة و سلاحا

و أرى العيون و لا كأعين عامرقدرا مع القدر المتاح متاحا

متوارثى مرض العيون و إنّمامرض العيون بأن يكنّ صحاحا

لا عيب فيهم غير شحّ نسائهمو من السماحة أن يكنّ شحاحا

طرقته فى أترابها فجلت لهو هنا من الغرر الصباح صباحا

و بسمن عن برد تألّف نظمهفرأيت ضوء البرق ثمّت لاحا

أبرزن من تلك العيون أسنّةو هززن من تلك القدود رماحا

يا حبّذا ذاك السّلاح و حبّذاوقت يكون الحسن فيه سلاحا و الأشعار فى مثل هذا كثيرة. و فى القرآن العظيم من وصف النساء كثير مثل قوله تبارك و تعالى: عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۱

خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً. و قوله تعالى: حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ. و قوله تعالى: قاصِراتُ الطَّرْفِ الآية. و فى القرآن العظيم كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۲

القسم الموفى ثمانين الاستدراج

قال ابن الاثير و هو التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب و الملاطفة له فى بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به. و فى ذلك من الغرائب و الدقائق ما يؤنق السامع و يطربه، لأن بناء صناعة التأليف عليه و منشأها .. و من هذا الباب قوله تعالى: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ إلى قوله:

فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا هذا الكلام يهز أعطاف السامعين، و يبهج نفوس المتأملين، فعليك أيها المترشح لهذه الصناعة امعان النظر فى مطلوبه، و ترداد الفكر فى اثنائه و اتخاذه قدوة لك و نهجا تعتقبه، أ لا ترى حين أراد إبراهيم النظر فى مطلوبه، و ترداد الفكر فى اثنائه و اتخاذه قدوة لك و نهجا تعتقبه، أ لا ترى حين أراد إبراهيم أن ينصح أباه و يعظه فيما كانت متورطا فيه من الخطأ العظيم الذى عصى به أمر العقل، كيف رتب الكلام معه فى أحسن سياق و انتظام مع استعمال المجاملة و اللطف و اللين و الأدب الجميل، و الخلق الحسن مستصحبا فى ذلك نصيحته و ذلك انه طلب منه أولا نقله عن خطيئته طلب منبه على تماديه موقظ له من إفراطه و قلة تناهيه، لأن المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقدرا على الثواب و العقاب إلا أنه بعض الخلق لا يشك فى نقص عقل من أهله للعبادة و وصفه بالربوبية، و لو كان أشرف الخلق كالملائكة

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۳

و النبيين، فكيف بمن جعل المعبود جمادا لا يسمع و لا يبصر؟ ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق مترفقا به و متطلفا فلم يتهم أباه بالجهل المطلق و لا نفسه بالعلم الفائق، و لكن قال: إن معى لطائف و شيئا منه، و ذلك علم الدلالة على الطريق السوىّ، فلا تستنكف و هى أنى و إياك فى مسير و عندى معرفة بالهداية دونك فاتّبعنى أنجّك من أن تضل فتنبه ثم ثلّث بتنشيطه و نهيه عما كان عليه بأن

الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن الذى جميع ما عندك من النعم من عنده و هو عدوّك و عدوّ أبيك آدم هو الذى ورّطك فى هذه الورطة و ألقاك فى هذه الضلالة، إلا أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام لامعانه فى الخلاص لم يذكر من جناية الشيطان إلا الذى يختص منها باللّه عز و جل و هى عصيانه و استكباره، و لم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم و بنيه، ثم ربع ذلك بتخويفه سوء العاقبة، و ما ينتج عليه من الوبال و لم يخل هذا الكلام من حسن أدب حيث لم يصرح بالعقاب اللاحق بأبيه، و لكنه قال- انى أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن- فذكر الخوف و المس اعظاما لهما و ترك العقاب و جعل ولاية الشيطان و دخوله فى جملة أشياعه أكثر من العذاب، و صدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله- يا أبت- توسلا إليه و استعطافا فقال له فى الجواب: أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا أ لا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر و غلظ العناد فناداه باسمه، و لم يقابل قول- يا أبت- بيا بنى و قدم الخبر على المبتدأ فى قوله- أ راغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم- لأنه كان أهم عنده و فيه ضرب من التعجب و الإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته و أن آلهته لا ينبغى أن يرغب أحد عنها، و من هذا الباب قوله تعالى: وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ إلى قوله: إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ أ لا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام و ألطف مغزاه، فإنه أخذهم

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۴

بالاحتجاج على طريقة التقسيم، فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه و لا يتخطاه، و إن كان صادقا فيصيبكم بعض الذى يعدكم إن تعرضتم له. و فى هذا الكلام من حسن الأدب و الإنصاف ما أذكره لك أيها المتأمل و أقول: إنما قال: يصبكم بعض الذى يعدكم، و قد علم أنه نبى صادق، و إن كل ما يعدهم به لا بد من أن يصيبهم لا بعضه، و لأنه احتاج مع أدلة خصم موسى أن يسلك معهم طريق الإنصاف و الملاطفة فى القول، و يأتيهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله: و أدخل فى تصديقهم له و قبولهم منه فقال: و إن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم و هو كلام المنصف فى مقابلة خصمه غير المشتط فيه، و ذلك حين وصفه اللّه بكونه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يقر به، لكنه أردفه بقوله: يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا من أن يتعصب له، و تقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل، و كذا قوله: إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ أى لو كان مسرفا كذابا لما هداه اللّه بالنبوة و لا عضده بالبينات، فتبين أيّها المتأمل لهذه الدقائق اللطيفة الصنع تدل على التيقظ فى صناعة التأليف.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۵

القسم الحادى و الثمانون خذلان المخاطب

و هو الأمر بعكس المزاد و يدل ذلك على الاستهانة بالمأمور و قلة المبالاة بأمره أى انا مقابلك على فعلك و مجازيك بحسبه. فمن ذلك قوله تعالى: وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ. فقوله- قل تمتع بكفرك- من باب الخذلان كأنه قال له إذ قد أبيت ما أمرت به من الإيمان و الطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك و نأمرك بتركه. و هذا مبالغة فى خذلانه، لأن المبالغة فى الخذلان أشد من أن يبعث على ضدّ ما أمر به .. و من هذا الباب قوله تعالى: قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ فإن المراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان على ما سبق ذكره. و فى هذا الكلام معنيان لطيفان الأول أى أن عبادتكم للّه و عبادتكم لغيره إنما تنفع أو تضر لكم لا لسواكم فاللّه تعالى مستغن عن عبادتكم له. الثانى: توعده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير تصريح بالوعيد، و ذلك أبلغ من الإصراح به لوقوع الموعود فى حيرة من أمره، و ترامى وهمه عند ذلك إلى كل خطب عظيم من المجازاة و المقابلة، كقولك لمن عصاك افعل ما شئت أى إنى مقابلك عليه. و هذا نوع من علم البيان شريف.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۶

القسم الثانى و الثمانون التعليق و الإدماج

و هو أن يدمج مدحا بمدح أو هجوا بهجو، أو معنى بمعنى كما قال المتنبى:

إلى كم تردّ الرّسل عما أتوا به‌كأنهم فيما وهبت ملام أدمج رد الرسل برد اللوم، و كلاهما مدح .. و قوله أيضا:

حسن فى وجوه أعدائه‌أقبح من ضيفه رأته السّوام أدمج الحسن مع القبح و كلاهما مدح وصفه بالكلام، لأن ابله إذا رأت ضيفه علمت أنه ينحرها له، و قد سمى العسكرى هذا النوع فى كتاب الصناعتين له المضاعف، و أنشد فيه:

و أسرعت نحوك لما دعوت كأنى نوالك فى سرعته - و مثله فى وجيه الدولة:

و بات أسعدنا حظّا بصاحبه‌من كان فى الحبّ أشقانا بصاحبه و قاعدة هذا الباب أن يكون أحد المعنيين تلويحا و الآخر تصريحا.

و فى القرآن العظيم من هذا النوع كثير.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۷

القسم الثالث و الثمانون الاستخدام

و هو أن تكون الكلمة لها معنيان فيحتاج إليهما فيذكرها وحدها فيستخدم المعنيين كما قال اللّه تبارك و تعالى: لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى و الصلاة هاهنا يحتمل ان تكون فعل الصلاة، أو موضع الصلاة فاستخدم الصلاة بلفظ واحد، لأنه قال سبحانه: إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ فدل على أنه أراد موضع الصلاة. و قال تعالى: حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ فدل على أنه أراد فعل الصلاة .. و أنشد للبحترى:

فسقى الغضا و الساكنيه و إن هم‌شبّوه بين جوانح و قلوب - الغضا- يحتمل أن يكون الموضع، و يحتمل أن يكون الشجر فاستخدم المعنيين به- و الساكنيه- أراد المكان و الشجر بقوله- و إن هم شبوه- و من ذلك لبعض العرب:

إذا نزل السماء بأرض قوم‌رعيناه و إن كانوا غضابا - و السماء- يحتمل معنيين المطر و النبات فاستخدم المعنيين بقوله- إذا نزل- يعنى المطر- رعيناه- يعنى النبات .. و كما قال الشيخ أبو العلاء:

و فقيه أفكاره شدن للنعمان ما لم يشده شعر زياد يحتمل معنيين: أحدهما أن يكون النعمان بن المنذر الملك،

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۸

و الآخر أن يكون النعمان بن ثابت الفقيه، فاستخدم المعنيين بلفظ واحد فقال- شدن للنعمان- يعنى أبا حنيفة رضى اللّه عنه و قال- شعر زياد- يعنى النعمان بن المنذر، لأن زيادا هو النابغة مدح النعمان .. و كما قال أبو تمام:

و إذا مشت تركت بصدرك ضعف مابحليّها من شدّة الوسواس لأن- الوسواس- يحتمل معنيين و هو بلابل الصدر، و صوت الحلىّ فاستخدم المعنيين بقوله:- تركت بصدرك- يعنى البلابل و بقوله- ضعف ما بحليها- يعنى صوت الحلى .. و منه:

اسم من ملّنى و من صدّ عنى‌و جفانى لغير ذنب و جرم و الذى ضنّ بالوصال علينا مثل ما ضنّ بالهوى قلب نعم هذا استخدام فى الاعراب، لأن قلب مرفوع بالخبر فاعل ضن و هو أيضا استخدام فى المعنى، لأنها بمعنى قلب من المقلوب، لأن الاسم- معن- فهو معكوس- نعم- فاعرفه. و منه فى الكتاب العزيز كثير من ذلك قوله تعالى: وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً يحتمل أن يكون أراد- وراءهم- أى فى طلبهم و يحتمل أن يكون أراد أمامهم. و من ذلك قوله تعالى: وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ- و القرء- الحيض و القرء أيضا الطهر، و اللفظ يحتمل المعنيين فاعرفه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۲۹

القسم الرابع و الثمانون التفقير

و هو أن يأتى فى البيت ذكر نكتة، أو بيت أو رسالة أو خطبة، أو غير ذلك فيومئ إليها الشاعر، أو الناثر مثل قوله تعالى: فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ فإن امرأ القيس أومأ إليه بقوله:

من القاصرات الطّرف لو دبّ محولمن الذّرّ فوق الأنف منها لأثرا - و منه قول الآخر:

ألوم زيادا فى ركاكة رأيه و فى قوله أىّ الرّجال المهذّب

و هل يحسن التهذيب منك خلائقاأرقّ من الماء الزّلال و أطيب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۰

الفن الثانى

اشارة

ما يتعلق بالألفاظ من الفصاحة كما أن ما يتعلق بالمعانى من البلاغة، و لهذا قيل معنى بليغ و لفظ فصيح يقال أفصح الأعجمى و فصح اللحان. و هذا الفن يسمى أيضا البديع. و البديع علم يبحث فيه عن أحوال اللفظ المؤلف من حيث لا يمكن أن يؤتى به إلا بحسن انتظام و هو ينقسم إلى أقسام:

[القسم] الأول التهذيب:

و هو تخليص الألفاظ من ثقل العجمية، و هجنة الحوشية، و فظاظة النبطية، و أن يترك الكلام عذب المساق حسن الاتساق قريبا من فهم السامع عذب المساغ فى اللهوات و المسامع يدخل الأذن بغير إذن و يتصور معناه فى العقل بدقيق التدبر و لطيف التفكر. و القرآن العظيم كله من أوله الى آخره على هذه المثابة غير ما فيه من المتشابه، فإنه يحتاج إلى الإمعان فى التذكر، و ترديد التدبر، و ذلك أيضا على غاية ما يكون من الحسن، فكل فى بابه قد استوفى بديع نصابه قد بسقت اشجاره و عذبت ثماره و اتسقت ألفاظه، و استحكمت معانيه، و حسن رونقه، و عظمت حلاوته و طلاوته، لا- تمله الأسماع مع كثرة ترداده، و لا- تنفر منه الطباع مع ابراقه و إرعاده، بل هو الذى أحكمت آياته و فصلت و كملت

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۱

معانيه فى ألفاظه، و حصلت و أحكمت أحكامه، و أصلت فهو كما قال اللّه تعالى: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ قد سلم من حوشى الألفاظ و رذلها، و تخلص من فظاظة العجمة و ثقلها، و كل كلمة منه حلت محلها و قرنت بمثلها فهو كما قال البحترى:

و إذا دجت أقلامه ثم انتحتبرقت مصابيح الدّجى فى كتبه

فاللفظ يقرب فهمه فى بعدهمنّا و يبعد نيله فى قربه

حكم سحائبها خلال بنانههطالة و قليبها فى قلبه

كالروض مؤتلفا بحمرة نورهو بياض زهرته و خضرة عشبه

و كأنها و السمع معقود بهاشخص الحبيب بدا لعين محبه و هذه الأبيات من أحسن ما قيل من التهذيب، و أبلغ ما نظم فى التنقيح و الترتيب و يتعين على كل ناظم و ناثر أن لا يملى قصيدة، أو رسالة أو خطبة حتى يتلمحها بعين بصيرته. و يقدح لها زناد فكرته و قريحته و يهذب ألفاظها و يحقق معانيها، و يحسن مساغها و يؤسس مبانيها كما قيل:

لا تعرضنّ على الرواة قصيدةما لم تبالغ قبل فى تهذيبها

فإذا عرضت الشعر غير مهذّب‌عدّوه مثل وساوس تهذى بها

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۲

القسم الثانى الانسجام:

و هو أن يأتى الكلام سهل المساق عذب المذاق، حسن الاتساق منحدرا فى الأسماع كتحدر الماء المنسجم حتى يكون للجملة من المنثور، و البيت من الموزون موقعا فى النفوس و عذوبة فى القلوب ما ليس لغيره مع بعده من التصنع، و أكثر ما يقع غير مقصود كمثل الكلام الموزون الذى تأتى به الفصاحة فى ضمن النثر عفوا كانصاف أبيات وقعت فى أثناء الكتاب العزيز، و فى السنة. و قد وقع من ذلك كثير فى الخطب و الرسائل و من «۱» أن يكون بيتا أو نصف بيت. و قد وقع فى غير القرآن بيتان فصاعدا و ليس بشعر و إن لم يقصد. فأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلّا مثل البيت الواحد أو النصف و البيت المفرد لا يسمى شعرا، و أيضا فإن الشعر إنما سمى شعرا لكونهم شعروا به أى فطنوا.

و هذا إنما جاء عفوا فى درج الكلام .. فمما ورد من ذلك فى القرآن العزيز قوله تعالى: وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ فوافق هذا فى درج الكلام قول امرئ القيس:

امرؤ القيس رهين‌مولع بالفتيات

---

(۱) كذا فى الاصل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۳ مكرم الضيف بلحمو شحوم البكرات

فى جفان كالجوابو قدور راسيات - و قد قال بعض أهل العلم بالعروض ان الذى فى القرآن من ذلك ليس بمتزن، و لا موافق لبحر بيت امرئ القيس و هو صحيح .. و من ذلك قوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ. و قوله عز و جل:

نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. و قوله تعالى: لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ و التلاوة أيضا لا تستقيم على الوزن إنما الوزن يكون على تحبوا دون النون كما قال بعض الشعراء:

لن تنالوا البرّ حتى‌تنفقوا مما تحبوا و قد جوّز الحذاق الماهرون بأوزان القريض العالمون بضروبه و اجزائه و تقطيعه هذه الأبيات، فلم يجدوها موزونة، بل مباينة لأوزان الشعر، إما بزيادة أو نقصان، و لو لا خشية التطويل لبينت ذلك.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۴

القسم الثالث الاشتقاق و يسميه بعضهم الاقتضاب أيضا و هو من باب التجنيس، و إن عدّ أصلا برأسه

و هو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد فى اللغة كقوله تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ .. و قول أبى تمام:

عممت الخلق من نعماك حتى‌غدا الثقلان منها مثقلان قال المصنف عفا اللّه عنه: هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس التجنيس، و الآية التى استشهد بها هى من التجنيس المغاير، و البيت الذى استشهد به من التجنيس المماثل. و سنذكر أجناس التجنيس و أقسامه فى فصل مفرد بعد ان شاء اللّه تعالى .. و مما يشبه هذا النوع و ليس منه و يسمى المشابهة قوله تعالى: إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ ..

و قول البحترى:

و إذا ما رياح جودك هبّت‌صار قول العداة فيها هباء ذكره الزنجانى فى تكلمته ..

قال ابن الاثير: الاشتقاق على قسمين: صغير. و كبير. فالصغير أن تأخذ أصلا من الأصول فتجمع بين معانيه، و إن اختلفت صيغه و مبانيه

كتركيب س ل م فإنك تأخذ معنى السلامة فى تصرفه، نحو سلم و سالم و سلمان و سليم و السليم للديغ أطلق عليه ذلك تفاؤلا بسلامته. و على

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۵

هذا جاء غيره من الأصول كقولنا هشمتك هاشم و حاربك محارب، و سالمك سالم و أصاب الأرض صيّب لأن الصيب هو المطر الذى يشتد صوته و وقعه على الأرض. و أمثال ذلك كثير .. و لهذا الضرب من الكلام رونق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة .. فمما جاء منه قول بعضهم:

أ محلّتى سلمى بكاظمة أسلما

- و كذلك قول الآخر و هو جرير بن عطية:

و ما زال معقولا عقال عن النداو ما زال محبوسا عن الخير حابس - و قال غيره:

إنّ قومى لهم جداد الجديد

و شكى إلى بعض الخلفاء جور عامل له و سئل أن يكتب إليه كتابا فقال ما ترك فضة إلّا فضها و لا ذهبا إلّا أذهبه، و لا غنيمة إلّا غنمها، و لا مالا الّا مال عليه فأى شىء بعد يكتب اليه. و أمثال هذا كثير فاعرفها .. قال ابن الأثير، و أما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلا من الأصول فتعقد عليه و على تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك التراكيب، و ما تصرّف منها، و إن تباعد شىء من ذلك ردّ بلفظ الصيغة و التأويل اليها كما يفعل الاشتقاقيون. و لنضرب لذلك مثلا فنقول ان لفظة ق ر م من الثلاثى لها ستة تراكيب و هى قرم. قمر. رمق. رقم. مقر. مرق. فهذه التراكيب الستة يجمعها معنى واحد و هو القوة و الشدة- و القرم- شدة شهوة اللحم- و قمر- الرجل إذا غلب من يقامره- و الرقم- الداهية و هى الشدة التى تلحق الانسان من أمره و عيش- مرمق- أى ضيق و ذلك نوع من الشدة أيضا- و المقر- شبه الصبر يقال أمقر الشىء إذا أمرّ و فى ذلك شدة على الذائق و كراهة- و مرق- السهم إذا نفذ من الرمية، و ذلك لشدة مضائه و قوته .. و اعلم أنه إذا سقط من تركيب الكلمة شىء فجائز ذلك فى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۶

الاشتقاق، لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة، بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها و تأخيرها أدّت الى معنى واحد يجمعها .. فمثال ما سقط من تركيب الثلاثى لفظة و س ق فإن لها خمسة تراكيب و هى: و س ق. و ق س. س و ق. ق س و. ق و س. و سقط من جملة التركيب قسم واحد و هو س ق و و جميع هذه الكلمة تدل على القوة و الشدة- فالوسق- من قولهم استوسق الامر أى اجتمع و قوى- و الوقس- ابتداء الحرب و فى ذلك شدة على من يصيبه- و السوق- متابعة السير، و فى هذا عناء و شدة على السائق و المسوق- و القسوة- شدة القلب و غلظه- و القوس- معروف و فيه نوع من الشدة و القوة لسرعة السهم و اخراجه إلى ذلك الرمى المتباعد .. و اعلم أنا لا ندعى أن هذا يطّرد فى جميع اللغة، بل قد جاء شىء منها كذلك، و هذا مما يدل على متانتها و حكمها لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التقاليب، و هى مع ذلك دالة على معنى واحد، و هذا من أعجب الأمور التى توجد فى لغة العرب و أعذبها فاعرفه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۷

القسم الرابع الجزالة و الرذالة

أما الجزالة فقد تقدم الكلام عليها و القرآن العظيم من وجوه اعجازه جزالة ألفاظه، و هو من أوله إلى آخره لابس حلل الجزالة و الفصاحة، سالم من الرذالة و الفظاعة .. و أما الرذالة فهى فى غير القرآن، فمنها فى المنظوم و المنثور كثير .. اما المنظوم فمثل قول بعض العرب:

زياد بن عين عينه تحت حاجبهو اسنانه بيض و قد طرّ شاربه و مثله ما أنشد سيبويه فى كتابه:

إذا ما الخبر تأدمه بلحمفذاك أمانة اللّه الثريد - و مثل قول أبى العتاهية:

مـات الخليفـة أيّهـا الثقلانفكـأننى أفطرت فى رمضـان و أمـا النثر فمثـل قولهم- فلاـن لئيم الخيم كأنّ كفه ميم، و كأن عقله جيم، إن واصلته منع و ان أعطيته قطع- و القرآن العظيم أجلّ و أعظم من أن يكون فيه شىء من ذلك، او يماثله.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۸

القسم الخامس السهل الممتنع

و هو الـذى يظن من سـمعه لسـهولة ألفاظه، و عذوبة معانيه أنه قادر على الاتيان بمثله، فإذا أراد الاتيان بمثله عزّ عليه مثاله، و امتنع عن طـالب معارضـته، فلا يناله و القرآن العظيم كله على هـذا المنوال خلا ما فيه من المتشابه و الحروف التى فى أوائل السور، فإذا فسـرت كانت كذلك. و منه فى السـنة كثير .. من ذلك قوله صلى اللّه عليه و سلم- تنكح المرأة لجمالها و مالها و حسبها عليك بذات الدين تربت يداك»-.

و قوله صلى اللّه عليه و سلم- «إياكم و خضراء الدّمن قالوا و ما خضراء الدّمن؟ قال المرأة الحسناء فى المنبت السّوء». و قوله صلى اللّه عليه و سلم- «المعدة بيت الدّاء و الحمية رأس كل دواء و عوّدوا كل جسد ما اعتاد»- و قوله صلى اللّه عليه و سلم.-» الخيل معقود فى نواصـيها الخير إلى يوم القيامـة ظهورهـا عزّ و بطونهـا كنز»-. و أما فى النثر و النظم فقليل مثاله فى النثر قول العماد الكاتب- و لو جعل اللّه حظه من الذهب كحظه من الادب لاستجدى من سعته قارون و استعان بفصاحته هارون- ..

و منه فى الشعر مثل قول مروان بن أبى حفصة:

بنو مطر يوم اللّقاء كأنّهمأسود لها من غيل خفان أشبل

هم يمنعون الجار حتّى كأنّمالجارهم بين السماكين منزل

هم القوم إن قالوا أصابوا و إن دعواأجابوا و إن أعطوا أطابوا و أجزلوا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۳۹ بها ليل فى الإسلام سادوا و لم يكن كأوّلهم فى الجاهلية أول

و لا يستطيع الفاعلون فعالهمو إن أحسنوا فى النائبات و أجملوا

تلاث بامثال الجبال حباهمو أحلامهم منها لدى الوزن أثقل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۰

القسم السادس الرشاقة و الجهامة

فأما الرشاقـة فقـد ذكرناها آنفا، و فى القرآن العظيم منه كثير .. و أما الجهامة فليس فى القرآن منها شـىء فإن الجهامة لا تكون إلا عن غلظ طبع و شدة حصر، و لكن و القرآن العظيم منزه عن ذلك.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۱

القسم السابع الفك و السبك

أما الفك فهو أن يفصل المصـراع الأول من المصراع الثانى أو الفقرة الأولى من الفقرة الثانية، أو الجملة الأولى من الجملة الثانية، و لا تتعلق الثانية بشىء من معنى الأولى مثل قول زهير:

حىّ الدّيار التى لم يعفها القدمبلى و غيرها الأرواح و الديم و من ذلك قول المتنبى:

جللا كما بى فليك التبريح‌أغذاء ذا الرّشإ الأغن الشيح و هذا النوع منه فى القرآن كثير، فإنه يأتى بجملة أثر جملة ليس لها تعلق بالتى قبلها و النحاة يسمون ذلك الجمل المعترضة .. و أما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة، أو الخطبة بعضها ببعض من أوله إلى آخره، و لهذا قيل خير الكلام المسبوك المحبوك الذى يأخذ بعضه برقاب بعض، و القرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۲

القسم الثامن الحل و العقد

و هو أن يأخذ لفظا منظوما أو منثورا فينظمه مع الاتفاق فى المعنى .. و هذا القسم يختص بالإنشاء معروف بالكتّاب البلغاء الفصحاء، و هو من أجلّ ما يمتّون به و أعظم ما يترفعون بسببه .. و فى القرآن العظيم من جنسه و هو ما ورد فيه من آية مجملة فسرتها آية أخرى أو مفسرة أجملتها آية أخرى فأشبه ذلك الحل و العقد .. و أكثر ما يقع هذا النوع فى الشعر و الرسائل، فإن الشعر معقود و النثر يحلله و النثر محلول و الشعر يعقده و للماهرين فى صناعة الانشاء من هذا كثير، ليس هذا موضع ذكره إذ ليس غرضنا فى هذا الكتاب إلا اثبات ما وقع فى الكتاب العزيز من فنون الفصاحة و عيون البلاغة، و بدائع البديع، أو ما يجرى مجرى ذلك.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۳

القسم التاسع الازدواج

و هو أن يزاوج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب و ألفاظ حلوة .. و مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى: فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ. و قوله تعالى: وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها. و قوله تعالى: يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ و مثله قوله تعالى: وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً و قد جاء فى الكلام الفصيح و أشعار العرب و غيرها مؤتلفا و مختلفا، و يكون كلمة و كلمتين .. و منه الحديث- إما محسنا فيزداد و أما مسيئا فيستعتب- .. و منه قول الشاعر:

عتبت عليه فما أعتباو عنه اعتذرت و قد أذنبا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۴

القسم العاشر تضمين المزدوج

و هو أن يقع فى الفقرات لفظان مسجعان بعد مراعاة حدود الاسجاع و القوافى الأصلية كقوله تعالى: وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ بعد مراعاة اللفظ فى مقاطع الآى و هى- الغائبين و مبين- ..

و منه فى الشعر و النثر كثير. فمن النثر قول بعض البلغاء: فلان رفع دعامة الجد و المجد باحسانه، و برّز بالجد و الجد على أقرانه .. و مثاله من النظم قول الشاعر:

تعوّد رسم الوهب و النهب فى العلاو هذان وقت اللطف و العنف دابه

ففى اللطف أرزاق العباد هباتهو فى العنف أعمار العداة نهابه

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۵

القسم الحادى عشر التسجيع. و الكلام عليه من وجوه

الأول: فى أقسامه. الثانى: اختلاف العلماء فى جواز استعماله و حظره. و الثالث: فى شرطه، و ما ينبغى أن يكون فيه.

الأول: قد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة فى التسجيع فقال قوم: هو على ثلاثة أقسام: المتوازى. و المتطرف. و المستحسن ..

أما المتوازى فهو رعاية الكلمتين الأخيرتين فى الوزن و الروىّ. و ذكر الروىّ فى النثر توسعة فى الكلام، و إلّا فالروى مخصوص بالشعر. مثاله من كتاب اللّه تعالى قوله عز و جل: فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَ أَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ .. و مثاله من السنة النبوية قوله صلى اللّه عليه و سلم «اللهم اعط منفقا خلفا و اعط ممسكا تلفا».

و أما المتطرف فهو أن تتفق الكلمتان الاخيرتان فى الحرف الأخير دون الوزن. مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً .. و منه قول بعض البلغاء- جنابة محط الرحال و مجثم الآمال ..

و أما المتوازن فمثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى: وَ آتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ و قال قوم هو على ثلاثة اقسام: قصير موجز. و متوسط معجز. و طويل مفصح مبين للمعنى مبرز

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۶

.. أما الاول و هو القصير فاعلم أن أقصر الفقرات القصار فى السجع ما يكون من لفظين كقوله تعالى: وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً فَالْمُورِياتِ قَدْحاً فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً. و قوله تعالى: وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً. و أطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات و ما بين هذين متوسط كقوله تعالى: وَ النَّجْمِ إِذا هَوى ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى. و قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ .. و أقصر الطوال ما يكون من أحد عشر لفظة و أطولها غير مضبوط و كلما طالت الفقر زاد بيانها و افصاحها. و قد وقع فى الفقر المطوّلة ما هو من عشرين لفظة فما حولها مثل قوله تعالى: إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.

و مثاله فيما دون ذلك قوله تعالى: وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ و قوله تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ..

و الفقرات المسجوعة إما أن تكون متساوية أو لا .. أما المتساوية ففى الاكثر إنما توجد فى الفقرات القصار، كما فى قوله تعالى: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ.

و أما المختلفة فاختلافها إما أن يكون فى فقرتين أو أكثر .. أما

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۷

المختلفة فى فقرتين فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى و لا تزيد بقدر كثير كقوله تعالى: وَ أَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً وَ إِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً. و كذلك قوله تعالى: وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا .. و أما المختلف فى أكثر من فقرتين فأحسنه أن تكون الفقرة الثالثة زائدة و الأوليتان متساويتان أو الثانية منه أزيد يسيرا .. و أقل السجع حسنا ما يكون المتأخر من الفقرات أقل مما قبلها.

و أما الثانى: فقد اختلف أرباب علم البيان فيه. فمنهم من قال باستحسان السجع و فضله على الاسترسال فى الكلام و رجحه .. و منهم من كره السجع و اقبحه، و احتج على ذلك بأمرين: أحدهما اشتماله على الكلفة. و الثانى قوله عليه الصلاة و السلام: «أ سجعا كسجع الجاهلية» و كلا الحجتين فاسد .. أما الاولى فلأنه لم يخل شىء من الكلام من تكلف ما .. و أما الثانية فلأن الإنكار إنما كان لسجع مخصوص، و هو ما قصد به ابطال حق أو تحقيق باطل و لو كان السجع قبيحا لاستحال وروده فى القرآن .. و التسجيع و عدمه أسلوبان

جرت عليهما ألسنة فصحاء العرب و خطبائهم يأتون بذلك بغير تكليف و لا تعسف .. و ورد فى القرآن العظيم آيات كثيرة خالية من السجع و آيات كثيرة مشحونة بالسجع، و سورة الضحى، و الكوثر فاعرفه.

الثالث: قال علماء علم البيان الأسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها، لأن الغرض أن يجانس بين القرائن و يزاوج بينهما و لا يتم ذلك الّا بالوقف، أ لا ترى أنك لو وصلت قوله: ما من عزّة إلا و إلى جنبها عزّة، و قولهم ما أبعد ما فات، و ما أقرب ما هو آت لم يكن من اجراء كل الفقرات على ما يقتضيه حكم الاعراب، فتكون

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۸

قد عطلت عمل الساجع و قوة عزمه .. و اذا رأيتهم يخرجون الكلم عن اوضاعها من الازدواج فيقولون أتيتك بالغدايا و العشايا. و هنانى الطعام و مرانى. و أخذه ما حدث و ما قدم. و انصرفن مأزورات غير مأجورات.

و قال عليه الصلاة و السلام «أنفق بلال و لا تخش من ذى العرش إقلال» مع أن فيه ارتكاب ما يخالف اللغة فما ظنك بهم فى ذلك؟

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۴۹

القسم الثانى عشر الترصيع

وهت أن تكون ألفاظ الكلام مستوية الأوزان متفقة الاعجاز مثل قوله عز و جل: إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِى نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ. و قوله تعالى: إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ. و قوله تعالى:

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً و هو فى كتاب اللّه كثير. و منه فى النثر كثير منه قول الحريرى و هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، و يقرع الاسماع بزواجر وعظه .. و هو فى الشعر كثير منه قول ابى فراس:

و أفعاله للراغبين كريمةو أمواله للطالبين نهاب و قول آخر:

ثمانية لم تفترق مذ جمعتهافلا افترقت ما ذبّ عن ناظر شفر

يقينك و التقوى وجودك و الغنىو لفظك و المعنى و حربك و النّصر و منه قول أبى الورد:

يروح إليهم عازب الحمد وافياو يغدو إليهم طالب الرّفد عافيا و قد يجىء مع التجنيس كقولهم إذا قلت الانصار كلّت الابصار، و ما وراء الخلق الدّميم إلا الخلق الذميم .. و قول المطرزى:

و زند ندا فواضله وريّو رند ربا فضائله نضير

و درّ جلاله أبدا ثمينو درّنوا له أبدا غزير

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۰

القسم الثالث عشر التسميط

و هو على قسمين:

الأول: أن يكون فى صدر الكلام أو الرسالة، أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة، ثم يجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضى أو رسالة حتى تنتهى، فتصير كالسمط الذى احتوى على جواهر متشاكلة. و منه قوله تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ إلى قوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ و قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْكُنَّسِ وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ.

و قوله تعالى: إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ إلى قوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ و قوله تعالى: إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ. و قوله تعالى: الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ. و مثله فى القرآن كثير. و منه قول امرئ القيس:

و مستلئم كشفت بالرمح ذيلهأقمت بعضب ذى شقاشق ميله

فجعت به فى ملتقى الحرب خيلهتركت عتاق الطير يحجلن حوله كأنّ على سرباله نضح جريال- و كقول الآخر:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۱ حلو شمائله تندى أنامله‌إن جاء سائله أعناه نائله حتى يروح له ما شاء من مال

القسم الثانى: أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول جنوب الهذيلية:

و جرد وردت و ثغر سددتو علج شددت عليه الحمالا

و مال حويت و خيل حميتو ضيف قريت يخاف الوكالا - و قد أبدع الحريرى فى التوشيح بقصيدته التى أولها:

خلّ ادّكار الأربع و المعهد المرتبع و الظاعن المودّع و عدّ عنه ودع

و اندب زمانا سلفاسوّدت فيه الصحفا

و لم تزل معتكفا

على القبيح الشنع- و من بديع التسميط أيضا قوله فى قصيدته التى يقول فيها:

و إن لاح لك النقش من الأصفر تهتشّ و إن مرّ بك النعش تغاممت و لا غمّ ستذرى الدم الدّمع إذا عاينت لا جمع يقى فى عرصة الجمع و لا خال و لا عمّ جعل قصيدته كلها على هذا المنوال:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۲

القسم الرابع عشر التجزى

و هو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء. مثال الثلاثة أجزاء من الكتاب العزيز قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ .. و مثال الاربعة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة و السلام يعظ أباه بقوله: يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا و فى القرآن منه كثير .. و منه قول ابن المعتز فى الثلاثة:

عجبا لمنصلك المقلد كيف لم‌تسل الدماء عليك منه سيولا

لك حسنة متقلدا و بهاؤهمتنكبا و مضاؤه مسلولا - و مثال الأربعة الاجزاء قول المتنبى:

فنحن فى جدل و الروم فى وجلو البحر فى خجل و البرّ فى شغل - و منه قول ابن المقرى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۳ إذا صلدوا أورى و إن عجّلوا ارتأىو إن بخلوا أعطى و إن غدروا وفّى

فللجود ما أبقى و للمجد ما ابتنىو للنّاس ما أبدى و للّه ما أخفى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۴

القسم الخامس عشر فى التوشيح

التوشيح أن تكون ذيول الأبيات ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحد، فعلى أى القافيتين وقفت كان شعرا مستقيما كقوله:

اسلم و دمت على الحوادثمارسا ركنا ثبير أو هضاب حراء

و نل المراد منها ممكنا علىرغم الدّهور و فز بطول بقاء قافيتهما على ثانى قافية من ثانى الكامل، و على الأول من سادسه .. و أما ما هو من بحر واحد، و قد يسمى هذا النوع المتلوّن و ذكره الزنجانى و أنشد فيه:

أ بنىّ لا تظلم بمكّة لا الصغير و لا الكبيرو لا الفقير البائس و قال ان قيدته كان من سابع الكامل، و ان أطلقته كان من سادسه. و هذا

النوع فى القرآن العظيم ما يشبهه، و هو ما ورد فى الآيات من الوقف الكافى و التمام إن وقفت على الوقف الكافى كان حسنا، و إن وقفت على التمام كان أجود كقوله تعالى: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ان وقفت على- من قبلك- كان وقفا حسنا، و إن وقفت على- يوقنون- كان أحسن و هو تمام، و كذلك كل ما أشبهه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۵

القسم السادس عشر براعة المطلب و حسن التوسل

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان ۳۵۵ القسم السادس عشر براعة المطلب و حسن التوسل ..... ص : ۳۵۵

هو أن تكون ألفاظ المطلب مهذبة مقترنة بتعظيم الممدوح كقوله تعالى: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. و كقوله تعالى فى قصة نوح عليه الصلاة و السلام: إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ. و قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة و السلام: رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ إلى قوله:

لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. و قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة و السلام: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ إلى قوله: وَ أَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ. و قوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام: قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى إلى قوله: الظَّالِمِينَ. و قوله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة و السلام: فَنادى فِى الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

و قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة و السلام: وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ إلى قوله: فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. و قوله تعالى فيما حكاه رسوله عليه الصلاة و السلام عن عباده المؤمنين: إِنَّ فِى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إلى قوله: فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ .. و جاء من

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۶

هذا النوع فى الشعر كثير منه قول المتنبى:

و فى النفس حاجات و فيك فطانةسكوتى بيان عندها و خطاب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۷

القسم السابع عشر المخالفة

اعلم أن المخالفة هو الخروج عن مذهب الشعراء، و ترك الاقتداء بآثارهم مثل قول نصيب:

طرقتك صائدة القلوب و ليس ذاوقت الزّيارة فارجعى بسلام و ليس من المعهود رد المحبوب على عقبه إذا زار .. و مثل قول ابن عتيق:

جعل الندّ و الألوة و المسك أصيلا لها على الكافور- و معلوم أن الزنج على نتن رائحتهم لو تطيبوا ببعض هذا الطيب، لطابت رائحتهم، و إنما الحسن الجيد قول امرئ القيس:

أ لم تر أنى كلما جئت نحوهاوجدت بها طيبا و إن لم تطيّب - و من ذلك قول امرئ القيس:

أغرّك منى أنّ حبّك قاتلىو أنّك مهما تأمرى القلب يفعل و هذا مخالف للمعتاد لأن فيه توعدا للمحبوب و المحب لا يتوعد محبوبه .. و كذلك قوله:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۸ و إن تك قد ساءتك منى خليقةفسلّى ثيابى من ثيابك تنسلى - و القرآن العظيم كله مخالف لأساليب الشعر، و قوانين النظم و النثر التى يستعملها الناظمون و الناثرون. و لهذا قال الغفارى: لقد عرضته على إقراء الشعر فلم يلتئم فإنه ليس بالشعر.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۵۹

القسم الثامن عشر لزوم ما لا يلزم

و يسمى التضييق و التشديد و الإعنات، و هو التزام أن يكون ما قبل القافية حرفا معينا كما فى قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. و قوله تعالى: وَ الطُّورِ وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ.

و قوله تعالى: فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ. و قوله تعالى: فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ. و هو فى القرآن كثير .. و جاء فى الحماسة:

إنّ التى زعمت فؤادك ملّهاخلقت هواك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغهابلباقة فأدقّها و أجلّها

حجبت تحيتها فقلت لصاحبىما كان أكثرها لنا و أقلّها

و إذا وجدت لها وساوس سلوةشفع الضمير إلى الفؤاد فسلّها - و كذلك قول كثير عزّة فى أبيات له:

خليلىّ هذا رسم عزّة فاعقلاقلوصيكما ثم انزلا حيث حلت

فكانت لقطع الحبل بينى و بينهاكناذرة نذرا فأوفت و حلّت - و قول المعرى:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۰ لا تطلبنّ بغير جدّ حاجةقلم البليغ بغير جدّ معزل

سكن السّما كان السماء كلاهاهذا له رمح و هذا أعزل و فى هذا القرآن العظيم من هذا النوع كثير .. و من ذلك قوله تعالى:

وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ لزم الياء و الدال فى أكثر هذه السورة. و قوله تعالى: هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً.

إلى قوله: يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً التزم قافية توافق قافية .. و من ذلك قوله تعالى: أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَ لا يَكادُ يُبِينُ فَلَوْ لا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ و القرآن مشحون بهذا .. و هذا النوع أتى فى القرآن عفوا من غير قصد، و ربما وقع فى أقوال فصحاء العرب من غير قصد، و المتأخرون يقصدون ذلك و يتكلفون فى استعماله.

ليس التكحّل فى العينين كالكحل الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۱

القسم التاسع عشر التفويف

و المفوف عند أرباب هذه الصناعة فيه قولان: الأول أن تكون ألفاظه سهلة المخارج عليها رونق الفصاحة، و بهجة الطلاوة، و عذوبة الحلاوة مع الخلو من البشاعة، ملطفة عند الطلب و السؤال، مفخمة عند الفخار و النزال .. و ان كان شعرا فليكن شعره سهل العروض، و قوافيه عذبة المخارج، سهلة الحروف و معانيه مواجهة للغرض المطلوب ظاهرة منه حيث لا تحتاج إلى إعمال الفكر فى استنباط معانيه، فإذا كان كذلك سمى مفوّفا بما تنوع من ألفاظه و معانيه فأشبه البرد المفوّف الذى فيه ألوان مختلفة و ألوان متقابلة .. و أصل التفويف بياض يكون على الأظفار.

الثانى: المفوف من الكلام و الشعر هو الذى يكون فيه التزامات لا تلزم تكتب بأصباغ مختلفة حتى يفطن للالتزامات التى جعلت عليه، و على كلا القولين فالقرآن العزيز كله كذلك، فإن كان التفويف بأصباغ مختلفة الألوان فتفويف القرآن العظيم مقاطع آياته و فواتحها و تحزيبه و تعشيره و ارباعه و اخماسه و اسباعه، فإنّ العلماء رضى اللّه عنهم رخصوا بأن يكون ذلك بالحمرة، أو الخضرة، أو الصفرة، أو بألوان مخالفة للون الحبر و المداد، حتى يعلم أنها ليست من نفس القرآن فاستحبوا ذلك، فاذا صار على هذه الصفة أشبه البرد المفوف، بل أجل و أحسن

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۲

و أبهى و ألطف، و إن كان التفويف القول الأول، فالقرآن العظيم كله كذلك أيضا فاعرف ذلك.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۳

القسم الموفى عشرين التطريز

قال علماء البيان: التطريز هو أن تأتى قبل القافية بسجعات متناسبة، فيبقى فى الابيات أواخر الكلام كالطراز فى الثوب .. و منه قول الشاعر:

أمسى و أصبح من هجرانكم دنفايرثى لى المشفقان الأهل و الولد

قد خدّد الدّمع خدّى من تذكركمو هدّنى المضنيان الشوق و الكمد

كأنما مهجتى شلو بمسبعةينتابها الضاريان الذئب و الاسد

لم يبق غير خفى الرّوح من جسدىفدا لكَ الفانيان الرّوح و الجسد

إنى لأحسد فى العشاق مصطبراو حسبك القاتلان الحبّ و الحسد قال المصنف عفا اللّه عنه: هذا النوع استخرجه المتأخرون، و ليس فى شعر القدماء شىء منه، و لا فى كلامهم و قد استقريته من الكتاب العزيز و اشعار المولدين فوجدته على ثلاثة أقسام. الأول: ما له علمان علم من أوله و علم من آخره. الثانى: ما له علم من أوله. الثالث:

ما له علم من آخره. فأما الذى له علمان فكقوله تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ. وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۴

وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .. و منه فى الشعر قول بعضهم من أبيات:

و المسعدان عليها الصّبر و الجلدأفناهما الخاذلان الوجد و الكمد

و العاذلان عليها ردّ عذلهمافى حبها العاذران الحسن و الجيد

و الباقيان هواها و الغرام بهافداهما الذّاهبان الروح و الجسد - و منه قوله تعالى: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ، أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ.

و أما الذى طرازه من أوله. فمنه فى القرآن كثير. فمن ذلك قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. و هذا النوع قد ورد فيه من أشعار المتقدمين و المتأخرين فمن ذلك قول البحترى:

تعلوا الوفود ثلاثة فى أرضهإفضاله وجداه و الانعام

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۵ و ثلاثة تغشاك مهما زرتهإرفاده و المنّ و الاكرام

و ثلاثة قد جانبت أخلاقهقول البذا و الزور و الآثام

و ثلاثة فى الغرّ من أفعالهتدبيره و النّقض و الإبرام - و أما الذى علمه من آخره، ففى القرآن منه كثير. فمن ذلك قوله تعالى: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ إلى آخر السورة. و منه قوله تعالى: فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً الى آخر السورة .. و من ذلك فى المرسلات قوله تعالى: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ إلى آخر السورة.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۶

القسم الحادى و العشرون ما يقرأ من الجهتين

مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى: كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.

و قوله تعالى: وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ و أرباب علم البيان يسمون هذا النوع العكس و التقليب، و هو عندهم على أربعة أنواع، الأول: قلب البعض: و هو أن تقلب حروف الكلمة، و هو كقوله عليه الصلاة و السلام:- «اللّهمّ استر عوراتنا و آمن روعاتنا»-. و منه قول الحريرى:

لجوب البلاد مع المتربةأحبّ إلىّ من المرتبة - الثانى مقلوب الكل كقولهم- كفة بحر، و جنابه رحب. الثالث:

المجنّح و هو أن يقع مقلوب الكل فى جناح البيت، أو جناحى المصراع كقوله:

لاح أنوار الذىمن كفّه فى كلّ حال - الرابع المسوى: و هو أن يقرأ طردا و عكسا من الجهتين. و منه الكلمتان فى الآيتين المتقدمتين.

و منه قول الحريرى:

أس أرملا إذا عراو ارع إذا المرء أسا - الأبيات .. و منه قول الآخر:

أراهنّ نادمنه ليل لهوو هل ليلهن مدان نهارا

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۷

- و من أنواع هذا الباب ما إذا انعكست الكلمات يخرج منها كلام صحيح كالرسالة المشتملة على مائتى كلمة للحريرى فى المقامة القهقرية التى أولها الانسان صنيعة الاحسان إلى أن ختم بقوله: الأحرار عند الأسرار .. و من هذا النوع أيضا ما تقلب فيه الألفاظ بطريق العكس لتفيد معنى آخر كقولهم: كلام الملوك ملوك الكلام، و عادات الأشراف أشراف العادات.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۸

القسم الثانى و العشرون رد العجز على الصدر. و يسمى التصدير

اشارة

و هو أيضا من ضروب البيان و فنون التلعب باللسان. و منه قوله تعالى: فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ ما كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ .. و منه قولهم القتل أنفى للقتل .. و منه قول بعض البلغاء الحيلة ترك الحيلة .. و منه قول الشاعر:

تسير النجوم الدّائرات بحكمهو ذاك إذا عدّت علاه يسير - و قول الآخر:

لقد حاز أنواع الفضائل كلهاو أمسى وحيدا فى فنون الفضائل - و قول الآخر:

سألت صروف الدّهر حظّ مملّكفشحّت و جادت لى بحظّ أديب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۶۹

فصل

و من هذا الضرب التجنيس، و هو عند أكثر علماء علم البيان على قسمين: تجنيس حقيقى. و مشبه بالتجنيس .. أما التجنيس الحقيقى فهو أن تأتى بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى فى الحروف مغايرة لها فى المعنى، و لم يرد ذلك فى الكتاب العزيز الّا فى آية واحدة و هى قوله تعالى: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ .. و أما المشبه بالتجنيس فكثير، و قد احتوى الكتاب العزيز منها على اللباب و أتى منها بالعجب العجاب، و هو على ضروب:

الأول: التجنيس المماثل و هو أن يكون من اسمين أو فعلين مثل قوله تعالى: يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ. و قوله تعالى: الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ وَ الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ. و قوله تعالى: وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ. و قوله تعالى: ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ.

الثانى: التجنيس المغاير و هو يكون من اسم و فعل. و منه قوله تعالى: وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ. و قوله تعالى: أَزِفَتِ الْآزِفَةُ. و قوله تعالى: فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ و فى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۰

القرآن منه كثير. و قد جمع بعض الشعراء فى أبيات نذكرها فى آخر هذا الفصل فيها أجناس من التجنيس.

الثالث: تجنيس التصحيف، و هو أن يكون اللفظ فرقا بين الكلمتين. و منه قوله تعالى: وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً.

و منه قول الشاعر:

القابضون على العليا بكفّهمو القابضون من الدّنيا بأطراف

المحسبون إذا جدّ الفخار بهمو المحسنون إذا سيلوا بالحاف الرابع: تجنيس التحريف: و هو أن يكون الحرف فرقا بين الكلمتين .. و منه قوله تعالى: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ. و قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْكُنَّسِ.

الخامس: تجنس التشكيل: و هو أن يكون الشكل فرقا بين الكلمتين. و منه قوله تعالى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ. و قوله تعالى: أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى .. و منه قول بعضهم:

أأنتم زعمتم أننى غير عاشقو أنى لا أعبأ ببين مفارقى

فلم قرحت يوم الوداع مدامعىو لم شاب من هول الفراق مفارقى و هذه أبيات جمعت فيها أجناس من التجنيس التى نقدم ذكرها و هى:

ربّ خود عرفت فى عرفاتسلبتنى بحسنها حسناتى

و رمت بالجمار حبّة قلبىأىّ قلب يقوى على الجمرات

و أفاضت مع الحجيج ففاضتمن دموعى سوابق العبرات

حرّمت حين أحرمت نوم عينىو استباحت حماى باللحظات

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۱ لم أنل فى منى منى النفس لكنخفت بالخيف أن تكون وفاتى فقوله- عرفت فى عرفات- تجنيس مغاير و قوله- سلبتنى بحسنها حسناتى- مماثل و كذلك- و أفاضت ففاضت- و كذلك- حرّمت و أحرمت- و كذلك- بالجمار و الجمرات- و قوله- و لم أنل فى منى منى النفس- تجنيس التشكيل و قوله- خفت بالخيف- تجنيس مغاير.

السادس: تجنيس العكس و هو أن تكون حروف الكلمتين غير مرتبة. مثاله من القرآن قوله تعالى: إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى و قد جاء فى الشعر أن يقدّم حرفا فى كلمة و يؤخره فى أخرى .. و منه قول حسان فى مدح النبى صلى اللّه عليه و سلم:

تحمله الناقة الأدماء معتجرابالبرد كالبدر غشّى نوره الظّلما السابع: تجنيس التركيب: و هو أن يجمع بين اسمين أو اسم و فعل، ثم

يجعلهما كالكلمة الواحدة مثال الاسم مع الاسم- بعل بك.

و معدى كرب- و مثال الفعل مع الاسم حضر موت. و رام هرمز. و قد جاء فى القرآن العظيم: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ .. و فى الشعر كثير. من ذلك قول بعضهم:

إنّ أسيافنا الغضاب الدّوامى‌جعلت ملكنا مديد الدّوام

باقتسام الأموال من وقت سامو اقتحام الأهوال من وقت حام - و منه:

بأبى غزال نام عن وصبى بهو سجوم دمعى فى الهوى و صبيبه - و منه قول المتنبى:

و شادن قلت لههل لك فى المنادمة

فقال كم من عاشق‌سفكت بالمنى دمه

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۲

و منه فى الشعر كثير.

الثامن: تجنيس التصريف و هو أن تنفرد إحدى الكلمتين عن الأخرى بحرف مثل قوله تعالى: ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ. و مثل قوله تعالى: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ. و مثل قوله: لَيَكُونُنَّ أَهْدى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ. و منه قوله صلى اللّه عليه و سلم: «الخيل معقود فى نواصيها الخير» .. و منه قول الأعشى:

و رأيت أنّ الشيب جا نبه البشاشة و البشارة التاسع: تجنيس الترجيع: و هو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال اللّه عز و جل: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ. و منه قوله عز و جل:

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ. و قوله تعالى: وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ .. و منه قول الشاعر:

و ما منعت دار و لا عزّ أهلهامن النّاس إلا بالقنا و القنابل - و قال المخبل:

فأتت عليه و ماله من مالهمّا أفاء و لا أفاد عناق - و قال آخر:

عذيرى من دهر موار موارب‌له حسنات كلّهنّ ذنوب - و لأبى تمام:

يمدّون من أيد عواص عواصم‌تصول بأسياف قواض قواضب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۳

القسم الثالث و العشرون التسهيل

و هو أن يكون فى القافية ما يدل على الكلام، أو فى أول الكلام ما يدل على القافية كقول أبى حية:

إذا ما تقاضى المرء يوم و ليلةتقاضاه دهر لا يملّ التقاضيا - و مثله:

فليس الّذى حلّلته بمحلّلو ليس الّذى حرّمته بمحرّم - و مثله:

هى الدّرّ منثورا إذا ما تكلّمتو كالدّرّ منظوما إذا لم تكلّم

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۴

القسم الرابع و العشرون الاتفاق و الاطراد

اشارة

و هو أن يوفق شيئا لا يتفق عاجلا مثل قول أبى تمام فى الغزل:

لسلمى سلامان و عمرة عامرو هند بنى هند و سعد بنى سعد - و قوله أيضا يصف حصانا:

بحوافر حفر و صلب صلّب و مشاعر شعر و خلق أخلق- و من ذلك أيضا:

حمدان حمدون و حمدان حارث و لقمان لقمان و لقمان راشد و هذه كلها تعسفات ليس فى القرآن العظيم منها شيء:

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۵

فصل

و قد كان ينبغى أن يكون مقدما فى أول الكتاب، ذكر ما اشتق منه القرآن، و السورة و الآية و الكلمة و الحرف و بيان معانيها .. أما القرآن فاشتقاقه فيه قولان. أحدهما التتبع و الجمع من قولهم: قرأت الماء فى الحوض إذا تتبعته و جمعته فيه فهو جامع لما فى كتب الأولين المنزلة على سائر النبيين.

و الثانى: أنه مشتق من الإظهار و البيان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج إليها فى أمر الدين و الدنيا و جمع بينها و كلاهما حسن، و الأول أظهر، و قد يأتى القرآن بمعنى الصلاة فى مثل قوله تعالى: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ أى و صلاة الفجر، و بمعنى القراءة .. و فى مرثية عثمان رضى اللّه عنه:

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به‌يقطّع الليل تسبيحا و قرآنا و أما السورة ففيها أربعة أقوال: الأول: أنها سميت بذلك لعظمها و علوّ شأنها من قولهم فلان سورة من المجد. الثانى: سميت بذلك لكرمها و تمامها من قولهم: لفلان سورة من الأهل أى أقوام كرام. الثالث: أنها قطعة من القرآن و اشتقاقها من السؤر الذى يفضل من الشارب، و على هذا يكون أصلها الهمز، و إنما ترك لانضمام ما قبله فأبدلوا منه واوا.

الرابع: سميت سورة لأن قارئها ينتقل من منزلة فى الأجر إلى منزلة أعلى

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۶

منها .. قال الشاعر:

أ لم تر أنّ اللّه أعطاك سورة ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

كأنّك شمس و الملوك كواكب‌إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب و معناه أعطاك منزلة فوق منازل الملوك، و هو قول حسن .. و أما الآية ففيها أربعة أقوال: الأول: أنها اشتقت من العلامة، و الآية علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها. الثانى: أنها سميت بذلك لأنها كلمات مجتمعة من القرآن من قولهم: خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم.

الثالث: الآية الرسالة و القصد .. قال الشاعر:

ألا أبلغا هذا المعرّض آيةأ يقظان قال القول إذ قال أم حلم معناه بلغاه رسالة و الآية رسالة من اللّه إلى نبيه و خلقه. الرابع:

إنما سميت بذلك لأنها عجب لأنها تشبه كلام البشر، و لا يقدرون على الإتيان بمثلها من قولهم فلان آية من الآيات، أى عجب و هو قول حسن .. و أما الكلمة فهى اللفظة الدالة على المعنى المفرد، أو على معنيين أحدهما حقيقة، و الآخر مجاز و هى فى كتاب اللّه تعالى تطلق و يراد بها معان سبعة:

أحدها: كلمة التوحيد و هى لا إله إلّا اللّه. الثانى تطلق و يراد بها الشرك قال اللّه تعالى: وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى يعنى الشرك: وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا يعنى كلمة الاخلاص و التوحيد. و منه قوله تعالى: وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ قال مجاهد و السدّى هى قول لا إله إلا اللّه. الثالث: تطلق و يراد بها الوعد. و منه قوله تعالى:

وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ يعنى و عدم الساعة. قال اللّه تعالى:

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ. الرابع: تطلق و يراد بها دعاء اللّه الخلق اليه. و منه قوله تعالى: إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ الآية.

الخامس: تطلق و يراد بها عيسى عليه الصلاة و السلام.

و منه قوله تعالى: وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ سماه كلمة لأنه

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۷

أوجده بالكلمة و هى قوله «كن». السادس: تطلق و يراد بها القصة و القصيدة، و العرب يقولون كلمة امرئ القيس، يريدون قصيدته، و يقولون خبرنا كلمة فلان يريدون قصته.

و فى الحديث: «و استحللتم فروجهنّ بكلمة اللّه» يعنى النساء كأنه يشير إلى قوله تعالى: فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ.

السابع: تطلق و يراد بها الكلمة الواحدة المفردة التى جمعها كلمات.

و الكلمات فى كتاب اللّه تعالى تأتى على ستة معان: الأول تطلق و يراد بها علم اللّه سبحانه و تعالى. و منه قوله تعالى: لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً. الثانى: يراد بها مواعيده سبحانه و تعالى. و منه قوله تعالى: لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ أى لا خلف لما وعد. الثالث: تطلق و يراد بها الخصال. و منه قوله تعالى:

وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَ أى بعشر خصال من الطهارة معروفة. الرابع: تطلق و يراد بها الاعتراف و طلب المغفرة. و منه قوله تعالى: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ و هى قوله: رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ. الخامس: تطلق و يراد بها عيسى عليه الصلاة و السلام، قاله الهروى فى قوله تعالى: وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها. السادس: تطلق و يراد بها القرآن. و منه الحديث- أعوذ بكلمات اللّه التامات- يعنى القرآن قاله الهروى أيضا و غيره ..

و أما الحرف فله فى كتاب اللّه تعالى، و لسان العرب محامل.

أحدها: اللغة يقال هذا حرف بنى فلان أى لغتهم. الثانى: يطلق و يراد به معنى من المعانى. و منه الحديث: «نزل القرآن على سبعة أحرف» أى على سبعة معان. الثالث: يطلق و يراد به أحد القراءات، و عليه حمل بعضهم قوله صلى اللّه عليه و سلم: «نزل القرآن على سبعة أحرف».

الرابع: يطلق و يراد به الآية. و منه الحديث: «لكلّ حرف ظهر و بطن

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۸

و حدّ و مطلع» و فى رواية- و لكل آية منه ظهر و بطن و حد و مطّلع-.

الخامس: يطلق و يراد به الشك. و منه قوله تعالى: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ» أى على شك. و قال ابن عرفة معناه: على غير طمأنينة. السادس: يطلق و يراد به الجانب. و منه قول ابن عباس- أهل الكتاب لا يأتون النساء إلّا على حرف- أى جنب. و منه حرف الجبل جانبه. السابع: الحرف الناقة .. و منه قول كعب بن زهير:

حرف أخوها أبوها من مهجّنةو عمها خالها قوداء شمليل - الثامن: يطلق و يراد به أحد حروف الهجاء التى يجمعها أبجد.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۷۹

فصل فى ذكر اعجاز القرآن العظيم

قد تكلم العلماء فى ذلك فقال قوم: إعجازه من جهة ايجازه و احتواء لفظه القليل على المعانى الكثيرة مثل قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ الآية. و قوله تعالى: إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ الآية.

و قوله تعالى: فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ الآية. و قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ. و قوله تعالى: وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ. و قوله تعالى: فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا. و قوله تعالى: وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ. و قوله تعالى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ. و قوله تعالى: أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ الآية، و أشباهها كثير اذا تأملت الكتاب العزيز وجدت فيه من هذا

كثير ..

و قد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد فى السنة و كلام العرب ما لفظه قليل و معناه كثير مثل قوله صلى اللّه عليه و سلم: «الأعمال بالنيّات و المجالس بالأمانات». و أشباهه كثير .. و قال قوم: إعجازه من جهة حسن تركيبه، و بديع ترتيب ألفاظه، و عذوبة مساقها و جزالتها، و فخامتها و فصل خطابها .. و قال قوم: إعجازه من غرابة أسلوبه العجيب و اتساقه الغريب الذى خرج عن أعاريض النظم و قوانين النثر و أساجيع

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۰

الخطب و أنماط الأراجيز، و ضروب السجع .. و قد اعترض على هذا القول من وجوه. الأول: لو كان الابتداء بالأسلوب معجزا لكان الابتداء باسلوب الشعر معجزا. الثانى: أن الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بمثله. الثالث: أن الذى تعاطاه مسيلمة من الحماقة فى معارضة: إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ- و الطاحنات طحنا- هو فى أسلوب فى غاية الفظاعة و الركاكة، و كان مبتدئا به و لم يعد ذلك معجزا، بل عدّ سخفا و حمقا. الرابع: لما فاضلنا بين قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ و بين قولهم- القتل أنفى للقتل- لم تكن المفاضلة بسبب الوزن، و إنما تعلق الاعجاز بما ظهرت به الفضيلة. الخامس: إنّ وصف العرب القرآن بأنّ له لحلاوة، و أنّ عليه لطلاوة لا يليق بالأسلوب .. و قال قوم: اعجازه بمجموع هذه الوجوه الثلاثة، و هذا الكلام يحتاج إلى نظر لأن مجموع هذه الأقسام الثلاثة إنما تكون معجزة فى حق العرب خاصة، لأن الفصاحة و البلاغة فيهم جبلة و خلقة، و هم فرسانها أصحاب قصبات السبق فيها إلى الأمد لا يباريهم فيها أحد، و لا يجاريهم فى مضمارها جواد، و لا يماريهم فى التفرد بها ممار ذو عناد قد ألقت الأمم إليهم فيها مقاليد الإذعان، و خفضوا لهم جناح الذل بما حصل لهم عندهم من العرفان فثبت لديهم أن أحدا لا يجاريهم فى هذا المضمار، و لا يدانيهم فى اظهار و لا إضمار فجاءهم، هذا الكتاب العزيز بقاصمة الظهر و فادحة القهر، و دعوا إلى المعارضة فلم يقدموا و ندبوا الى المساجلة و المجاراة فأمسكوا و أحجموا و قرّعوا بقوارع التوبيخ و التقريع فركبوا خيول العجز و استلأموا فقامت الحجة عليهم بذلك و صحت المعجزة لديهم لحصول التحدى و العجز عن الاتيان بمثله ..

و أما الأعاجم و من يجرى مجراهم فلا تقوم عليهم بذلك حجة، و لا تصح فيهم بذلك معجزة لأنهم معترفون أن الفصاحة ليست من شأنهم

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۱

و لا مضمارها من حلبات ميدانهم، و اللّه سبحانه أرسل محمدا صلى اللّه عليه و سلم إلى الخلق كافة أحمرهم و أسودهم قال اللّه تعالى: قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً. و قال تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً و لا يثبت إعجازه على الكافة الّا بما يعزب على الكافة الاتيان بمثله مع اعترافهم بان فى مقدورهم من جنسه و لو جاء موسى لقومه بالفصاحة، و عيسى لبنى اسرائيل بالبراعة لما قامت لهما على قومهما بذلك حجة .. و قال قوم: إنما وقع إعجازه بما فيه من المعانى الخفية و الجلية و فنون العلوم النقلية و العقلية .. و أصحاب هذا القول لهم فى ذلك خمسة مذاهب منهم من قال اعجازه فيما جاء فيه من أخبار القرون السالفة فى الأزمنة الخالية و الأعصر الماضية فى الأماكن القاصية و الدانية، و قصص الأنبياء مع أممها مما التمسوه منه مثل قصة أهل الكهف و قصة الخضر و موسى عليهما الصلاة و السلام، و حال ذى القرنين، و مما لم يسألوه عنه من قصص بقية الأنبياء صلوات اللّه عليهم أجمعين مع تحققهم أنه أمى لا يحسن الكتابة و لا تقدمت منه دراسة و لا سبقت منه رحلة، و لا انتهت اليه نحلة، و لم يكن بأرضه من يعلم بالأخبار، و يقتفى الآثار سوى أهل الكتاب الذين صرح بسبهم و أطلق لسانه فى ثلبهم و ضلل عقولهم و هجن طريقهم و أظهر معايبهم، و لو كان أحد منهم أطلعه على شىء ذلك أو اعلمه به لقابلوه بالإفصاح فى الرد عليه، و لملئوا الأرض بالتشنيع و التقريع، و حيث لم ينقل ذلك علم أنه لم يعلمه بشر و ليس ذلك إلا من جهة الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفوا أحد، مع أنه قد تعرض جماعة من سفهائهم فقالوا:

ما أخبر اللّه عنهم: إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ و كانوا يقولون: إنه سلمان الفارسى و غيره، فرد اللّه سبحانه عليهم بقوله: لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ.

و قد اعترض على هذا القول بأنّ بعض سور القرآن ليس فيها شىء

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۲

من ذكر القرون الماضية و الأعصر الخالية، و تلك السورة معجزة قد تحداهم اللّه بالاتيان بمثلها فلم يقدروا .. و منهم من قال إعجازه بما فيه من الاخبار بما يكون، و ما كان، مما وقع على حكم ما أخبر به مثل قوله تعالى: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ إلى آخرها و قوله: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. و قوله تعالى: الم غُلِبَتِ الرُّومُ الآية و قوله: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

و قوله: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ الآية.

و قوله: قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ الآيتان. و قوله: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا. و قوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ الآية. و قوله: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ. و قوله: قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ الآية. و قوله: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِ و قوله: لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً. و قوله: مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ. و قوله: يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ. و قوله: وَ يَقُولُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ. و قوله: مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ.

و قوله: يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ. و قوله: إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. و قوله: وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إلى غير ذلك مما كشف به أخبار المارقين، و أسرار المنافقين، و كان جميعه كما أخبره و صدق اللّه و رسوله. و قد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن، ليس فيها شىء من الأخبار بالمغيبات، و تلك السور معجزة قد تحداهم اللّه بالإتيان بمثلها، فلم يقدروا على ذلك و ضاقت عليهم مع فصاحتهم المسالك ..

و منهم من قال إعجازه بما احتوى عليه من العلوم التى لم يسبق إليها أحد من البشر قبل نزوله و لا اهتدت إليها فطن العرب و لا غيرهم من الأمم .. و قد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد فى السنة، و كلام

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۳

العرب مثل هذا و لم يعد معجزة .. و منهم من قال إعجازه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية، و غير الواعية إليه و اقبالها بوجه المودة عليه و استحلاء طعم عذوبة ألفاظه و معانيه و هشاشتها بما يتردد عليها من مبشراته المبهجة و محذراته المزعجة و آياته المقلقة و أخباره المونقة مع كثرة قرعه للأسماع و صدعه بما يخالف الطباع، و مع ذلك فالقلوب مقبلة على اذكاره راغبة فى تكراره شجية عند سماع مزماره يجد ذلك منهم البر و الفاجر و المؤمن و الكافر، قال اللّه تبارك و تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ الآية .. و روى أن نصرانيا مرّ بقارئ فوقف يبكى فقيل له مم بكاؤك؟ قال: الشجا و النظم .. و فى الحديث الذى وصف به النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد، و لا تنقضى عبره و لا تفنى عجائبه، هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء، و لا تزيغ به الأهواء، و لا تلتبس به الألسنة، و هو الذى لم تلبث الجن حين سمعته أن قالوا: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً الآيات .. و قد اعترض على هذا القول بأنه قد يوجد فى السنة، و كلام فصحاء العرب، و أشعار فحول الشعراء ما يحسن موقعه، و تشرئب النفوس إلى سماعه، و لا تمله على تكراره.

و منهم من قال: إعجازه بما يقع فى النفوس منه عند تلاوته من الروعة، و ما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة، و ما يلحقها من الخشية سواء كانت فاهمة لمعانيه، أو غير فاهمة أو عالمة بما يحتويه، أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة، و لذلك قال صلى اللّه عليه و سلم:

«القرآن صعب مستصعب على من كرهه و هو الحكم» فهذه الغيبة لم تزل تعترى من سمعه، و قد اعترت جماعة من الصحابة قبل الاسلام و بعده، فمات منهم خلق كثير من المؤمنين، و سلبت به عقول كثير من الموقنين و تدلهت به ألباب جماعة من المحسنين. و

قد صح أن جبير بن مطعم قال: سمعت النبى صلى اللّه عليه و سلم يقرأ فى المغرب بالطور، فلما

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۴

بلغ هذه الآية: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ. إلى قوله تعالى الْمُصَيْطِرُونَ كاد قلبى أن يطير. و فى رواية: أول ما وقر الايمان فى قلبى .. و روى أن عتبة بن ربيعة كلمه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى ما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم: حم فصّلت.

إلى قوله: صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ فأمسك عتبة على فى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و ناشده الرحم أن يكف. و فى رواية:

فجعل النبى صلى اللّه عليه و سلم يقرأ و عتبة مصغ ملق بيده خلف ظهره معتمدا عليها، حتى انتهى إلى السجدة، فسجد النبى صلى اللّه عليه و سلم، و قام عتبة لا يدرى بما يراجعه و رجع إلى أهله و لم يخرج إلى قومه، حتى أتوه فاعتذر اليهم، و قال: لقد كلمنى كلاما ما سمعت أذناى بمثله قط، فما دريت ما أقول له، و مثل هذا كثير .. و أما من مات عند سماع تلاوة القرآن من المؤمنين و زال عقله و تدله من المحبين، و راجع الأمر من المذنبين العاصين، فكثير لا يمكن حصره و لا يسعنا هاهنا ذكره، فكتب الرقائق فيها من ذلك كثير ..

و قد اعترض هذا القول بأن جماعة من أرباب القلوب و ذوى الاستغراق فى بديع أوصاف المحبوب حصل له من سماع بعض الأشعار و ما أخرجه عن طوره و ربما مات على فوره .. و قال قوم: اعجازه حفظ آياته من التبديل، و صون كلماته من النقل و التحويل، و لا يستطيع أحد أن يتحيف منه سمطا، و لا يزيده شكلا، و لا نقطا و لا يدخل فيه كلمة من غيره، و لا يخرج منه أخرى، و لا يبدل حرفا بحرف، و ذلك من آياته الكبرى، و كم جهد أهل العناد فى ذلك، فما قدروا له، و ما استطاعوا، و كم قصدوا تحريفه فأبى اللّه ذلك، فأذعنوا له و أطاعوا ..

روى أن يهوديا تكلم فى مجلس المتوكل فأحسن الكلام و ناظر فعلم أنه من جملة الأعلام، و ناضل فتحققوا أنه مسدد السهام، فدعاه

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۵

المتوكل إلى الاسلام فأبى، و أقام لفرط الإباء على مذهب الآباء بعد أن بذل له المتوكل ضروبا من الأنعام، و صنوفا من الرفعة و الإكرام، و راجعه فى ذلك مرة بعد أخرى، فلم يزده ذلك إلّا طغيانا و كفرا فغاب عنه مدة، ثم دخل إلى مجلسه و هو يعلن الاسلام و يدين دينه فقال له المتوكل: أسلمت؟ قال: نعم، قال ما سبب إسلامك؟ فقال: لما قطعت من عنقى قلادة التقليد، و صرت من رتبة الاجتهاد إلى مرتقى ما عليه مزيد نظرت فى الاديان، و طلبت الحق حيث كان فأخذت التوراة، فنظرت فيها و تدبرت معانيها و كتبتها بخطى و زدت فيها و نقصت، و دخلت بها السوق و بعتها، فلم ينكر أحد من اليهود منها شيئا، و أخذت الإنجيل و زدت فيه و نقصت، و دخلت به السوق و بعته فلم ينكر أحد من النصارى منه شيئا، و أخذت القرآن و قرأته و تأملته فإذا: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ كتبت و زدت فيه و نقصت و دخلت به السوق و بعته، فنظر فيه المسلمون فعرفوا المواضع التى زدت فيها و نقصت، و ردوا كل كلمة إلى موضعها، و كل حرف إلى مكانه فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام اللّه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فآمنت به و صدّقت ما جاء به.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۶

فصل

اختار القاضى عياض و جماعة أن الاعجاز الظاهر المتحقق إنما هو فى الأربعة الأول حسن تأليفه، و التئام كلمه و فصاحته و وجوه ايجازه، و بلاغته الخارقة عادات العرب. الثانى: صورة نظمه العجيب الأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب. الثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، و ما لم يكن، و لم يقع فوجد كما أخبر. الرابع: ما أتى به من اخبار القرون السالفة، و الأمم البائدة و

الشرائع الدائرة، و ما عدا هذه الأربعة، و ما دلت عليه خصائص تفرّد بها و مآثر يستأثر بحصولها .. و قال قوم: وجوه اعجازه ثمانية، و قد قدّمناها فى الفصل الذى قبل هذا الفصل، زاد بعضهم على هذا، و نقص آخرون ..

و قال قوم: اعجازه فى خروج الاتيان بمثله عن مقدور البشر ..

و قال قوم: اعجازه صرف اللّه خلقه عن القدر على الإتيان بمثله، و لو لا ذلك لدخل تحت مقدورهم .. و قد اعترض على هذا القول بوجوه ثلاثة. الأول: أن عجز العرب عن المعارضة لو كان من أجل أن اللّه تعالى عجزهم عنها، بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحته، بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم، بعد أن كان مقدورا لهم كما أن نبيا لو قال معجزتى أنى أضع يدى على رأسى، هذه الساعة، و يكون ذلك متعذرا عليكم، و يكون الأمر كما زعم لم

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۷

يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه، بل من تعذر ذلك عليهم، و لما علمنا بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسه بطل القول بالصرف.

الثانى: لو كان كلامهم مقاربا فى الفصاحة قبل التحدى لفصاحة القرآن، لوجب أن يعارضوه بذلك، و لكان الفرق بين كلامهم بعد التحرى و كلامهم قبله، كالفرق بين كلامهم بعد التحرى و بين القرآن، و لما لم يكن كذلك بطل ذلك. الثالث: أن نسيان الصيغ المعلومة فى مدة يسيرة يدل على زوال العقل، و معلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدى فبطل أن يكون الإعجاز بالصرف، بل الإعجاز ليس بالصرف ..

و كل واحد من هذه الأقوال يحتمل أن يكون معجزة إذا تحدّى بها الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و عجزوا عن الاتيان بمثل ما تحدى به، و سمى هذا القول معجزة لتعجيزه من رام معارضته و الإتيان بمثله، لانها اسم فاعل من أعجزت يقال: أعجزت هذه القصة فهى معجزة .. و الذى يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه و معانيه و بعضه و كله معجزة، إما لسلب قدرتهم عن الإتيان بمثله، و إما لصرفهم عنه لأن النبى صلى اللّه عليه و سلم تحدى به و عرض عليهم الاتيان بمثله فعجزوا عن ذلك، و لأن اللّه سبحانه أخبر انهم لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو عشر سور من مثله، فعجزوا عن ذلك، أو سورة منه، أو آية لتحديه صلى اللّه عليه و سلم بها، و عجزهم عن الإتيان بمثلها هذا الذى وقع عليه تصريح الكتاب، و صريح الخطاب، و لا مرية فى ذلك، و لا خلاف.

فإن قال قائل: إن سورة من القرآن معجزة، و مع هذا إنها لم تحتو على جميع ما أودع القرآن من الايجاز و ضروب البيان و عذوبة المساق،

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۸

و غرابة الأسلوب و الاخبار عن القرون السالفة فى الأعصر الماضية إلى غير ذلك مما تقدم ذكره.

فالجواب عنه: أن السورة من القرآن جامعة لجميع ما ذكرناه، إما منطوق به أو مشار إليه، و لهذا قال سبحانه و تعالى: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فما وقع التحدى إلا بسورة منكرة، أى سورة كانت، فهذا دليل على أن القرآن العظيم، قد احتوت أقصر سورة فيه من المعانى البديعة و الفصاحة التى تسدّ بها عن معارضته الذريعة، و نضرب لك مثالا ليتحقق عندك ما ذكرناه فنقول سورة الكوثر أقصر سورة، و فيها من الألفاظ البديعة الرائقة التى اقتضت بها أن تكون مبهجة، و المعانى المنيعة الفائقة التى اقتضت بها أن تكون معجزة أحد و عشرون ثمانية فى قوله: إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ و ثمانية فى قوله:

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ و خمسة فى قوله: إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ أما الثمانية التى فى قوله: إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ فالاول ان قوله: إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ دلّ على عطية كثيرة مسندة إلى معط كبير، و من كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده، و أراد بالكوثر الخير الكثير، و من ذلك الخير الكثير ينال أولاده إلى يوم القيامة من أمته. جاء فى قراءة عبد اللّه ابن مسعود رضى اللّه عنه- النبىّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، و هو أب لهم و أزواجه أمهاتهم- و من الخير الذى وعد به ما أعطاه اللّه فى الدارين من مزايا التعظيم و التقديم و الثواب ما

لم يعرفه الا اللّه. و قيل: إن الكوثر ما اختص به من النهر الذى ماؤه احلى من كل شيء، و على حافاته أوانى الذهب و الفضة كالنجوم، أو كعدد النجوم.

الثانية: أنه جمع ضمير المتكلّم، و هو يشعر بعظم الربوبية ..

الثالثة: إنه بنى الفعل على المبتدأ فدل على خصوصية و تحقيق على ما بينا فى باب التقديم و التأخير .. الرابعة: أنه صدر الجملة بحرف التوكيد

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۸۹

الجارى مجرى القسم .. الخامسة: أنه أورد الفعل بلفظ الماضى دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة، و دلالة على أن المتوقع من سيب الكريم فى حكم الواقع .. السادسة: جاء بالكوثر محذوف الموصوف، لأن المثبت ليس فيه ما فى المحذوف من فرط الإيهام و الشياع، و التناول على طريق الاتساع .. السابعة: اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة .. الثامنة: أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروف بالاستغراق لتكون لما يوصف بها شاملة، و فى إعطاء معنى الكثرة كاملة.

و أما الثمانية التى فى قوله: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ فالأول فاء التعقيب هاهنا، مستفادة من معنى التسبب لمعنيين. أحدهما جعل الأنعام الكثيرة سببا للقيام بشكر المنعم و عبادته. الثانية جعله لترك المبالاة بقول العدوّ فإن سبب نزول هذه السورة أن العاص بن وائل قال: إن محمدا صنبور- و الصنبور- الذى لا عقب له، فشق ذلك على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأنزل اللّه تعالى هذه السورة. الثالثة: قصده بالأمر التعريض بذكر العاص، و أشباهه ممن كانت عبادته و نحره، لغير اللّه و تثبيت قدمى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على الصراط المستقيم و اخلاصه العبادة لوجهه الكريم.

الرابعة: أشار بهاتين العبادتين إلى نوعى العبادات أعنى الأعمال البدنية التى الصلاة قوامها و المالية التى نحر الإبل سنامها للتنبيه على ما لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من الاختصاص فى الصلاة التى جعلت فيها قرة عينه، و نحر الابل التى همته فيه قوية.

روى عنه صلى اللّه عليه و سلم: أنه أهدى مائة بدنة فيها جمل فى أنفه برة من ذهب. الخامسة: حذف اللام الأخرى لدلالة الأولى عليها. السادسة: مراعاة حق السجع الذى هو من جملة صنعة البديع إذا ساقه قائله مساقا مطبوعا، و لم يكن متكلفا. السابعة: قوله- لربك-

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۰

فيه حسنان. وروده على طريق الالتفات التى هى أم من الأمهات.

و صرف الكلام عن لفظ المضمر إلى لفظ المظهر و فيه اظهار لكبرياء شأنه و اثباته لعز سلطانه، و منه أخذ الخلفاء- يأمرك أمير المؤمنين بكذا- و عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه حين خطب الأزدية إلى أهلها فقال خطب اليكم سيد شباب قريش مروان بن الحكم. الثامنة: علّم بهذا أن من حقوق اللّه التى تعبد العباد بها إنه ربهم و مالكهم و عرّض بترك التماس العطاء من عبد مربوب ترك عبادة ربه .. و أما قوله: جل جلاله: إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ففيه خمس فوائد. الأولى: أنه علل الأمر بالاقبال على شأنه، و ترك الاحتفال بشانيه على سبيل الاستئناف الذى هو حسن حسن الموقع، و قد كثرت فى التنزيل مواقعه. الثانية و يتجه أن نجعلها جملة الاعتراض مرسلة ارسال الحكمة الخاتمة الاغراض كقوله تعالى: إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ و عنى بالشانئ العاص بن وائل. الثالثة: إنما لم يسمعه باسمه ليتناول كل من كان فى مثل حاله. الرابعة: صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم و عبر عنه بالاسم الذى فيه دلالة على أنه لم يتوجه بقلبه إلى الصدق، و لم يقصد بلسانه الإفصاح عن الحق، بل نطق بالشنآن الذى هو قرين البغى، و الحسد و عين البغضاء، و الحرد، و لذلك وسمه بما ينبئ عن الحقد.

الخامسة: جعل الخبر معرفة و هو الابتر، و الشانئ حتى كأنه الجمهور الذى يقال له الصنبور. ثم هذه السورة مع علو مطلعها و تمام مقطعها و اتصافها بما هو طراز الأمر كله من مجيئها مشحونة بالنكث الجلائل مكتنزة بالمحاسن غير القلائل، فهى خالية عن تصنع من

يتناول التنكيت و يعمل بعمل من يتعاطى بمحاجته التبكيت.

قال المصنف عفا اللّه عنه: و الأقرب من هذه الأقاويل الى الصواب

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۱

قول من قال: إن اعجازه بحراسته من التبديل و التغيير و التصحيف و التحريف و الزيادة و النقصان، فإنه ليس عليه إيراد و لا مطعن.

و قال بعض العلماء: إن إعجازه إنما وقع بكون المتكلم به عالما بمراده من كل كلمة، و ما يليق بها، و ما ينبغى ان يلائمها من الكلام، و ما يناسبها فى المعنى لا يختفى عنه ما دق من ذلك، و ما جل و لا مصرف كل كلمة، و لا مآلها و غير اللّه تعالى لا يقدر على ذلك، لأنه أحاط بكل شيء علما و أحصى كل شيء عددا، و هذا القول من الأقوال التى لا مطعن عليها ..

و قد عدد العلماء وجوها من اعجازه غير ما ذكرناه الأولى أن تعد من خصائصه.

و قال قوم: اعجازه من جهة أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة قائمة بالذات، و إن العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له و الاتيان بمثله أو بمثل بعضه كلفوا ما لا يطاق. و من هذه الجهة وقع عجزهم. و هذا القول أيضا حسن و اللّه أعلم.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۲

فصل

فيما احتوى عليه هذا الكتاب العزيز من تلوين الخطاب و معدوله، و فنون البلاغة و ضروب الفصاحة، و أجناس التجنيس و بدائع البديع و محاسن الحكم و الامثال مفصلا، و مجملا خاطب العرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم و الخطاب الوارد عليهم ينقسم إلى قسمين، باق على أصل مدلوله و موضوعه، و معدول به عن حقيقته إلى مسموعه، و المجموع ما عدل، و ما لم يعدل مائة و عشرون قسما.

الأول: خطاب عام و هو ما أريد به جميع من يعقل مثل قوله تعالى: وَ اتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ و قوله: وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ.

الثانى: خطاب خاص بلفظ عام كقوله تعالى: أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ و قوله تعالى: هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ.

الثالث: خطاب الجنس مثل قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ.

الرابع: خطاب النوع مثل قوله تعالى: يا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ و يريد بنى آدم من صلبه خاصة و قوله تعالى: يا بَنِى إِسْرائِيلَ.

الخامس: خطاب العين كقوله تعالى: يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۳

وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا. يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا السادس: خطاب المدح مثل قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا.

السابع: خطاب الذم كقوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا.

الثامن: خطاب الكرامة كقوله تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ.

التاسع: خطاب الإهانة كقوله تعالى: فَإِنَّكَ رَجِيمٌ.

العاشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله تعالى: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ.

الحادى عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى: وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ خاطب بذلك النبى صلى اللّه عليه و سلم بدليل قوله: وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ. و منه قوله: وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى الْقُرْبى وَ الْمَساكِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ خاطب بذلك أبا بكر رضى اللّه عنه حين حرم مسطحا رفده حين تكلم فى حديث الافك.

الثانى عشر: لمالك خازن النار تقديره ألق ألق، و قد سمع عن بعض العرب يا حرسى اضربا عنقه- و قد حمل بعض الائمة قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل

على هذا المحمل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۴

الثالث عشر: خطاب العين و المراد به الغير كقوله تعالى يخاطب به النبى صلى اللّه عليه و سلم: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ و المراد به أمته.

الرابع عشر: الخروج بخطاب الحضرة الى الغيبة مثل قوله تعالى: حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ.

الخامس عشر: الخروج من الغيبة الى الحضور كقوله تعالى:

فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ. و قوله تعالى:

وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً.

السادس عشر: خطاب التحنن مثل قوله تعالى: يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إلى قوله: تَشْعُرُونَ.

السابع عشر: اطلاق اسم العلم على المعلوم.

الثامن عشر: إطلاق المعلوم على العلم.

التاسع عشر: اطلاق القدرة على المقدور.

العشرون: اطلاق اسم الإرادة على المراد.

الحادى و العشرون: إطلاق اسم المراد على الإرادة.

الثانى و العشرون: إطلاق اسم الفعل على أول جزء منه، و على آخر جزء منه.

الثالث و العشرون: إطلاق اسم الأمل على المأمول.

الرابع و العشرون: إطلاق اسم الوعد و الوعيد على الموعود.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۵

الخامس و العشرون: إطلاق اسم العقد و العهد على الملتزم بهما، السادس و العشرون: إطلاق اسم البشرى على المبشر به.

السابع و العشرون: إطلاق اسم القول على المقول.

الثامن و العشرون: إطلاق اسم النبأ على المنبأ به.

التاسع و العشرون: إطلاق الإسم على المسمى.

الثلاثون: إطلاق اسم الكلمة على المتكلم.

الحادى و الثلاثون: اطلاق اسم اليمين على المحلوف عليه.

الثانى و الثلاثون: إطلاق اسم الحكم على المحكوم به.

الثالث و الثلاثون: إطلاق العزم على المعزوم عليه.

الرابع و الثلاثون: إطلاق اسم الهوى على المهوى.

الخامس و الثلاثون: إطلاق اسم الظن على المظنون.

السادس و الثلاثون: إطلاق المحب على المحبوب.

السابع و الثلاثون: إطلاق اسم الظن على المظنون.

الثامن و الثلاثون: اليقين على المتيقن.

التاسع و الثلاثون: إطلاق اسم الشهوة على المشتهى.

الأربعون: إطلاق اسم الحاجة على المحتاج.

الحادى و الاربعون: اطلاق اسم السبب على المسبب.

الثانى و الأربعون: إطلاق اسم الكتابة على الحفظ.

الثالث و الاربعون: إطلاق اسم السمع على القبول.

الرابع و الاربعون: إطلاق اسم الايمان على ما نشأ عنه.

الخامس و الاربعون: إطلاق اسم المسبب على السبب.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۶

السادس و الاربعون: إطلاق اسم العقوبة على الإساءة.

السابع و الأربعون: اطلاق اسم الأكل على الأخذ.

الثامن و الأربعون: إطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التى هى سبب عنها.

التاسع و الأربعون: اطلاق اسم الرّجز و الرجس على عبادة الأصنام.

الخمسون: اطلاق اسم المغفرة على التوبة.

الحادى و الخمسون: إطلاق اسم الكبرياء على الملك.

الثانى و الخمسون: إطلاق اسم القوة على السلاح.

الثالث و الخمسون: إطلاق اسم الإعطاء و الإيتاء على الالتزام.

الرابع و الخمسون: إطلاق اسم الفعل على غير فاعله.

الخامس و الخمسون: إطلاق اسم الفعل على سببه.

السادس و الخمسون: إطلاق اسم الفعل على الأمر به.

السابع و الخمسون: إطلاق اسم البعض على الكل.

الثامن و الخمسون: إطلاق اسم الكل على البعض.

التاسع و الخمسون: إطلاق اسم القيام على الصلاة.

الستون. إطلاق اسم الركوع عليها.

الحادى و الستون: اطلاق اسم السجود عليها.

الثانى و الستون: اطلاق اسم القراءة عليها.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۷

الثالث و الستون: إطلاق اسم التسبيح عليها.

الرابع و الستون: اطلاق اسم الذكر عليها.

الخامس و الستون: إطلاق اسم الاستغفار عليها.

السادس و الستون: إطلاق اسم الذقن على الوجه.

السابع و الستون: إطلاق اسم الأنف على الوجه.

الثامن و الستون: إطلاق اسم الرقبة على الجملة.

التاسع و الستون: إطلاق اسم اليدين على الجملة.

السبعون: إطلاق اسم اليمين على الجملة.

الحادى و السبعون: إطلاق اسم العضد على الجملة.

الثانى و السبعون: اطلاق اسم الأصابع على الأرجل.

الثالث و السبعون: اطلاق اسم الوجه على الجملة.

الرابع و السبعون: إطلاق اسم بعض الرأس على الرأس.

الخامس و السبعون: إطلاق اسم بعض الأذن على الأذن.

السادس و السبعون: وصف الوجه بالخشوع و الخشوع انما يكون فى القلوب.

السابع و السبعون: وصفها بالرضى.

الثامن و السبعون: وصف الجميع بما هو وصف البعض.

التاسع و السبعون: اطلاق اسم الفعل على مقاربه و مساوقه الثمانون: إطلاق اسم الفعل على ما كان عليه.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۸

الحادى و الثمانون: إطلاق اسم الشيء على ما يؤول اليه.

الثانى و الثمانون: إطلاق اسم المتوهم على المتحقق.

الثالث و الثمانون: إطلاق اسم الشيء على ما يظنه الناظر، و هو على خلافه.

الرابع و الثمانون: التعبير بالأذن عن المشيئة.

الخامس و الثمانون: إطلاق اسم الشيء على ما لازمه.

السادس و الثمانون: إطلاق اسم الحال على المحل.

السابع و الثمانون: إطلاق اسم الأفواه على الألسن.

الثامن و الثمانون: التعبير بالألسنة عن اللغات.

التاسع و الثمانون: إطلاق ترك الكلام على الغضب.

التسعون: التعبير بالإياس عن العلم.

الحادى و التسعون: التعبير بالدخول عن الوطء.

الثانى و التسعون: إطلاق اسم الأسد على الشجاع.

الثالث و التسعون: إطلاق اسم الفوز و الحياة على الإيمان.

الرابع و التسعون: إطلاق اسم الظلمة و الموت على الجهل.

الخامس و التسعون: إطلاق اسم السراج و النور على الهادى.

السادس و التسعون: إطلاق اسم الحطب على النميمة.

السابع و التسعون: إطلاق اسم الإنسان على تمثاله.

الثامن و التسعون: التجوز بالماضى عن المستقبل.

التاسع و التسعون: التجوز عن الماضى بالمستقبل.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۳۹۹

المائة: إطلاق اسم الخبر عن النهى.

الحادى بعد المائة: إطلاق لفظ الخبر عن الدعاء.

الثانى بعد المائة: إطلاق الأمر على الخبر.

الثالث بعد المائة: توكيد الخبر.

الرابع بعد المائة: التجوز بجواب الشرط عن الأمر.

الخامس بعد المائة: التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى، و إنما يراد بها ما يقاربها و يلازمها.

السادس بعد المائة: التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه، و إنما المراد به من يصح نهيه.

السابع بعد المائة: التجوز بنهى من يصح نهيه و المنهى فى الحقيقة غيره.

الثامن بعد المائة: التجوز بهل عن الأمر و النهى و التقرير.

التاسع بعد المائة: التجوز بهمزة الاستفهام عن الأمر و الإيجاب و التقرير و التوبيخ.

العاشر بعد المائة: التجوز بفى و يتجوز بها فى مواضع قد تقدم ذكرها فى فصل المجاز.

الحادى عشر بعد المائة: التجوز بعلى و يتجوز بها فى مواضع مضى ذكرها فى باب المجاز عن، عن، و هى حقيقة مجاوزة جرم عن جرم، و يتجوز بها فى المعانى، و قد تقدم ذكره.

الثانى عشر بعد المائة: التجوز بمن، و هى حقيقة فى ابتداء الغاية فى الامكنة، و يتجوز بها عن ابتداء الغاية فى الأزمنة.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان، ص: ۴۰۰

الثالث عشر بعد المائة: حرف ثم، و تستعمل حقيقة فى التراخى المعنوى، و مجازا فى التراخى الزمانى.

الرابع عشر بعد المائة: حرف- ما- قال سيبويه: هى للأصناف و الأخلاط و هى حقيقة فى الإجرام، و تجوّز فى المعانى.

الخامس عشر بعد المائة: حرفا- لعل عسى- و حقيقتهما الترجى و التوقع و يتجوز بهما فى الإيجاب. فهذه مائة و خمسة عشر قسما إذا حررت بتفاصيلها جاوزت المائة و عشرين نوعا، بل أكثر من ذلك، و قد ذكرناها مفصلة معينة بشواهدها من الكتاب العزيز و الكلام الفصيح، و أشعار العرب و المخضرمين و المتأخرين، و نسأل اللّه العون و الصون و التوفيق إلى ما يقربنا إليه و يزلفنا لديه، و اللّه الموفق لا ربّ غيره و لا يستعان بسواه ..

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب

الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹